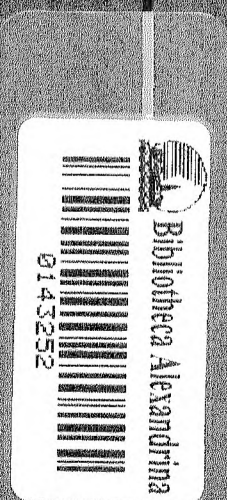


تاريخ وتاريخ



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الذِّكْرُ

ذِكْرِيَّاتٌ وَتَارِيخٌ

رقم الايداع في المكتبة العامة ١٥٩١ د.ع / ١٩٩٤
المنامة - دولة البحرين

الإهداء

الى جيل الحاضر والمستقبل . . . أهدي هذا الكتاب
لنستنير معاً بومضة من المعاناة والاصرار والصبر والوطنية
والأعمال الخيرية التى تحلى بها جيلي.

راشد عبدالرحمن عبدالوهاب الزيانى

تقدير وامتنان

أعرب عن شكري وتقديري وامتناني لزوجتي (أم خالد)
لمساهمتها في تذكيري ببعض حوادث هذه الذكريات،
ولابنتي أفنان حفظها الله لمساهمتها في تبويب بعض فصولها
ومتابعة طباعتها.

المقدمة

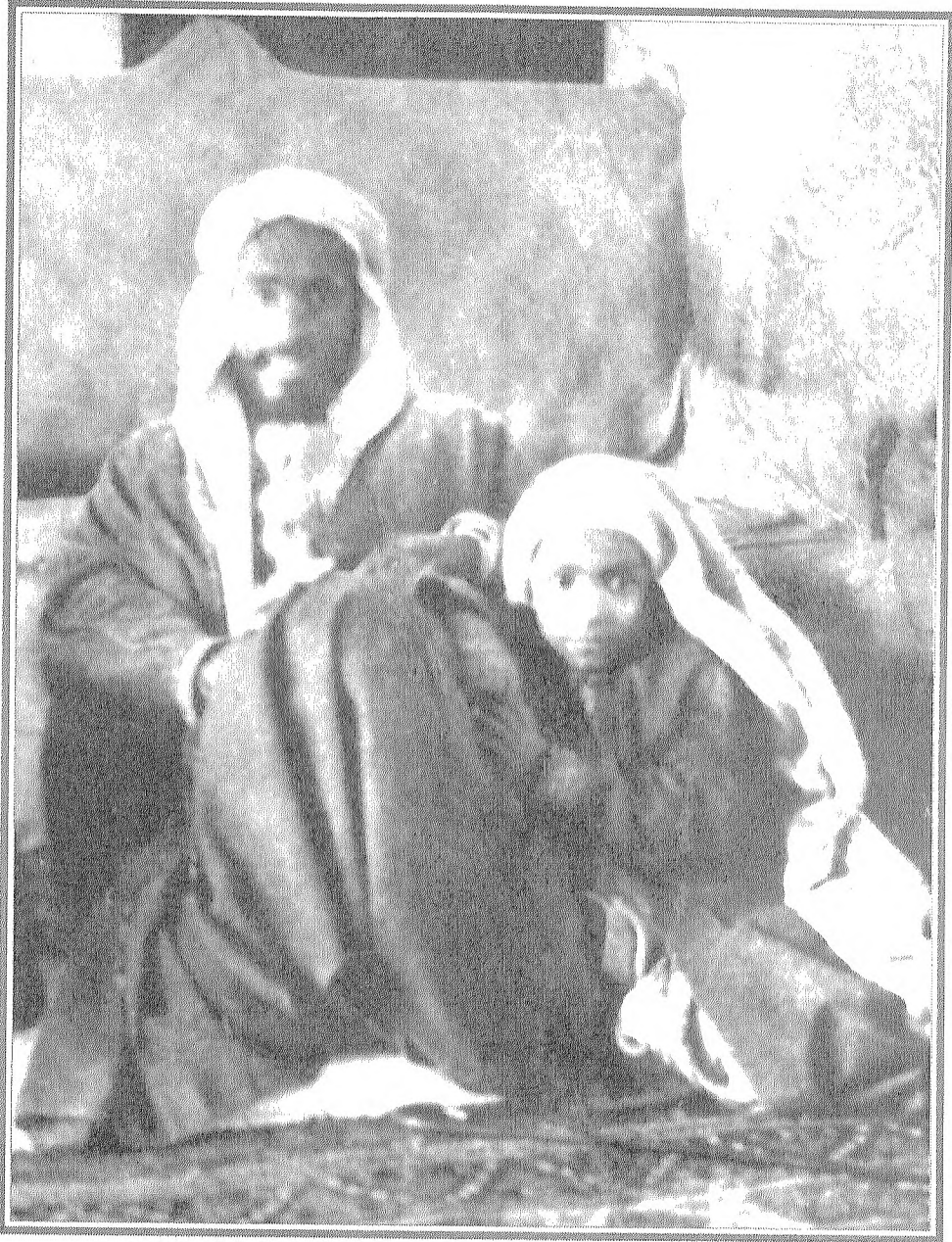
أيها القارئ الكريم
أود أن أنوه هنا أن ما سيأتي في هذا الكتاب ليس
مذكرات بل ذكريات وتاريخاً. فالمذكرات تكتب بوقتها
وبتواريخ حدوثها وقد جمعت واستحضرت هذه الذكريات
من ذاكرتي وذاكرة بعض الاخوة وبعض المراجع الكتابية من
رسائل ومقالات وكتب.

ان سرد أحداث هذه الذكريات قد لا تكون دقيقة
بالنسبة لوقائعها او تواريخها وذلك لمرور الزمن الطويل على
حدوثها، غير اني آمل ان يكون لسردها فائدة لمن احب
الاطلاع على ما كان يحدث في السنوات الماضية، وربما
يستفاد من بعضها كخبرة وعظة او كونها مجالاً للمقارنة بين
الحاضر والماضي. . فرجائي من القارئ الكريم ان يغض
الطرف عن هفوات غير مقصودة، سواء بالنسبة لتواريخها او
طريقة سرد احداثها والله الموفق.

راشد عبدالرحمن الشيخ عبدالوهاب الزياتي

الباب الأول

أيام الطفولة



المؤلف راشد الزياني أثناء طفولته بجانب والده
المرحوم الشيخ عبدالرحمن بن الشيخ عبدالوهاب الزياني

أيام الطفولة

ان بعض ما اذكره من عهد طفولتي هو ان والدي احضر لي ولأخي احمد ولبعض اولاد عمي شخصا اصله من لنجه بايران يدعى ملا عبدالله الآفه ليحفظنا القرآن. وفهمت ان والدي لم تعجبه كلمة «الآفه» فأبدلها بالأوفي فاصبح يطلق عليه ملا عبدالله الاوفي. كان يحفظنا القرآن في مجلسنا بالمرق، حيث كان يسكن فيه ايضا. واذكر اني عندما ختمت القرآن ألبست ثوبا جديدا ووضع على رأسي قطعة قماش حريرية مطرزة بخيوط ذهبية مدلاة من جانبي الرأس بحيث يكاد يلامس طرفها قدمي. كما كلفت بحمل سيف مذهب في يدي، وبعد ذلك بدأت مع بقية الاطفال، وبقيادة ملا عبدالله المذكور نسير في شوارع المرق ونمر ببيوتها واحدا واحدا مختارين بيوت الموسرين منها بالذات، وعند كل بيت من هذه البيوت المختارة يقرأ احد الاطفال التحميدة المشهورة الآتي ذكرها ادناه بينما يردد الآخرون كلمة «آمين» :

الحمد لله الذي هدانا آمين	بالدين والاسلام فاجتباننا آمين
سبحانه من خالق سبحانه آمين	بفضله علمني القرآن آمين
علمني معلم ما قصرا آمين	علمني في درسه وكررا آمين
جزاكم الله يا والدي الجنانا آمين	وشيد الله بكم البنيانا آمين
انتي يا عمه نعم العمه آمين	آتاك ربي نعمة وتم آمين
انتي يا خالة نعم الخالة آمين	عطاك ربي من جزيل ماله آمين
الجد والجدة لا تنهرهما آمين	اذ لهما عند ربي جزاهما آمين

وهنا يجمع الملا عبدالله المتبرع به من النقود من اصحاب البيوت ويحتفظ بها لنفسه. كانت هذه العادة متبعة من قديم الزمان في البحرين. واطنهما كانت في جميع انحاء الخليج.



ملا عبد الله الأول

المطوَّع (الكتاتيب):

يجدر بي هنا ايضاً ان اذكر شيئاً عن الكتاتيب المخصصة لتحفيظ القرآن الكريم وكيفية جريان الامور فيها.

الكتاب (المدرسة) عبارة عن صف واحد بسيط ليس به مقاعد او ادراج او ما شاكل ذلك مما يوضع في صفوف مدارس اليوم.

يجلس الاطفال على الارض بعد ان يحضر كل منهم من بيته قطعة حصير صغيرة او في الغالب خيشه (كيس «زكية» من الخيش المستعمل) اما المدرس فلا يتجاوز معرفته وتعلمه في الغالب اكثر من قراءة القرآن وربما بعض القراءة والكتابة ويطلق عليه «مطوَّع». يتمتع هذا المطوَّع باحترام وتقدير من قبل كافة الناس وبالاخص اولياء امور الاطفال فلا يعاقب او يلام او حتى يعاتب اذا ما طبق عقاباً ما على اولادهم بل يعتبرون تطبيقه ذلك خير تأديب وردع ويقابلون عمله بالشكر والترحيب ولذلك كان الاطفال يحترمونه ويهابونه اكثر مما يهابون اولياء امورهم.

وقد أدى فتح المدارس النظامية الى تقلص عدد هذه الكتاتيب تدريجياً حتى اختفت. اما ملا عبدالله الآفـه والذي ابدل اسمه الى الاوفى كما اسلفت فقد التحق بمدرسة الهداية الخليفية بالبحرق ثم هاجر مع عائلته الى دبي عندما ادرك فيها وظيفة تناسب معرفته البدائية البسيطة، وبقي فيها حتى اختاره الله الى جواره.

والمطوَّع وكل المتعهدين بتحفيظ القرآن لا يستلمون راتباً او اجراً مقررًا من آباء تلاميذهم، لأن القرآن شيء مقدس لا يباع ولا يشتري ولا تدفع اجرة عن تحفيظه هكذا كان يقال في ذلك الزمان واضنه لازال كذلك الى هذا اليوم. كما انه يستنكر على أي شخص ان يقول اني اشتريت قرآنًا، بل يجب ان يقول استفديت قرآنًا. المهم كيف يعيش المعلم او المحفظ للقرآن، انه يعيش من التبرعات التي يجمعها من الميسورين يوم يختم احد تلاميذه القرآن اثناء تجواله مع خاتم القرآن وبقية التلاميذ وكذلك من اتاوة بسيطة هي «الخميسية». والخميسية نسبة الى يوم الخميس، آخر يوم في الاسبوع، ففي هذا اليوم



المصدر: ادارة التراث - دولة البحرين

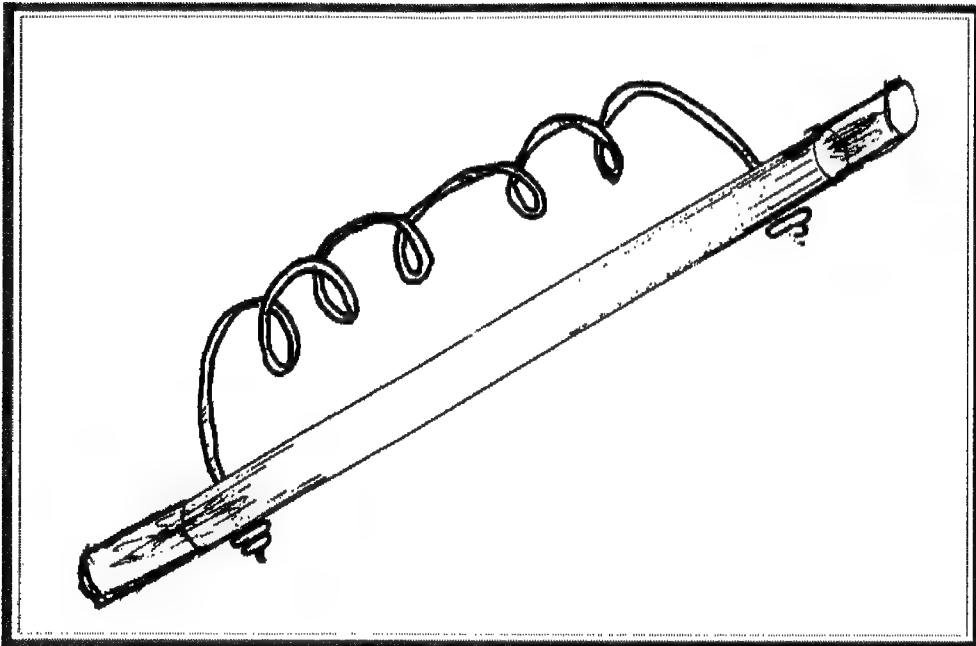
الحفظ القرآن الكريم



المصدر: ادارة التراث - دولة البحرين

الختمه ويرى الخاتم بلباسه الخاص

يتوجب على كل تلميذ ان يدفع الى المعلم مبلغا بسيطا لا يتجاوز اربع آنات (٢٥ فلسا) ويصر المعلم على استلام الخميسية، ولو ان بعضهم تأخذه الشفقة، فيعفي الفقير من دفعها. ولكن يا ويل التلميذ المقتدر الذي يحضر يوم الخميس ولا يكون قد احضر معه الخميسية فبعض الآباء الموسرين كانوا بخلاء يتهربون من دفع هذه الاتاة البسيطة، نعم اذا حضر ابنهم وليس معه الخميسية يكون مصيره «الجحيشة» فما هي الجحيشة؟ الجحيشة عبارة عن عمود خشبي قطره حوالي بوصتين، وطوله حوالي خمسة اقدام، ربط في طرفيه جبل مرخي رفيع، بحيث يكون الجبل نصف حلقة. . هذه هي الجحيشة ولا اعرف لماذا سميت بهذا الاسم.



الجحيشة

اما طريقة عقاب المذنب بها فهي ادخال رجليه داخل الحلقة ثم برم العمود بواسطة شخصين يمسك كل منهما طرفا من العمود فيحبس الجبل قدمي المعاقب حول حجليه بحيث لا يستطيع ان يحرك رجليه او ساقيه ثم يقوم

الشخصان برفع العمود من طرفيه بينما يكون المعاقب قد استلقى على ظهره فوق الارض او على الخيشه التى عادة يجلس عليها كل طالب اثناء الدرس . فتبرز هنا قدما المعاقب خارجة من حلقة العمود بارز باطنها جاهزة لضربها ولشطها بخيزرانة خاصة تؤلم ألماً شديدا ولكنها لا تؤذي ، ولعل القارىء يود ان يتساءل ويسألنى هل جربت الجحيشة عليك؟

فجوابى نعم جربت مرة واحدة والقصة هى اني كنت في القضيبية في ايام الصيف ، حيث كنت ضيفا صغيرا على زوجة المرحوم علي بن ابراهيم الزباني التى كانت قريبة لوالدي . ولا اذكر لماذا كنت ذلك الضيف ولكن كل ما اذكره انهم كانوا قد وظفوا شخصا ليعلم اولادهم الكتابة والقراءة ولعلي ارسلت الى هناك بترتيب من والدي وزوجة المرحوم علي بن ابراهيم الزباني لأتعلم الكتابة والقراءة . والظاهر ان شيئا حدث مني اوجب عقابي بالجحيشة ، واطنه تأخري عن الدوام في احد الايام وكانت هذه هى التجربة الوحيدة التى مررت بها وقد كان الضرب مؤلما وشديدا بالنسبة لي حتى ان صراخي وصل الى مسمع زوجة المرحوم فما كان منها الا ان ارسلت احدى خادماتها حيث اصطحبتني الى داخل البيت وهي تكفكف دمعى . ولم اعد الى الصف ذلك اليوم ، بل بقيت ألعب داخل البيت في رعاية زوجة المرحوم . وعندما خفت حدة الشمس استقلت الزوجة وبعض اتباعها عربية تجرها الخيل واتجهت الى عين ام شعوم الشهيرة آنذاك واصطحبتني معها واذكر اني عندما كنت جالسا بينهم شددت نظري الى الارض التى كانت تمر من تحت العربة بسرعة غير مألوفة عندي ، وام شعوم في ذلك الوقت كانت محطة استراحة واسترخاء يرتادها الناس لاطفاء حرارة اجسامهم في فصل الصيف الحار والتمتع بمائها الندى البارد وكانت تنقسم الى ثلاثة اقسام بركتان كبيرتان بينهما جسر مدفون . الجنوبية يتفرع منها فرع صغير مفصول ومحاط بجدران من كل جوانبه خصص للنساء والاطفال ، وكنت في ذلك اليوم من احد رواده ، اما القسم الكبير فهو للرجال ، واما البركة الشمالية فمع ان حجمها لا يقل عن حجم الجنوبية الا انها كانت لا تستعمل الا لغسل الحيوانات ، وبالاخص

الحمير التي كانت هي المركوب الوحيد والمفضل للقادمين للعين في ذلك الزمان .

وما دام قد جاء هنا ذكر استعمال الحمير، يجدر بي ان اتبسط في هذا الموضوع للعلم والاطلاع . فقبل عهد السيارات كانت الحمير (واحيانا الخيل) هي الوسيلة الوحيدة للتنقلات والاتصالات البعيدة والقريبة بين الافراد والجماعات، فضلا عن كونها الوسيلة الفريدة لنقل الاحمال المختلفة غذائية كانت او تجارية او بنائية، بما فيها حجارة البناء (١) . ويستعمل صغار الحجم منها الفلاحون واصحاب المزارع لنقل محصولات مزارعهم من الخضار والفواكه على ظهورها الى الاسواق والبيوت . وهذا النوع من الحمير يكون عادة صغير الحجم رمادي اللون بطيء الحركة لا يصلح الا للاحمال البسيطة كالخضار وما شاكلها . اما النوع الآخر الذي يستعمل للركوب وحمل الاحمال الثقيلة فيختلف اختلافا كبيرا عن حمير الفلاحين الآنف الذكر . فحجمه كبير يضاهي حجم الحصان، ولون شعره ابيض ناصع البياض علاوة على قوة احتماله وسرعة جريه . وكانت البحرين مشهورة ومميزة بانواعها الجميلة الشكل والمنظر ويقال ان زوجا منها ارسل الى احدى حدائق الحيوان بانجلترا .

وكون هذا الحيوان هو الوسيلة الوحيدة للتنقل والاتصال بين عامة الناس، لقي من اصحابه كامل العناية والاهتمام كما حظى بالرعاية الخاصة والتفاخر بين المستعملين شأنهم في ذلك شأن من يتفاخر بسيارته اليوم . وقد تحاشوا ان يطلقوا على دابتهم كلمة «حمارة» بل كلمة «زمالة» فلا يقول الشخص ركبت حماتي بل يقول امتطيت «زمالتي» او «دابتي» ويقول لخدمه مثلا اربط «الزمالة» . والانشى منها هو الذي يستعمل عادة للركوب، اما الذكر فيستعمل لحمل الاحمال الثقيلة او لركوب اصحابه من الحمارة (كما كان يطلق عليهم) . ويتفنن الحمارة بتزيين حميرهم وتجميلها، بأن يضعوا حول عنقها

(١) لم يستحدث الطابوق في ذلك الزمان ولم يعرف البناء بطريقته الحالية (الحديد والاسمنت والجسور المسلحة) فكان الاستعمال الشائع آنذاك خاصة للأساسات الحجارة الصلدة والتي عادة تقطع من الجرف البحري الذي يبعد حوالي نصف ميل عن الساحل حيث يذهب المتخصصون في سفن شراعية خاصة لقطعه أثناء الجزر وجلبه للساحل بعد المد لينقل على ظهور الحمير إلى ساحات البناء.

قلادة مطرزة بأسفلها برشوم او جرس يرن ويجلجل اثناء سيرها . كما كانوا يصبغون جبهتها وبعض اجزاء من جسمها بالحناء الحمراء ، حيث يتضارب لون الحناء الحمراء القاني بلون شعر الحمار الابيض الناصع البياض مضافا هذا التضارب رونقا جميلا يلفت النظر ويثير الاعجاب .

يشد على ظهر الحمير سرج يشبه الى حد كبير ما يستعمل اليوم للخيل الا انه مصنوع من الخيش ومحشو بألياف الاشجار . هذا بالنسبة لحمير النقل . اما سرج حمير الركوب فيكون عادة مغلفا بقماش صوفي جميل ، او بقايا قطعة مقطوعة من زولية قديمة . ثم يفرش على السرج ما يدعى بالخرج ، وهو عبارة عن قماش صوفي يحتوي على جيبين يوضع فيهما ما يحتاج اليه من حاجيات ، ويفرش على الخرج عادة قبل الركوب ما يسمى «ياعد» ، وهو عبارة عن جلد نعجة او خروف ، يعطي الراكب راحة وليونة ويهيء له الراحة اثناء السير كما ان هذا «الياعد» يستعمل ايضا عند الحاجة لفرشه والجلوس عليه اذا صادف ان توقف الراكب في مكان صحراوي او ارض زراعية خالية .

وتصور نفسك ايها القارئ (ابن اليوم) ، وانت في احد اسواق المنامة او المحرق ، تشاهد حركة زحام المارة والمتسوقة من الناس ، وفي الوقت نفسه تراحها حمير تنوء باحمالها الثقيلة من اكياس الرز وقلات التمر وحجارة البناء او جذوع النخيل وابواب المنازل والغرف وغيرها ، وكيف ان صاحبها او قائدها يوجهها وهو يسير بجانبها باشارة من خيزرانة صغيرة في يده ، مع هذا فهي تشق طريقها بكل اطمئنان لا تصطدم بما يلاقيها من الحمير المحملة او غير المحملة ، ولا تدهس المارة ورواد السوق دون الحاجة الى شرطي مرور او اشارة خضراء وحمراء . فقد خلق الله سبحانه وتعالى فيها رادارا طبيعيا لتوجيهها واعطاها القدرة على تحاشي ذلك .

وبالمناسبة فلم يكن يوجد بالبحرين في ذلك الوقت سيارات ، بل عدد محدود من العربات التي تجرها الخيل . واطن انه في ذلك الوقت من الزمان بدأ توريد واستعمال الدراجات «البسكليتات» وكان عامة الناس يطلقون عليها اسم «خيل ابليس» .

كان يفصل بين المنامة وعين ام شعوم والجفير في ذلك الوقت بر واسع يصطاف على ساحله غالبية سكان المحرق والحد، حيث يشيدون على طول ذلك الساحل عرشاناً من سعف النخيل يسكنونها طيلة فصل الصيف. وإذا ما انتهى ذلك الفصل، اغلقوا هذه المساكن ولا يعودون اليها الا في الصيف التالي، وان اول من بنى بيوتا حجرية في تلك المنطقة كان المرحوم علي بن ابراهيم الزباني وابن عمه المرحوم عبدالرحمن محمد الزباني، فقد شيئا بيوتا تميزت بحسن منظرها وسعة غرفها ناهيك عن مجالسها ودواوينها الفسيحة ومرافقها العامة المتعددة.

في ذلك الوقت من الزمان احدث الباليوز «المعتمد» الانجليزى المسمى «دكسن» ما كان يدعى (خطة) وذلك بأن حوط قسماً كبيراً من البر الواسع الواقع بين المنامة وعين ام شعوم والمساكن التى يصطاف فيها المصطافون في القضيبة، حوطه على شكل دائرة كبيرة بمجرد تعلية التراب حول هذه الدائرة بمقدار قدم واحد وحظر تجاوز هذا الحاجز او الدخول في دائرته فكان القاصد الى المنامة او العائد منها يضطر ان يتحاشى دخول هذه الخطة والا وقع عليه العقاب. بل كان عليه ان يدور حولها لمسافات طويلة حتى يصل الى طريقه المعتاد، واذكر ان طفلاً يافعا من جماعتنا دخل هذه الخطة فحجزته الشرطة لمدة يوم او نحوه ولما تبين لهم انه طفل غريب لا يدرك ما يفعل اخلي سبيله.

وللمعلومية فان اول طائرة ركاب بريطانية تحمل اسم امبريال ايرويز Imperial Airways وصلت الى البحرين بل وربما الى منطقة الخليج حطت رحالها في الجزء الجنوبي من الفراغ المشار اليه اعلاه. وان اول بئر ارتوازي في البحرين، لا بل وفي كل منطقة الخليج كما اعتقد، جرى حفره في هذه البقعة من الارض وكان حفره على يد المهندس هولمز Holmes وهو نفس المهندس الانجليزى الذى ساهم في اكتشاف النفط في البحرين. وكان لاكتشاف الماء بهذه الطريقة صدق كبير في البحرين وخارجها اذ كان الناس يتوافدون من

جميع اطراف البلاد لمشاهدة هذا الحدث الكبير مبدين الدهشة والتعجب من عملية الحفر ثم من تدفق الماء العذب بقوة من ثقب في الارض .
وحسبما سمعت تقاضى المهندس المذكور عن حفر هذا البئر مبلغا قدره خمسون الف روبية وهو مبلغ كبير جدا اذا قارناه بما تقاضاه ، مقال بحريني تخصص فيما بعد في حفر الآبار الارتوازية ، بمبلغ يتراوح بين الف والف وخمسمائة روبية للبئر الواحد . اما ثانى بئر ارتوازي قام المهندس المذكور بحفره فكان في موقع بالمحرق يطلق عليه اسم «خرايب السادة» اما البئر الثالث فكان ما اطلق عليه «عين الحدادة» ويقع في فريق الزياينة بالمحرق . ثم تتابع حفر الآبار الارتوازية في البحرين وخارجها بحيث اصبح امر حفرها من الامور المألوفة العادية .

قصتي مع الكلاب السائبة:

كنت في سن الطفولة - واسرد هنا حادثة حدثت لي آنذاك فيها بعض الطرافة والعظة. كنا نسكن في المحرق وكان بيتنا يقع مباشرة شرق السوق الممتدة من قهوة الطواويش حتى الحالة.

وكانت غالبية الاسواق في ذلك الزمان مسقفة بسعف النخيل والحصر حماية للسالكين والمتسوقين من الشمس الحارقة. وكانت الكلاب السائبة، وعددها كبير وحجمها ضخم، ترتاد هذه الاسقف متخذة منها ومن سطوح البيوت والمحلات التجارية المجاورة او كارا لها تحميها من المطاردة. وكان لا ينقطع سماع نباحها عن بيتنا ليلا او نهارا، ومع الاسف اتخذ اهلنا من نباحها وسيلة لتخويفنا ونحن لازلنا في سن الطفولة. اذ انه عندما يريدون تسكيننا اثناء الليل اذا اعترانا ألم او مرض ولم نستطع النوم وظللنا نتلوى من الم او ضجر وكذلك اذا بدا منا شيطنة صبيانية او صراخ، يقولون «اذا ما تسكت او تسكن ندعو الكلاب الضارية لمهاجمتك وعظك!» وقد خلق هذا التهديد المتكرر في نفوسنا عقدة الخوف من الكلاب.

وفي اثناء الليل وشوارع - عفوا - وطرقات المحرق الضيقة لم تكن مضاءة كما هي عليه اليوم، تنزل سروح من هذه الكلاب الى الطرقات متخذة الظلام وسيلة للتنقل بين طرق المدينة طلبا للغذاء وللماء بطونها من فضلات الطعام التي اعتاد الساكنون رميها على قارعة الطرقات امام بيوتهم. واذكر انه في احدى الامسيات، وبعد صلاة العشاء، كنت متواجدا في مجلسنا المقابل لبيتنا، ولم يكن باب المجلس مقابلا تماما لباب البيت بل كان البابان متوازيين، بحيث يبعد احدهما عن الآخر بمقدار ٢٥ قدما، مع ان الطريق الفاصل بين البيت والمجلس لا يزيد عرضه عن ٨ اقدام. ذكرت اني كنت متواجدا في مجلسنا تلك الليلة ولما غلبني النعاس هممت بالذهاب الى البيت ولتخوفي من هذه الكلاب السائبة المتوحشة، كنت تعودت في هذه الاحوال ان اقف على عتبة باب المجلس ثم اركض بمنتهى السرعة قاطعا الطريق الى باب البيت متحاشيا تلك الكلاب، انما صادف في هذه المرة انه ما كدت اطلق

العنان لرجلي واذا بي اصطدم بعدد من هذه الكلاب المفزعة التى كانت منطلقة بسرعتها الفائقة في الاتجاه المضاد لي! تصور ايها القارئ طفلا روع وخوف مرة ومرات بالكلاب النابحة المتوحشة حتى بلغ به الجزع والخوف منها مبلغه، تصوره يصطدم بها في ظلام الليل الموحش! صرخت صرخة مفزعة شاركنى فيها عواء الكلاب المذعورة بمن صدمها في هذه الظلمة الحالكة. وقد هزت صرختي المفزعة والمغمورة بعواء الكلاب جميع ساكنى البيت والمجلس ودفعتهم لانقاضي حيث وجدوني ملقياً على الارض ارتجف وأبكي وانتحب من هول ما اصابني، وقد ظلت هذه الحادثة تراود افكاري ومشاعري مدة من الزمن حتى ترعرعت. وأسفت لعدم ادراك اهالينا خطورة ما قاموا به تجاه تخويف اولادهم.

الدكاكه:

كذلك كان مشهوراً في ذلك الزمان واستمر مدة سنوات طويلة بعد ذلك امر ما يسمونه بالدكاكه، «وهي عبارة تطلق على لصوص الليل» الذين كانت غالبيتهم تأتي من خارج البحرين تهاجم الدكاكين والمحلات التجارية واحيانا بيوت السكن وكان يحرس الاسواق حراس يدعون «نواطير» تمتد مراكزهم على طول الاسواق التى كانت مضاءة بفناره (فوانيس صغيرة) تعمل بالكاز (الكيروسين) الا ان الدكاكه كانوا يتخذون من ثقب اسقف الدكاكين الهزيلة وسيلة للولوج اليها ووضع يدهم على محتوياتها، ولذلك اضطر رجال الامن ان يستعينوا بنواطير متحركة تجوب اسقف الدكاكين، وكان هؤلاء يتنادون بينهم باصوات فيها نوع من التخويف والفزع غايتهم منها تخويف الحرامية او «الدكاكه» كما كانوا يسمونهم. ولما كانت غرفتنا مشاركة لهذه الاسقف، كانت اصوات هؤلاء النواطير وعواء الكلاب مصدر فزع وقلق لي وامن هم في سني من الاطفال. وبالمناسبة اذكر هنا شيئاً عن حراسة الاسواق من قبل النواطير، قلت ان الاسواق كانت مضاءة بشموع الكاز الهزيلة في الوقت الذى تكتنف الظلمة الحالكة طرقات المحرق الضيقة. فكانت غالبية الناس المعروفين طبعاً يتخذون في تنقلاتهم الليلية عبر المدينة طريق السوق المضاء

نوعاً ما، فإذا احس الناطور المتربص باحد المراكز بشخص قادم، او قل لمح شيئاً قادمًا اليه صاح به سائلاً من؟ وعلى القادم ان يجيبه بقوله «صديق» و ينتظر الناطور الى ان يصل اليه القادم «الصديق» ليتبحر في وجهه ولتأكد من معرفته، والا قاده الى دائرة الشرطة ليقضي تلك الامسية فيها، وتصور مرورك بالسوق وانت تستعد لترديد كلمة «صديق» لكل مركز تمر به شيء ممل ولكن الناس تعودوا عليه.

الباب الثاني

جدي الشيخ عبدالوهاب بن حجي الزياتي



المرحوم الشيخ عبد الوهاب بن حجي الزياتي

جدي الشيخ عبدالوهاب بن حجي الزباني

اني لم أر جدي وأتعايش معه إلا لفترة قصيرة في حياته . كانت تجمعنا به أنا وأخي أحمد وعدداً من أولاد عمنا وجبة العشاء كل مساء فقد كان، رحمه الله، يتناول هذه الوجبة بعد صلاة المغرب مباشرة عند عودته من المسجد . وكانت له طريقة خاصة في تغذيتنا، فهو يضع لكل واحد منا كمية محدودة من الطعام في صحن صغير ولا يسمح لنا بتكرار ذلك أو مد يدنا الى الأواني المختلفة والموضوعة على سفرة الأكل ويحدث أحيانا أن أحدنا يجد نفسه لم يشبع مما خصص له فيسارع بعد الانتهاء من الأكل الى حمل الماعون الرئيسي من الطعام بالذات الى المطبخ متظاهرا بالخدمة، ولكنه وهو في الطريق يمد يده مرة ومرة ويأكل من الأكل الموجود في الماعون لكي يشبع نفسه وتكرر هذه الوسيلة كل ليلة والحظيظ من يحمل (الغنجة) (١) . كنا نحترمه ونهابه بل ونخشاه، بعد العشاء يقوم أحدنا بصب القهوة اما والدنا فلا يشاركنا وجبة العشاء، بل كان يجلس جانبا يتحدث للجد عن أخبار العمل والسوق والزيارات النهارية وما شاكلها، اما عشاؤه فيتناوله بعد ذلك في مجلسنا الكائن بالمرق والمقابل لبيتنا . ولما استفسرت عن السبب في عدم مشاركته معنا فيما بعد أخبرني ان الأمر كان مقصودا، وذلك لكي يتمكن والذي من استضافة ضيف موجود في مجلسنا، أو ربما قد قدم الى ضيافتنا في وقت متأخر من المساء . كان الجد بعد العشاء، يطلب منا فرادى أو مجتمعين أن ننشد له ما تعلمناه من نشيد في المدرسة . أو نتلو على مسامعه جزءا مما حفظناه من القرآن أو الحديث . وبقى كذلك حتى يحين موعد صلاة العشاء، حيث ينفض هذا المجلس العائلي ويتوجه الجد الى المسجد ثم الى المجلس . كان الجد يحرص على أن تؤدي الصلاة في المسجد، ويحثنا على ذلك وإذا صادف ومر بنا بعد الصلاة ونحن نلعب في الطريق أو البيت، أوقفنا عن اللعب وسألنا هل صليتم؟ بطبيعة الحال نجيب «نعم» . ولو اننا لم نصل

(١) الغنجة: إناء الطعام الرئيسي المحتوي عادة على الرز وتوابعه.

خوفاً من ضربة مطرقه (١) الذي اعتاد حمله . عندها يفاجئنا بأسئلة مختلفة للتأكد من صدقنا . مثلاً يسألنا ماذا قرأ الإمام؟ أو في أي مسجد صليتم؟ أو نحوه ولما يجد انه بدا علينا الارتباك، ينزل علينا غضبه ويهددنا بالضرب بمطرقه، ولكنه في النهاية يتسامح معنا بعد توبيخنا لعدم الصلاة بالمسجد ولكذبنا .

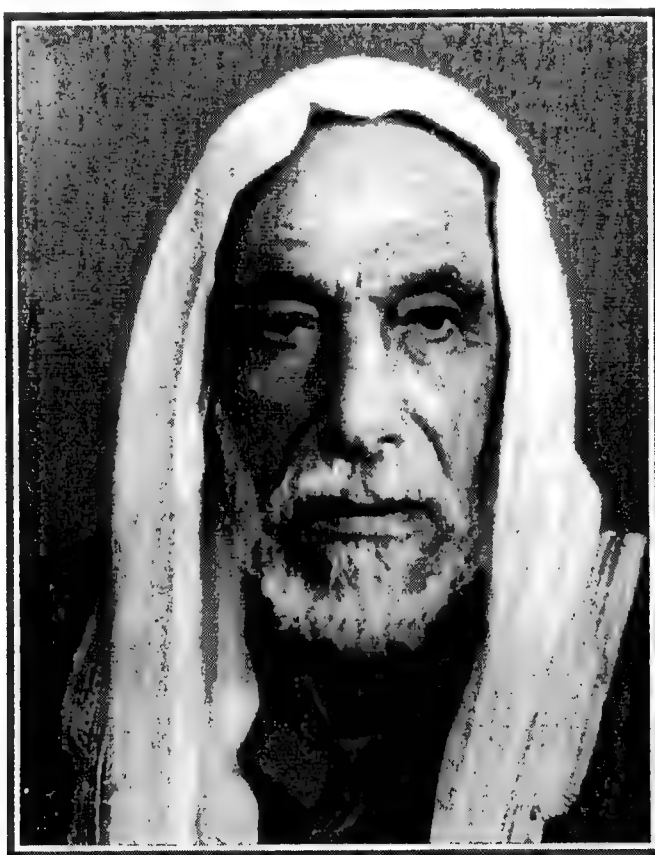
كان الشيخ عبدالوهاب الزباني من حيث السن الابن الثالث بين اخوته الخمسة . وقد توسم والده المرحوم حجي بن أحمد الزباني، توسم فيه الذكاء والجرأة والاستقامة، فغرس فيه روح التعلم والتعليم، وبعثه للخارج لتكملة علومه الدينية واللغوية . ولما عاد من دراسته بنى له مسجداً لا يزال يعرف باسمه في فريق الزبانية ومدرسة حديث وثقيف ديني، حيث مارس امامة المسجد والتدريس في المدرسة المذكورة طيلة وجوده في البحرين .

وبعد سنوات من وفاته، اعترى المسجد المذكور الخلل والتداعي، فقام ابنه عبدالرحمن بهدمه وبناءه من جديد بعد توسعته، وقد ساهم المحسن الكبير المرحوم سلمان بن مطر، بالقسم الأكبر من تمويل ذلك، جزاه الله خيراً . مع مرور الأيام طرأ خلل في عدة أقسام من بناء المسجد شمل خلوته ومنارته، فتبرعت أنا وأخي أحمد بالقيام بهدم المسجد بكامله وإعادة بنائه من جديد بناء حديثاً متطوراً مع توسعة رقعته بإضافة أراضٍ ومحلات مجاورة له وتخصيص خلوة للصلاة خاصة للنساء ذات مدخل خاص ومرافق وضوء وغيره تابعة لها . وبما ان المنطقة في حاجة الى جامع فقد صمم البناء الجديد ليوفي بهذا الغرض الخيري النبيل . . وما دمت قد ذكرت اسم المرحوم سلمان بن مطر وكيف انه ساعد مادياً في بناء مسجد الشيخ عبدالوهاب يجدر بي هنا ان أنوه وأشيد بآثر هذا المحسن الجليل وبعض أعماله الخيرية .

فعندما كان نادي البحرين بأمس الحاجة لايجاد قاعة لتمثيل أول رواية له مجنون ليلي (٢) تكرم جزاه الله خيراً وأعار النادي عمارة تحتوي على حوش (٣) فسيح لتمثيل الرواية المشار اليها آنفاً مما كان له اثر كبير في نجاح الرواية .

(١) البطريق : عصا من نوع خاص عادة يحملها العلماء وكبار السن في ذلك الزمان . (٢) راجع ما كتب عن نادي البحرين في هذا الكتاب صفحة (٢٨٩) (٣) الحوش قاعة مفتوحة داخل العمارة

ومن حسناته انه فتح بيته لمساعدة المحتاجين والمعسرين ابان حلول الكساد العالمي الذى احاق بالعالم في الثلاثينيات من هذا القرن وتزامن ذلك مع انحسار عمل اللؤلؤ وتجارته بسبب اختراع اللؤلؤ الياباني مما جلب الفقر والفاقة للعديد من الاهالي في البحرين والمنطقة وألجأ العديد منهم الى بيع ممتلكاتهم وامتععتهم الشخصية، لا بل وأرغم بعضهم حتى لقلع بعض شبابيك بيوتهم وبيعها لمجرد ان يتمكنوا بئمنها من مواصلة عيشتهم المقنضبة. كما فتح مجلسه مساء كل يوم من تلك الأيام العسيرة لاطعام الجياع من الفقراء والمساكين. رحمه الله برحمته الواسعة وأثابه على أعماله الخيرية.



المرحوم الحاج سلمان بن مطر



المرحوم الشيخ حافظ وهبه أول مدير لمدرسة علي بن ابراهيم الزيناني
وكان يطلق عليها أحياناً مدرسة الهداية الخيرية

ساهم الشيخ عبدالوهاب الزباني مساهمة كبيرة في إدخال التعليم النظامي للبحرين وقد اختير ليتولى منصب نائب الرئيس في مجلس المعارف المؤلف من عدد من وجهاء البلاد آنذاك برئاسة المغفور له الشيخ عبدالله بن عيسى آل خليفة وبقي يزاوِل العمل فيه الى أن نفي (١) من البحرين في عام ١٩٢٣م وقد عهد اليه في البداية ترشيح وتوظيف المدرسين الأجانب نظرا لخبرته واتصالاته بالخارج، خاصة قطر العراق حيث كان يتردد على بغداد ويقضي فيها مدة من الزمن بحكم وجود بيت وزوجة له فيها. وأول المعلمين كما فهمت كان المرحوم الشيخ حافظ وهبة الذي تولى وأدار أول مدرسة نظامية هي مدرسة علي بن ابراهيم الزباني وقد منعت السلطات البريطانية من دخول البحرين عندما عاد من الكويت بعد أن قضى اجارته المدرسية فيها، فاضطر للرجوع الى الكويت ومنها التحق بخدمة جلالة المغفور له الملك عبدالعزيز آل سعود كمستشار ثم سفير الى ان اختاره الله الى جواره. ومن المعلمين الذين تحضروا أسماؤهم النقشبندي والشنقيطي. والرسالة الموجهة من الشيخ عبدالوهاب الزباني للمغفور له الشيخ ابراهيم بن محمد آل خليفة والرفقة صورة منها (٢) تلقي الضوء على مدى اهتمامه بالتعليم في البحرين والحاجة لاستشارته عند اختيار المعلمين الصالحين.

(١) نفاه الانجليز الى الهند لاعتراضه وزملائه على تدخلهم في امور البلاد الداخلية خلافا للمعاهدة

المبرمة بين بريطانيا وحكام البحرين.

(٢) صفحة (٣٠)

بسم الله من ينسب دهره من الهمم ١٤٤١

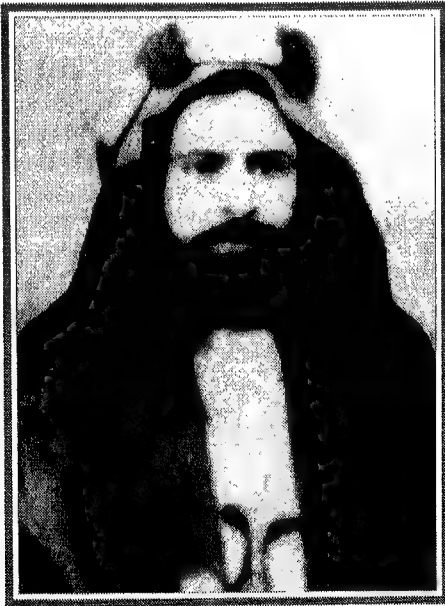
حضرة الفاضل الموقر والدة الوفاي كرم الشيخ ابيه عليهم بن محمد الخليلي المحضر حفظه الله
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته مع السلام الخليلي من عزيزنا كتاب الخليلي
وبعد السورة اخذت كتابكم الكريم مبشور دهره من محمد وسفل من اخلاص من هو طه لطفك
العلي مدادك عزيزي تفضلت يا بدو ما كتبه خبرك انك من العلم البعيد والقدرة التي
اوكد لغيرك اذ احسنه ونصبي من ذاك الالم خير شأهد على ذاك والي ابتهد الى ان
رجي ان يقره اسبابه الى اجتماع من قريب محذير تفضلت بوصف حالة البلاد والمجتمعات
وادواتها الغناكة فكفر بالجهل مناد بالمشهدار فلولا ولا يأس من ادوية الله القوم
الما سرود و لكل اجل كتاب من ضمن من مذكركم مع حضرة الفاضل الشيخ محمد الشتيطي
في تفصيل مسلمين معتدريه وارسلته الى جليلهم من المجاز وتستلنفه نظريه وراعي
فاني اما في على ترسهم ثمة معلومان الشيخ محمد وارسلته فاني امراه البراءة الصدوق
الناصح الخليلي وقد كتبت كتابا له ضيفا هذا من وجعل كتاب الشيخ محمد بن بطيم وارسلته
واكدت عليه في تفصيل الشغل المقصود وانه لم يوافق يا خذرايه وراعي مدبر مدركه الفلاح
في اختياره من يصلح مع الفخذ منه بالسؤال من الة خلوات الفاضلة وارسلته اذ يوفق لهذا
العمل من يقوم بواجبه وراعي بن عبد الرحمن اذ يارسر بالاجابة اليكم وانه ورسلي منه جلاء
انهيته لكم وارسلته اذ يرسليكم ورسلي على انما لكم الجلاء والاسلام عليكم
بسم الله من ينسب دهره من الهمم ١٤٤١

بسم الله من بومبي وفي ١٣ شوال ١٣٤١
 حضرة الفاضل الأفخم والأخ الوفي الأكرم الشيخ ابراهيم بن محمد آل
 خليفة المحترم حفظه الله

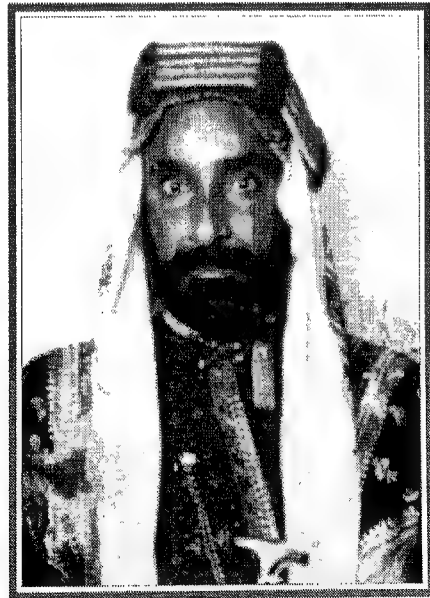
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته مع السؤال الحفي عن عزيز ذاتك
 الفخيمة وبید السرور أخذت كتابك الكريم مبشرا بدوام صحتك ومسفرا عن
 اخلاص عواطف لطفك لصفى وداك. عزيزي تفضلت بإبداء ما يکنه
 ضميرك الأنور من ألم البعد والفراق - اني أؤكد لحضرتك ان احساسني
 ونصبي من ذلك الألم خير شاهد على ذلك واني أبتهل الى الله ربي ان يقدر
 أسباب الاجتماع عن قريب - عزيزي تفضلت بوصف حالة البلاد المهضومة
 وأدوائها الفتاكة فكفى بالجهل موتا وبلاستبداد هلاكاً. ولا ييأس من روح
 الله إلا القوم الخاسرون ولكل أجل كتاب - من خصوص مذاكرتكم مع
 حضرة الفاضل الشيخ محمد الشنقيطي في تحصيل معلمين مقتدرين وارشاده
 الى جلبهم من الحجاز وتستلقتون نظري ورأيي فإني أوافق على ما رأيتموه ثقة
 بمعلومات الشيخ محمد وارشاده فإني أراه البر الصدوق الناصح المخلص -
 وقد كتبت كتاباً لأخيना عبدالرحمن وجعلت كتاب الشيخ عبدالله بطيه وأرسلته
 وأكدت عليه في تحصيل الشخص المقصود وان لم يوافق يأخذ رأيي ورأي مدير
 مدرسة الفلاح في اختيار من يصلح مع التحفظ منه بالسؤال عن الأخلاق
 الفاضلة. وأسأل الله أن يوفق لهذا العمل من يقوم بواجبه وأمل في عبدالرحمن
 أن يبادر بالجواب اليكم وان وردني منه جواب أنهيته لكم وأسأل الله أن
 يجمعني بكم وسلامي على أنجالكم النجباء والسلام عليكم.

عبدالوهاب بن حجي الزباني

كان الشيخ عبدالوهاب كما ذكرت آنفا عالما دينيا ولكنه غير متعصب أو متزمت، وله صولات وجولات والتقاءات مع العلماء في البحرين والمخرج، وبالذات العراق والاحساء بالسعودية وكان له مؤيدون من العلماء المتحررين ومعارضون من العلماء المتعصبين الذين يساورهم الشك والريبة في نشر التعليم الحديث بين أبناء البلاد بمقولة انه يبعدهم عن دينهم، لدرجة ان بعضهم كان يطلق على المدرسة نعوتا غير مقبولة لا تتناسب ورسالتها الخالدة. لقد تبوأ الشيخ عبدالوهاب مركزا مرموقا ومقاما رفيعا بين أهله ومعارفه. وكان رحمه الله يعتبر من الشخصيات العبقريّة الفذة في زمانه حيث كان يكن له الجميع الاحترام والتقدير ولعل أجمل وصف وأوضح دليل على ذلك الكتاب التالي الموجه اليه من قبل المرحومين الشيخ عبدالله بن عيسى آل خليفة - وزير المعارف آنذاك - والشيخ ابراهيم بن محمد آل خليفة - نائب الرئيس :



المغفور له الشيخ ابراهيم
بن محمد آل خليفة



المغفور له الشيخ عبدالله
بن عيسى آل خليفة

بسم الله الرحمن الرحيم

المختص

جبريل الثاني

من عبد الله بن عيسى وإبراهيم بن محمد آل خليفة الى حضرة اخينا الفاضل الشيخ عبد الوهاب
 السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد فقد وصلنا كتابك الكريم وموجب ما أشوت اليه من
 تسرع انهيكم قاسم وعجلته وتأثر احاسانك من ذلك فلا قسلا لربنا الفاضل من ما
 وقع في قلوب اخوانك من الدهشة والحيرة والأسف كيف لا وانت العبد بغيرهم المتخصص
 بشرف العلم وفضلهم الذي يتجهلون بك في المعاصرة العربية ويؤولون في سداد رأيك الوصول
 الى الاصلاحات الراهنة هذا اعتقاد اخوانك فيك وفي خيلهم قاسم وعند اعتبارنا هذا
 لا يبقى لسوء الظن مجال وقد قدم اخوكم قاسم اعتذارا عند اخوانك وأقسم ان
 البارة انتم لم يقصد فيما يدر منه الا الاصلاح وقد امدد الرئيس بالوصول اليكم وتذكركم
 اعتذارا لغيركم وقد وصل اليكم بالفعل ولا شك انكم قابلتموه بما انتم اهل من السماح
 وقبول المعذرة نسأل الله ان ينفعكم ويوفقكم لما فيه نجاح مشروعاتكم الاصلاحية
 من اجتماع الكلمة واتحاد المقصد والله يحفظ وجودكم ويسلمكم
 بحرين والبرك عكس بهب ١٤٢٩

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبدالله بن عيسى و ابراهيم بن محمد آل خليفة الى حضرة اخينا الفاضل
 الشيخ عبدالوهاب بن حجي الزياتي المحترم
 السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد، فقد وصلنا كتابك الكريم
 وموجب ما اشرت اليه من تسرع اخيكم قاسم وعجلته وتأثر احساساتك من
 ذلك فلا تسل ايها الفاضل عن ما وقع في قلوب اخوانك من الدهشة والحيرة
 والأسف كيف لا وانت الوحيد بينهم المتخصص بشرف العلم وفضله الذي
 يتحملون بك في المحاضر العمومية ويؤمنون في سداد رأيك الوصول الى
 الاصلاحات الهامة. هذا اعتقاد اخوانك فيك وفي جملتهم قاسم وعند اعتبارنا
 هذا لا يبقى لسوء الظن مجال وقد قدم اخوكم قاسم اعتذاراته عند اخوانك
 واقسم بايمانه البار انه لم يقصد فيما بدر منه الا الاصلاح وقد امره الرئيس
 بالوصول اليكم وتقديم اعتذاراته لديكم وقد وصل اليكم بالفعل ولا شك
 انكم قابلتموه بما انتم اهله من السماح وقبول المعذرة نسأل الله ان ينفع بكم
 ووطنكم ويوفقكم لما فيه نجاح مشروعكم الاصلاحى من اجتماع الكلمة واتحاد
 المقصد والله يحفظ وجودكم والسلام.

امضاء
 الشيخ عبدالله بن عيسى آل خليفة

امضاء
 الشيخ ابراهيم بن محمد آل خليفة

بحرين واليها ٢٣ رجب ١٣٣٩



المغفور له الشيخ حمد بن عيسى
آل خليفة حاكم البحرين وتوابعها
من ١٩٣٢م الى ١٩٤٢م



المغفور له الشيخ عيسى بن علي
آل خليفة حاكم البحرين وتوابعها
من ١٨٦٩م الى ١٩٣٢م

بسم الله الرحمن الرحيم
من عيسى بن علي آل خليفة إلى جناب الاجل الافخم حضرة العالم
الفاضل الشيخ عبدالوهاب بن حجي الزباني المحترم
أدام الله بقاءه آمين. بعد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ثم السؤال
عن صحتكم لا زلتم بخير وعافية - أما بعد قد أوحشتنا بطول إقامتك في
بمبي ولما طلبت أهلك في أملنا انك على نية الحج - وما صار في أملنا ان
تقيم هناك هذه المدة - بل نود ان إقامتك تكون عندنا وفي وطنك - لهذا
نؤمل من جنابك ان يكون ترجع الى وطنك - وأنا مستعد على مساعدتك بما
يصير لك من اللازم - هذا ما لزم تعريفه وليبلغ السلام العيال ومنا الولد حمد
واخوانه يهدونكم ودمتم سالمين حرر في ٢٥ رمضان ١٣٤١.



حاكم البحرين
عيسى بن علي آل خليفة

لقد أبلى الشيخ عبدالوهاب الزياتي هو وصحبه المخلصون المتحمسون نشر العلم والعرفان بما فيهم أعضاء مجلس المعارف بلَاءً حسناً وكانت فرحتهم كبيرة لا تضاهيها أية فرحة يوم وضع الحجر الأساسي لمدرسة الهداية الخليفية. ففي يوم الاثنين الرابع من شهر ربيع الأول سنة ١٣٣٩ هجرية الموافق ١٦ - ١١ - ١٩١٩م احتفل بهذا الحدث التاريخي الجليل، حيث أقيم سرادق فخم شرفه المغفور له الشيخ عيسى بن علي آل خليفة حاكم البلاد يصطحبه نجله وولي عهده المغفور له الشيخ حمد ونجله الثاني المغفور له الشيخ محمد. وكان في استقبالهم عند مدخل السرادق المغفور له الشيخ عبدالله بن عيسى آل خليفة رئيس مجلس المعارف وعدد من أعضاء المجلس والعلماء والوجهاء والأعيان. وبعد أن استقر بهم المقام ألقى خطب مكتوبة ومرتبلة كان من بينها خطبة الشيخ عبدالوهاب الزياتي نصها ما يلي:

خطبة الشيخ عبدالوهاب الزياتي يوم وضع الحجر الأساسي لمدرسة الهداية الخليفية:

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله الذي هدانا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله وأصلي وأسلم
على سيدنا محمد وآله والمتبعين هداة.
أما بعد فإن أيام السرور في هذه الحياة قليلة وإن المسرات الحقيقية والسعادة الهنية لا تكون إلا في الأعمال التي يبقى أثرها دائماً مستمرا وليس لدينا من وسائل الأعمال ما يجلب الأفراح ويسر البال واني حيثما ألفت لا أرى إلا ما يفتت الأكباد ويضاعف الحسرات من فشو الجهل وفتكه في الأفراد والعائلات وفساد الأخلاق وسوء المعاملات، أفع بذور الجهل راحة وسرور أم مع الشقاق والخلاف تصلح الأمور؟ كلا، لقد كان التاريخ أثبت شاهد لأسلافنا الماضية وبلادنا معشر المسلمين فانها كانت قديما مهد الحضارة والعرفان ومصدرا لأنوار العلوم والبيان لقد كان منا نوابغ العلماء المشرعين والنبلاء المفسرين والمحدثين ومنا الأطباء الحذاق والمهندسون ومنا الصناع

المهرة في جميع الفنون لقد اينعت بلاد الاسلام الغربية (١) وأخصبت خصبا
 كاد يفوق اختها الشرقية اما الآن فقد اجدت بلادنا العربية من العلم والعلماء
 وصرنا كالأجانب عن لغتنا الشريفة حتى كادت أن تتبرأ من نسبتنا إليها لأننا
 ما حفظنا عهدنا ولا قدرناها ولولا ما جاءت به مصر ونوابغ علمائها من
 الكتب والمؤلفات لقضي علينا القضاء الأخير. لقد ساورتني هذه الأحزان زما
 غير يسير من حياتي، ولكن أراني اليوم أشعر بهزة فرح وسرور غير عادي لما
 منّ الله به من هذه العناية بفضل همة ملكنا المعظم وأنجاله الميامين الفخام
 وذويه النجباء والأعيان الكرام بعد أن شعروا بحاجتهم للعلم فجادوا ببذل
 الأموال وجدوا لبذر بذور العلم بأحسن طريق ينال وشرفنا بحضورهم في
 هذا اليوم السعيد الذي سنجعله أكبر أعيادنا وأسعد أيامنا للاحتفال بوضع
 أول حجر أساس معالم العلم المجيد فما أسعدني في هذا اليوم وأبهجني إذ أرى
 جلالة ملكنا المعظم منح أمته التكريم بحضور شخصه لهذا المحفل المنيف
 وما أعظم سروري إذ أرى أسرته المملوكية والأعيان من الرعية يتسابقون
 مهتدين بهديه مفتخرين بتشديد مدارس العلم ومعالم الهدى فأسألك اللهم أن
 تلحظنا بعنايتك وتكلاًنا برعايتك وأن تحفظنا من خطل الرأي وعشرات الفكر
 ونضرع اليك أن تديم بقاء أيام جلالة ملكنا المعظم المحبوب وسعادة أنجاله
 المحترمين انك حسبنا ونعم الوكيل.

* * * * *

علاوة على هذا كان الشيخ عبدالوهاب، رحمه الله، مصلحا اجتماعيا
 وتاجرا بارعا في مزاولة تجارة اللؤلؤ الطبيعي التي اشتهرت بها بلاد البحرين
 وبقية بلدان الخليج العربي، فضلا عن هذا فقد كان وطنيا قوميا مخلصا
 لعروبه ودينه. وتروى عنه هذه الرواية أسردها هنا لتبيان حرصه على مصلحة
 بلاده يقول الراوي: «كان يتولى ويقوم على استحصال رسوم الجمارك في
 البحرين في أيامه هندي بوذي، فلم يرقه تولي هندي أجنبي أهم مورد للدولة

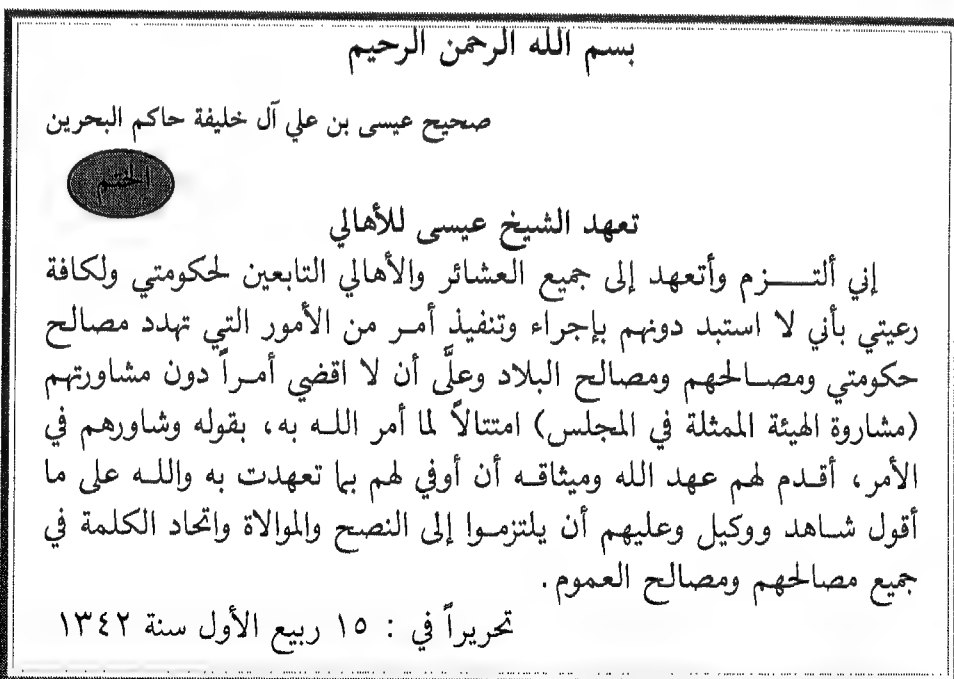
(١) يعني الحضارة الاسلامية في الاندلس والمغرب العربي ابان العصور الوسطى

في ذلك الزمان، فاتصل بولاية الأمور مقترحا تنحية الهندي المشار اليه وإعطاء هذا المركز المهم الى أحد أبناء البلاد من الأتباع أو التجار، فأبدى ولاية الأمور ترحيبا باقتراحه ولكنهم ذكروا له انه سبق وعرض هذا المنصب على عدد من الأشخاص الموثوقين، وبالأخص بعض التجار ولكنهم رفضوا بحجة ان هذا المنصب محرم دينيا فهو «مكس» - فقال لولاية الأمور انه سيأخذ على عاتقه إقناع أحد التجار بذلك، وعند مفاتحته بعض التجار رفضوا قبول المنصب بدعوى ان هذا حرام بمقولة انه «مكس». بطبيعة الحال استنكر منهم هذا الادعاء وقال عبارته المشهورة «اما توافقوا على قبول المنصب. وإلا فاني سأنزع عمامتي وأتولى هذا المنصب» وكانت النتيجة أن نحي الهندي البوذي وتولى المنصب أحد أبناء البلاد.

يوم قرر الانجليز نفي جدي كنت صغير السن لا أدرك تمام الإدراك تفاصيل ما جرى، ولكنني أذكر انه عندما عدت من المدرسة ذلك المساء، وجدت الحزن مخيما على كل فرد في بيتنا، وشاهدت النسوة يجھشن بالبكاء والنحيب. ولما استفسرت عن السبب قيل لي «أبوك العود حجزوه الانجليز ونفوه خارج البحرين».

هذا كل ما عرفته في ذلك الوقت عن هذا الموضوع، ولكن فيما بعد روى لي والدي وأناس آخرون ممن عايشوا هذه الواقعة ما حدث تفصيلا أورد ذلك فيما يلي:

يقول والدي نظرا لتقدم حاكم البحرين المغفور له الشيخ عيسى بن علي آل خليفة في السن، استغل بعض من حوله الثقة التي أولاهاهم إياها فصدرت منهم تصرفات خاطئة. فاتفق رؤساء القبائل وعدد من الاعيان والوجهاء على أن يتقدموا الى سمو الحاكم يطلبون منه تعيين مجلس شورى لمساعدته في تصريف شئون البلاد برئاسته وقد وافق على ذلك وكتب تعهدا والتزاما بذلك، كما تشير الوثيقة التالية . .



ولكن الميجر ديلي - المعتمد السياسي البريطاني في البحرين ويدعى آنذاك (بالليوز) - والذي اشتهر بقسوته واستبداده لم يرقه هذا الإجراء. فانخذ خطة فيها نوع من التحدي تتعارض وموافقة المغفور له الشيخ عيسى بن علي على تشكيل مجلس شورى. وذلك بأن خطط ورتب تولي نائبه وولي عهده الشيخ حمد، الإبن الأكبر للشيخ عيسى، لينوب عن والده في إدارة دفعة الحكم. فاعتبر وجهاء البحرين وأعيانها آنذاك هذا الإجراء تدخلاً في شئون البحرين الداخلية خلافا للمعاهدة الموقعة بين حكام البحرين والحكومة البريطانية والتي منحت الحكومة البريطانية إدارة الشئون الخارجية فقط. عقدوا على اثرها عدة اجتماعات فيما بينهم، وكانت أكثر اجتماعاتهم في مجلس أو بيت الجد الشيخ عبدالوهاب. وتعاهدوا بأن يعترضوا على ما أقدم عليه الميجر ديلي ووقعوا عريضة بهذا المعنى قدمت لدار الاعتماد. وقد وقعها كما فهمت الأشخاص الآتية أسماؤهم:

- الشيخ عبدالوهاب الزباني - السيد أحمد بن لاجح - الشيخ عبداللطيف بن محمود - السيد عبدالله بن ابراهيم - السيد حسين بن علي - الحاج شاهين بن صقر الجلاهمة - الحاج محمد بن راشد بن هندي - الحاج أحمد بن جودر - الحاج عيسى الدوسري - الحاج مهنا بن فضل النعيمي - الحاج جبر المسلم.

فما كان من الميجر ديلي إلا أن دعاهم للحضور للاجتماع في دار الاعتماد ولما حضروا، وكان حاضراً في نفس الوقت المغفور له الشيخ حمد بن عيسى آل خليفة والشيخ عبدالله بن عيسى آل خليفة، سأل ديلي الحاضرين عن الداعي لتقديم هذه العريضة، فنهض الشيخ عبدالوهاب واقفا وقال اننا كتبنا هذه العريضة وهذا الاحتجاج ونصر على ما جاء فيها. ثم تبعه واقفا أحمد بن لاجح وقال انه يؤيد ما قاله الشيخ عبدالوهاب، عندها ترك الميجر ديلي والشيخ قاعة الاجتماع. بعد قليل جاء رسول الى القاعة مناديا كلا من الشيخ عبدالوهاب وأحمد بن لاجح، وطالبا منها الحضور الى غرفة أخرى جانبية. بعد مغادرتها قاعة الاجتماع عاد الرسول وأمر الباقيين بالانصراف

قائلاً: «أنتم مرخوصون»، فما كان منهم إلا ترك القاعة والخروج من دار الاعتماد (الباليوز). يقول والدي عبدالرحمن الذي كان حاضراً هذا الاجتماع «أصابني شيء من الحيرة والذهول في تلك اللحظة، وأردت أن أعرف مصير والدي وزميله. وبعد جهد وعناء تمكنت من الالتقاء بالشيخ عبدالله بن عيسى آل خليفة حيث أخبرني بأن والدي محجوز في غرفة لوحده. وأنه قد تقرر تسفيره وزميله أحمد بن لاحق الى خارج البحرين وأنه - أي الشيخ عبدالله - قد اقترح تسفيره الى العراق، حيث يلتقي هناك بزوجه العراقية وقيم معها في راحة وأمان». طلبت من الشيخ عبدالله، والكلام لا زال لوالدي عبدالرحمن، أن يؤذن لي بالاجتماع به، ولما أذن لي ودخلت عليه وجدته جالسا على كرسي في غرفة فسيحة وقد أرخى رأسه على حافة الكرسي وأغمض عينيه وغط في نوم عميق. أيقظته ففاجأني بتلاوة الآية الكريمة ﴿أنزل عليكم من بعد الغم أمانة نعاساً يغشى طائفة منكم . . .﴾ إلى آخر الآية، هذه الآية كما هو معلوم نزلت أثناء معركة أحد عندما بدأت بوادر انتصار المسلمين على المشركين، وشاهد الرماة الذين أمرهم الرسول عليه الصلاة والسلام بأن يأخذوا مواقعهم في أعلى الجبل فلما شاهدوا بوادر انتصار المسلمين، ظنوا أن المشركين هزموا، فترك الغالبية منهم مواقعهم في أعلى الجبل ونزلوا الى أرض المعركة للحصول على الغنائم. في هذه الأثناء اغتتم المشركون فرصة تخليهم عن مواقعهم وانكشف ظهر جيش المسلمين، فانقضوا عليهم من الخلف بقيادة خالد بن الوليد الذي لم يكن قد أسلم آنذاك. فكانت الكارثة، حيث قتل عدد من المسلمين منهم عم الرسول حمزة بن عبدالمطلب رضي الله عنه وأمير الرماة عبدالله بن جبير وعدد من الصحابة. وجرح النبي صلوات الله وسلامه عليه إذ انكسرت إحدى ثنياه وشاع بين المسلمين أن النبي ﷺ قد قتل، مع أنه صلوات الله وسلامه عليه كان ينادي بهم «علي يا عباد الله» «علي يا عباد الله». بعد أن تلى الشيخ عبدالوهاب الآية الكريمة الآتفة الذكر التي ترمز الى أن الإنسان إذا أصيب بالغم يعتريه النعاس مما يخفف عنه مؤقتاً الغم والمصيبة، أجل بعد أن تلى

تلك الآية أتبعها بقوله «يا ابني ماذا جرى بعد استدعائي الى هذه الغرفة؟» أخبرته، والكلام لازال لوالدي عبدالرحمن، انك وأحمد بن لاحق قد تقرر حجزكما ثم نفيكما من البلاد ثم سأل عن بقية المتعاهدين والمشاركين في العريضة، أخبرته انهم أمروا بالانصراف فتركوا دار الاعتماد، عندها فاه بهذه العبارة «يا ابني لا تبغيها عليهم فالعهد طوق في عنق المعاهد» ثم سأل عن الجهة التي يراد أن ينفي اليها، قلت اقترح الشيخ عبدالله بالنسبة لك أن تنفي الى العراق حيث تعيش مع زوجتك وانسبائك هناك، هنا اعتدل والدي في جلسته والكلام لازال لوالدي عبدالرحمن. . اعتدل والدي في جلسته وصاح بي «لا يا ابني لا أريد الذهاب الى العراق بل أفضل الهند» ولما أعدت عليه الاقتراح وأوضحته له ان هذا فيه راحتك، أجابني «انك يا ابني لا تدرك ما أدركه أنا فاذهب بسرعة واطلب ان تكون الهند، وبومبي بالذات، جهة النفي. وحاول ان تصر على ذلك زاعما انني تاجر لؤلؤ ومعاملتي مع الهند وليست مع العراق. يقول والدي عبدالرحمن أذعنت لرغبته وصدعت لأمره وأخبرت الشيخ عبدالله بذلك، وفعلا نفي مع زميله أحمد بن لاحق الى بومبي بتاريخ ١٠ نوفمبر ١٩٢٣م على ظهر بارجة حربية بريطانية تدعى «لارنس» أخذتهما الى البصرة ومنها نقلا الى باخرة اسمها «فاسنا» توجهت بهما الى الهند. لقد تكدر الشيخ عيسى بن علي آل خليفة من المعاملة التي عومل بها الشيخ عبدالوهاب وزميله أحمد بن لاحق من قبل ميجر ديلي المعتمد البريطاني إثر قيامه بنفيهما من البحرين وبرز ذلك في كتابه التالي المؤرخ ١٥ ربيع الثاني ١٣٤٢ هجرية والموجه للشيخ عبدالوهاب.

بسم الله الرحمن الرحيم

حرمه العلامة الجليل فضيلة الشيخ عبدالوهاب بن محيي الزياتي دامت سلامته
 اننا نعلم دعة الله ومرضاته ولا نلتم متعين بنعمه وبركاته ان ما وقع عليك وعلى زميلك
 من التفت والاعتقال والاضطهاد قد آلم نفسي كما آلم نفوس الاهلين وقد بلغ التاثر بالشعب
 الحصري غاية فوجدتهم بائسًا بالفرج والاضفاف فان للباطل دولة ثم يصح
 والي وانق من ان المراجع الرسمية للدولة البريطانية التي قامت بالعدل وتغذت بالحرية
 اننا لم تكن قد اطلعت خستطلع على هذا التلاعب الجذري والاستبداد الغريب الذي
 رعية المجرديلي في البحرين — لم تقل انت اللفظه كذا فدمنا اهالي البحرين
 ولم نصل الا ما يفعله الكثير من مواطنيك مما يحجمه الشرع والقانون ولكن الافراض
 الشخصية التي تقبل على المجرديلي سياسته هي التي ساقته الى اعتقالك دون
 سؤالك — ان بين البحرين وبين بريطانيا الظلم معاهدة صريحة مسببة
 على الصداقة ولا تجوز التدخل في شؤنا الداخلية او ما يحس استقلالنا
 وهويتنا — ولا ريب في ان هذه الدولة العظيمة هي اولى الامم في الامتثال
 بحقوق الضعفاء — ولكن لم ترالى المجرديلي كيف دنس هذا الشرف
 الابسى فضلتى من ادارة شؤون بلادى وبذلك محى وجود حكومة

عربية محلية ثم عطف على الاهلين سجنًا ونفيًا وتفريرًا
 ولقد انقلبنا أمرنا واصلنا احتجاجنا الى المقامات العالمية تلفرافنا
 فثقت كما انى مستيقن ان حكومة صاحب الجلالة ملك بريطانيا لا بد ان
 تحقق في هذه الامور وتعيد الحق الى نصابه فاصبر الصبر الجميل
 وتوكل على الله انه حسبنا ونفيم الوكيل والسلام

كتب في ١٣٤٢ هـ
 الشيخ عيسى بن علي
 الخليفة حاكم البحرين بيده

بسم الله الرحمن الرحيم
حضرة العلامة الجليل فضيلة الشيخ عبدالوهاب بن حجي الزياتي دامت
سلامته

السلام عليكم ورحمة الله ومرضاته . . . ولا زلتُم متمتعين بنعمه
وبركاته . . ان ما وقع عليك وعلى زميلك من النفي والاعتقال والاضطهاد قد
آلم نفسي كما آلم نفوس الاهلين وقد بلغ التأثير بالشعب اقصى غاية . .
فوعدهم بانتظار الفرج والانصاف فان للباطل جولة ثم يضمحل . . واني
واثق من ان المراجع الرسمية للدولة البريطانية التي قامت بالعدل وتغذت
بالحرية اذا لم تكن قد اطلعت فستطلع على هذا التلاعب الجنوني والاستبداد
الغريب الذي يأتيه الميجر ديلى في البحرين . . لم تقل انت الا مقولة كل فرد
من اهالي البحرين ولم تفعل الا ما يفعله الكثير من مواطنيك مما يبيحه الشرع
والقانون ولكن الاغراض الشخصية التي تُملي على الميجر ديلى سياسته هي
التي ساقته الى اعتقالك دون سواك . . ان بين البحرين وبين بريطانيا العظمى
معاهدة صريحة مبنية على الصداقة ولا تجيز التدخل في شئوننا الداخلية او ما
يمس استقلالنا وحریتنا . . ولا ريب في ان هذه الدولة العظيمة هي اولى
الامم في الاحتفاظ بحقوق الضعفاء . . ولكن الم تر الى الميجر ديلى كيف
دنس هذا الشرف الاسمى فعزلني عن ادارة شئون بلادى وبذلك محى وجود
حكومة عربية محلية ثم عطف على الاهلين سجننا ونفيا وتغريبا .

ولقد ابلغنا امرنا واوصلنا احتجاجنا الى المقامات العالية تلغرافيا فثقت كما
اني مستيقن ان حكومة صاحب الجلالة ملك بريطانيا لا بد ان تحقق في هذه
الامور وتعيد الحق الى نصابه فاصبر الصبر الجميل وتوكل على الله انه حسبنا
ونعم الوكيل . والسلام .

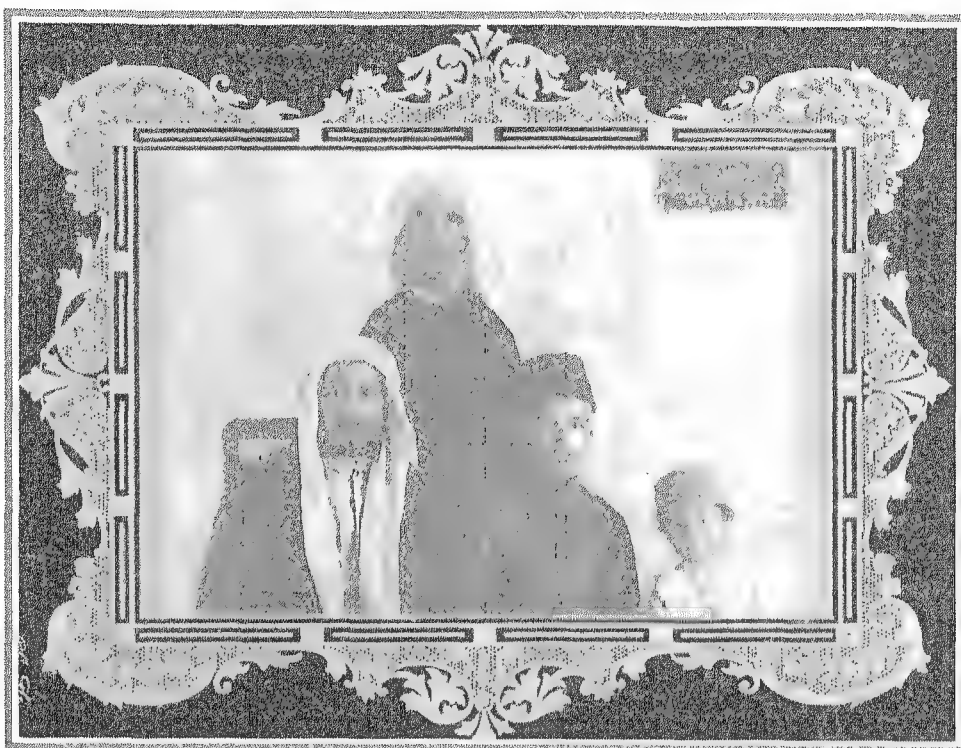


صحيح عيسى بن علي آل خليفة
حاكم البحرين بيده

كتب في ١٥ ربيع ثاني ١٣٤٢



المرحوم الشيخ عبدالرحمن الزياتي اثناء زيارته لوالده
الشيخ عبدالوهاب الزياتي في منفاه بالهند



من اليسار: الشيخ عبدالرحمن الزباني - شريف التركي - المشار إليه في صفحة ١٨٥ - آمنة بنت الشيخ عبدالرحمن الزباني. ويظهر في الخلف الحاج خميس المعراج مرافق الشيخ عبدالوهاب الزباني في صورة أخذت لهم في يومي أثناء زيارتهم للشيخ عبدالوهاب الزباني في منفاه

اما السر في إصرار الشيخ عبدالوهاب على نفيه الى الهند بدل العراق فيمكن في انه كان قد صمم على مقاضاة الحكومة البريطانية في موضوع تسفيره من بلاده ومطالبتها برفع الحظر عنه وإلغاء الحراسة عليه، إذ أن المحاكم في الهند آنذاك مستقلة وحرّة، شأنها شأن المحاكم البريطانية، لا تتدخل الحكومة أو السياسة في أحكامها، بينما محاكم العراق في تلك الأيام لم تكن كذلك. وهذا ما حدث فعلا، فعند وصول الشيخ عبدالوهاب وزميله احمد بن لاجج الى يومي بتاريخ ١٧ نوفمبر سنة ١٩٢٣م، استقبلهما كبار الشخصيات من العرب والهنود، من بينهم الزعيم محمد علي جناح، ومندوب عن جواهر لال نهرو، والزعيم الهندي شوكت علي وغيرهم. أسكن الجد في فندق تحت الحراسة، ثم تقدم عدد من كبار المحامين الهنود للدفاع عنهما واعتبار حجزهما غير قانوني فقررت المحكمة اطلاق سراحهما. كما ورد في رسالة الجد لابنه عبدالرحمن (والدي)، وفيما يلي مقتطفات منها:

بسم الله حمدي ذي الجلال والإكرام
الحمد لله رب العالمين

من عبد له عابداً الى جناتنا لا كرم المولى الذي عبد الله في صفة الله وبقدر له سبحانه رضاء
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته سبقت لكم الملائكة في انزال رزقهم من يد الغنيمة في اولهم وعبدوا الله في
وقد ايسرنا ووسعنا ذلك المكرم في حبيبنا المصطفى محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف
الناسي ورواهم عندهم في حبيبنا واما نحن انما العشرة ونحن حالهم من النحل وولمروا الناس فيهم
ابا جلالهم فمنهم من قصصنا عليهم ولهم الناس لهم هذا السبب ولكن انا انما اعذرهم لعدم فهمهم للخطر في ذلك
بل في عظم عليهم احبوا به قد سجدنا وارضاهم ما بيننا وبينهم لان الله عز وجل انما جعل
لنا محراباً وكنهه لنا فاحصاً ونفكيره دوننا التي قد سجدنا على حوزته بيني وبين الضمير علياً
بأننا انما في الهويل وعدم رخصتنا انما اخذنا من مكان ولقد عدنا رجا فنفكر في الاموال

بسم الله من بومبي ٥ شوال ١٣٤٢ هـ

من عبد الوهاب الى جناب الأكرم الولد الأعز عبدالرحمن حفظه الله
ووفقه لأسباب رضاه .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته سبق لكم من التعريف ما لزم
وقته عن يد القصيصي أولاً وعن يد مقبل الذكر .

وقد أسرني ورود كتابك تحرير ١٧ الماضي مع عبدالله بن علي وما
أشرت به صار معلوما لاسيما عن حالة الناس ودعاهم فجراهم الله
عني خيرا وأما اخواننا العشرة وعن حالتهم من الخجل ولوم الناس
لهم أما خجلهم فهو من قصور نظرهم ولوم الناس لهم بهذا السبب
ولكن أنا أعذرهم لعدم فهمهم للطريق الذي يلزم عليهم اجراء بعد
تفسيرنا وأرجو انهم ثابتين على ما بيننا وبينهم لأن الأمل ان الله
سيجعل لنا مخرجا ويكون لنا ناصرا ونفيدك عن دعوانا التي قدمناها
على حكومة بومبي في الضغط علينا بإنزالنا في الهتيل (١) وعدم
رخصتنا نأخذ لنا مكانا وتوعدنا ربها نسفركم الى الخارج .

(١) الهتيل : يقصد الفندق

فَبَدَأَ الرَّبُّ إِلَى الْكَاهِنِ الْبَارِئِ هَارُونَ وَهُوَ عَصَى نَارَ الْخَمِيرِ وَهُوَ فِي الْمَسْكَنِ وَطَبَخَ
الْخَمِيرَ وَجَعَلَ كَلْبَانًا وَطَبَخَتْ نَارُ وَصْفَتْ وَبَدَأَ يَدْعُوهُمْ وَمَا تَكَلَّمَ لِهَارُونَ وَسَكَلَ الْحَيَّ عَنْهُمْ أُخْرَسُوا
وَقَالَ إِلَى آلِهِ مَا أَتَيْنَاكُمْ هَاهُنَا إِلَّا بِسَاءِ فِتْنَةٍ هَذِهِ أَعْمَالُ الْبَاطِلِ قَالَ كَيْفَ تُقَدِّمُونَ حَرِيشَ بَلَاءٍ فَكَلَّمَ بِحُجَّتِهِ
وَالرَّابُّ نَظَرَ إِلَى خَاسِي حُرْقَتِهِمْ فَقَدَّمَ الْحَيَّ فِي ثِيَابِ عَشْرِ عَشْرٍ قَالَ لِمَ جِئْتُمْ لِي بِحُجَّتِهِمْ
عَوَّضَ عَنِّي لَمْ تَكُنْ سَكَاةَ عِيَاذٍ مِنَ الْوَهْمِ إِلَى تَقْدِيرِ حُجَّتِهِمْ وَجِئْتُمْ إِلَيَّ خُذِي بَالِيكُم مِمَّا لَمْ تَقْضُوا عَنْهُ وَالرَّابُّ
وَالْبَارِئُ يَرِيحُ أَضْغَمَ الْحَبَّةِ عَلَى حُلِيِّهِمْ يَبْسُ وَيُجْبِتُ لَنَا بَسِي بَأْضَعَارِ السَّجْدَةِ هَذَا لِمَ جِئْتُمْ إِلَى
بَلَاءِ خَانِيَةٍ وَلَا أَفْعَلَ بِحُجَّتِهِمْ وَقَسَلَ الْكَمِشُورَ وَوَكَّلَهُ مَا عَمَّوْنُ يَا هَذَا مَا لَنَا عَلَيْكُمْ أَدْنَى حُجَّةٍ وَلَا مَرَامٍ
وَأَسْطَحَ الْكَاهِنُ فِي غُورِ سَبِي رُكْبَتِهِ كَيْفَ جَاءَ نَدَى النِّجَاسِ وَفَعَلْتُمْ كَمَا كَلَّمْنَا وَبَدَأَتْ نَارُ الْخَمِيرِ صَحَّحَ مَرَامٍ
وَطَبَخَ فِي

قدمنا الدعوى الى المحكمة العالية هات كورت (١) وصار
حضورنا يوم الجمعة الماضية وحضر الكمشنر (٢) وبلشتر (٣)
الحكومة وحضر وكيلنا وبلشترنا وحضرت وبدأوا بدعوانا ولما تكلم
بلشترنا وسئل الحجاج عن حجتهم أخرجوا وقالوا الى الآن ما عندنا
معلومات عن الأسباب في تسفير هذا الرجل قال كيف تقيدون
حريته بلا علمكم بحجة - قالوا: نطلب الى خامس من جنوري
نقدم الحجة وفي خمسة عشر نحضر - قال الرجل لا يبقى محجوراً
على حريته هو مفسوح له كل مكان يختاره من الهند الى تقديم
حجتكم وجميع الحاضرين بالمحكمة من المتخاصمين والوكلاء
والبلشترية أخذهم العجب من عمل حكومة بومبي وضجت
الناس بإظهار التعجب من هذا العمل الجاري بلا قانون ولا أقل
حجة وفشل الكمشنر ووكيله واعترفوا بأن ما لنا عليكم أدنى
حجر ولا مراقبة واشتهر الحكم في عموم بومبي وكتبته جميع الجرائد
حتى التيمس وقد فهم وكيلنا وبلشترنا انهم مرادهم يطلبون من

(١) هات كورت يقصد هاي كورت اي المحكمة العليا
(٢) الكمشنر اي المدعي العام (٣) بلشتر اي محامي

رئيس الخلق ونسب الخيرة انه سر عليه لهم سلوانة ثم سر عليهم وكلهم لا ينسبوا على
 جميع الناس وانما ما ينسبوا لهم من سلوانة باعناهم للعدايس وانما ما لم ينسبوا لهم من سلوانة
 ثبتي جميع اعمالهم في الخيرة وثبتي للجمهور والكلهم الذي حصلنا مني من جميع الذين في
 بني رضى علي بن خالد قبلهم عزهم على شديدي بني رضى علي بن خالد الفليسهم ورضاه
 الفليسهم انما نأثر فيهم عليه واحد بالعداير وما صدر بالليل من عضال الهم ودمهم من رجا الفليس
 انه فيهم من رجا الفليس ما علك فيهم الفليسهم والارواح والارواح والارواح والارواح والارواح
 ليس فيهم من رجا الفليس ما علك فيهم الفليسهم والارواح والارواح والارواح والارواح والارواح
 انه اراد فيهم من رجا الفليس ما علك فيهم الفليسهم والارواح والارواح والارواح والارواح والارواح

رئيس الخليج وقنصل البحرين أن يرسلوا لهم معلومات تبرر عملهم ولكن عملهم لا يتطبق على جميع القوانين وإن شاء الله انهم مخذولون بأعمالهم العدائية وإن شاء الله من فشلهم في عملهم معي تتبين جميع أعمالهم في البحرين وتنكشف للعموم والحكم الذي حصلناه قوى عزائم جميع العرب الذين في بومبي وحتى علي بن خالد (١) قبل لهم عزم على تسفيره من بومبي ولا يخرج من محله إلا رجال الفليس (٢) معه ورجال الفليس لا يفارقه في محله واحد بالنهار وواحد بالليل من وصل الى يوم الحكم وبعده منعوا رجال الفليس ان يخرج معه وقالوا له كن آمننا ما عليك تسفير الى الخارج وصاروا يأخذون خاطره وقبل ذلك محتقرين له ليصير لديك معلوما . وبالحاضر ما نحب تشهير الواقع قبل انقضاء الدعوى من خصوصي الا الذي اشتهر عند الناس . إن أردت تسر بالواقع لمن يكتمه فلا بأس قصدنا ان لا يراقبون ما يصلنا من البحرين من الحجج عليهم . . .

(١) المشار إليه هو الشيخ علي بن خالد بن علي آل خليفة
(٢) الفليس يعني الشرطة

بسم الله الرحمن الرحيم

أنا عيسى بن علي آل خليفة حاكم البحرين أرفع الى المراجع الرسمية في الدولة البريطانية شكايتي مما وقع على بلادي وعلي وعلى رعاياي من بعض المعتمدين السياسيين فقد تعدوا على حقوقي وسلبوا مملكتي بدون ارادتي وارادة الاهلين وبدون مسوغاً شرعي ولم يراعوا ما بيني وبين بريطانيا العظمى من العلاقات والروابط وقد انتدبت حضرة الشيخ عبدالوهاب الزباني وكيلاني فهو مفوض مني ومن الشعب العربي المتوطن في البحرين في المطالبة بحقوقنا بكل وسيلة مشروعة .

ولاجل البيان تحرر ذلك في ٢٨ في ربيع الاول ١٣٤٢ .



حاكم البحرين

عيسى بن علي آل خليفة

حضرة أخينا الفاضل الأفخم وصديقنا العزيز المحترم الشيخ
عبد الوهاب بن حجي الزياتي دام تأييده أقدم اليكم سلامي وتحياتي
مصحوبين بخالص الود والاحترام راجيا من الله تعالى انكم في صحة
ومسرة وإعانة من الله مستمرة ثم قد تشرفت بوصول كتابكم الكريم
مؤرخ ١٦ شوال وسرني كثيرا بما تضمن من الإفادة عن صحتك وكمال
ثقتك بمدد الله لك بالنصر للحق على الباطل هذا أملنا فيك وفي همتك
العالية فجزاك الله عن نفسك وعن وطنك وعن أبناء وطنك الذين
أضاعوا أنفسهم ووطنهم بتضييعهم لك خير الجزاء وقد سررت بما
أشرت اليه من قوة الرجاء بما تجلّى لكم من آثار نتائج العمل اني بفارغ
الصبر أنتظر المزيد بتحقيق الأمل والفوز بنصر الله لكم على الخصم
الألد المتغطرس المغرور بجبروته كيف لا وهو الخصم والحكم وقد
تهيأت له الأسباب من كل جانب في تقوية حجته ولكن المؤمن على ثقة
من ربه يتلو - ان تنصروا الله ينصركم وما النصر إلا من عند الله -
فيطمئن قلبه حقق الله الآمال وأيدكم بنصر منه في جميع الأحوال وجمع
الشمّل بكم على أجمل حال وسلامنا على الولد أحمد ومن لدينا الأولاد
يرفعون اليكم وافر السلام والله يحفظكم .

واصل جدي الشيخ عبدالوهاب مقاضاة الحكومة البريطانية نيابة عن المغفور له الشيخ عيسى بن علي آل خليفة غير ان المنية لم تمهله فتوفي في مدينة بومبي في سنة ٦ - ١٢ - ١٣٤٣ هـ الموافق ٢٧ - ٦ - ١٩٢٥ م عن عمر يناهز ٦٣ عاماً حيث دفن جثمانه الطاهر في احدى مقابر المسلمين الخاصة، بعد أن أدت على جثمانه صلاة الجنازة ثلاث مرات متتالية رغم اتساع المسجد . وقد شيع جنازته رجالات العرب المتواجدون في الهند وأكابر الهنود وزعماء المسلمين، وفي مقدمة المشيعين الزعيم محمد علي جناح والزعيم شوكت علي وغيرهم من الزعماء المشهورين . . رحم الله جدي الشيخ عبدالوهاب برحمته الواسعة آمين يا رب العالمين .

وقد رثاه عدد من الكتاب والشعراء اذكر أدناه بعضاً منها :

قصيدة المرحوم الشاعر الكبير خالد الفرج: (مقتبسة من ديوانه)

بطل الجهاد

رثاء المرحوم الشيخ عبدالوهاب بن حجي الزباني زعيم البحرين المجاهد
توفي منفياً من الانجليز في بومبي في الهند في ٦ ذي الحجة سنة ١٣٤٣ هـ

بطل الجهاد ضحية الأوطان	لك في الشهادة رتبة الرضوان
لا تبعدن وان نأى بك مضجع	فالبعد في القلب الصفي تدانى
إن مت مبتعداً فذكرك خالد	متجدد بتجدد الأزمان
خفقت لنعيك في (أوال) ضمائر	فوق الحدود أسلن دمعاً قاني
وكأنها أسلاك نعيك كهربت	تلك القلوب بهزة الخفقان
رزء على رزء صدى آلامه	آهات أحزان بلا سلوان
فقد الزعيم على ابتعاد مزاره	وفوات آمال وموت أماني
متحIRON سؤالهم وجوابهم	بالهمس مات الأوحـد الزباني
يا راحلاً عنا واسم بلاده	ختم لما نطقت به الشفتان
هزت أوال لصوت نعيك هزة	ضؤلت لديها هزة البركان
عذراء ذات وداعة نشبت بمن	تحنو عليه مخالب الحدثان

بالأهل بالأموال بالخلان
من طاهر الأخلاق والجثمان
لم تغذ فوق ترابها بلبان
يا ليتها ضمت رفات الباني
صافي السريرة ثابت الإيمان
ملء النفوس برقّة وبيان
ضمته أكفان سوى الأجفان
تجزى على أعمالها بهوان
وخز الشعور بقاضب وسان
في دفع أرزاء البلاء يدان
مزن الرضى وسحائب الغفران
تغدو إليه ملائك الرحمن

ضحيت بالعلق النفيس لأجلها
ما كان أحوجها لسمع وصية
واضنها بك ان تضمك بقعة
لك فوق تربتها أساس مبادئ
في ذمة الله المهيمن راحل
أقواله أسمى الدروس وشخصه
لو قدرت أفعاله العظمى لما
لكن بلاء الشرق ان رجاله
ان أخلدوا مستسلمين أقضهم
وان استغاثوا صارخين فمالهم
هطلت على ذلك الضريح برحمة
حيث النعيم من الجنان حنوطه

كما رثاه الشاعر الكبير المرحوم عبدالله الزايد بقصيدة أوجز منها الأبيات التالية:

فعلام تجزع والخلود محال
هل يستوي الأدبار والاقبال
ماللأبي بواحتيك مجال

هدف حياتك والسنون نبال
عدل الزمان . . ولا تؤمل عدله
يا دهر هات كؤوس غدرك هاتها

قلنا خبا يتفاقم الاشعال
فالموت سعد والحياة وبال

أودى بنا هب الخطوب فكلما
واذا انتهى عهد التعلل بالمنى

يهنى الفؤاد ويستريح البال
فلها وان طال المدى زلزال
ما مات بل قد ماتت الآمال
هيهات يجدي الدمع والاعوال
ونزحت حين اشتدت الاهوال

ما بعد موتك يا بن حجي ساعة
ان نامت الحدثان يوما عن فتى
عبر الاثير البرق يحمل نعيه
نعي أسال من الجفون قلوبنا
غادرتنا والدهر في غليانه

غشت بفقدك ظلمة وضلال
وخلائق للمكرمات تهال
فجری القضاء وحالت الاحوال
دهراً تردد ذكرها الاجيال
احكامه نقض ولا امهال
لم يستدر بل غاب وهو هلال
الدين والاخلاص والافضال
لو انها علمت بمن تغتال
فتعذر الامهال والادلال
روى ثراك الوابل الهطال
لأقيم تذكاراً له تمثال

دفنت فلا قول ولا افعال
صف العدو أمالهم فأمالوا

ومن العجائب ان تنوء جبال
فالحسن قبح والحرام حلال

وجميعهم رغم الغنى بخال
عين بآيات الهدى تنثال
نار لها دم مدمعي سيال
أضناه من بعد الوصال نصال

بيكيك صحب حاذقون وآل
فلکم تقاس بمثلک الأبطال
إلا إذا شمت بك الأنذال

كنت الغياث وكنت نبراس الهدى
نفس وان جار الزمان ابية
مست فؤادك للمنون انامل
ان مت جسماً انت حي سمعة
امر به حم القضاء وليس في
لهفي على قمر الحياة ونورها
لله من غيتموا تحت الثرى
حق المنية ان تنال خصومه
لكنها خبطت فمست نفسه
يا تربة شرفت بضم عظامه
لولا الجهالة والتأخر والهوى

من للقضية بعد موتك انها
والقوم في نوم وفي جهل وفي

محن تنوء الراسيات بحملها
ان الهوى محق الهدى حجباً له

مات المضحي نفسه ونفيسه
يا عين سحي واندييه انه
وشفاء آلام الفؤاد اذا ذكت
أسف على أسف ولوعة يأس

أسروك غدراً بين أهلك صنعاً
ونفيت حتى مت من ألم الأسى
مهما تفقمت الخطوب حقيرة

وفوادح النكبات وهي طوال
يجبى اليه بكدنا الاموال
وقف عليه العز والاقبال
سير المعالي فالحياة قفال

* * * *

ان الحياة تزاحم وجدال
فالعهد نقض والوعود خيال
رغم التجارب والعظات رجال
تسدى النفوس وتبذل الاموال

تتابع الحسرات وهي عريضة
فقراء في اوطاننا وغريمنا
غرباء في اوطاننا وغريبيها
يا صاحبي دع التحسر فانتهى

يا أيها العرب انهضوا واستبسلوا
نصبوا شباك الغدر في بحر الردى
والغرب اغدر خائن وقعت به
ان الشعوب مصيرها في كفها

الباب الثالث

**والدي الشيخ عبدالرحمن
بن الشيخ عبدالوهاب الزياتي**



المرحوم الشيخ عبدالرحمن الشيخ عبدالوهاب الزياتي

والدي الشيخ عبدالرحمن بن الشيخ عبدالوهاب الزباني

ليس من المعقول ولا الجائز أن أكتب هذه الذكريات ولا أذكر ولو شيئاً مقتضباً من سيرة والدي الشيخ عبدالرحمن طيب الله ثراه. ففضله العظيم علي وعلى اخوتي لا يمكن أن ينسى أو يغفل. فبريسته الحكيمة تربينا، وبفضل طباعه الحميدة تطبعنا، واتباعاً لسيرته الحميدة حاولنا، ونحاول بإذن الله. والدي كان الابن الأوسط من الثلاثة الاخوة. ومع اني لم أدرك الأكبر منهم، لأنه توفي قبل ولادتي إلا اني أستطيع أن أقول ان ذاكرتي تستطيع أن تتذكر لمحة بسيطة عن أخيه الأصغر قبل وفاته. ومن مجرى الحوادث والكلام علمت ان جدي كان يعتمد اعتماداً كلياً على والدي، بخلاف اخوته فقد كان والدي باراً بوالده مطيعاً لأوامره، ملتزماً بالتزاماً كلياً بخدمته وتوجيهاته. وقد ذكرت في موضوع آخر من هذه الذكريات مثالين على ذلك، أولهما عندما قرر ميجر ديلي نفي الجد وتسفيره خارج البحرين وعرض والدي على جدي أن تكون وجهة التسفير العراق للعيش في بيته في بغداد مع زوجته العراقية، صفحة (٤٣) والأخرى عندما أمر الجد والدي أن يكتب حوالة بمبلغ خمسة آلاف روبية لزائر لم يكن معروفاً لديها صفحة (١٦٩).

كان والدي صبوراً مؤمناً بقضاء الله وقدره، وقد شاهدته عندما بلغه خبر وفاة والده بمنفاه في بومبي يجلس بين المعزين في المجلس دونما يبدو عليه الانهيار والحزن الشديد. ولكنه ما كاد يدخل البيت بعد ذلك ويعانق شقيقته، حتى انهمر دمعته بغزارة.

لم يترك له والده مالا أو ثروة، بل ترك له تركة مثقلة بالديون، وعائلة كبيرة تزيد في عددها على أربعين شخصاً.

كانت هذه الديون قد تراكت بسبب كساد عمل اللؤلؤ الذي شمل المنطقة بأكملها آنذاك. وكانت تجارة اللؤلؤ هي التجارة والمورد الوحيد للعائلة في ذلك الزمان.

كانت تركة جدي عاجزة عن تسديد ديونها المتراكمة إلا ان والدي وبكل إصرار عقد العزم على تبرئة ذمة والده وإعالة عائلته الكبيرة رغم قلة موارده المالية كما شرحته سابقا. وقد حاول وجاهد لتسديد هذه الديون الكثيرة المتفرعة بالحسنى والتفاهم، وقد قمت بمساعدته بعد عودتي من الجامعة الأمريكية ببيروت، ووقفنا في النهاية الى الخلاص من هذا المأزق الحرج بفضل صبرنا وجهدنا وإيماننا بأن الله سبحانه وتعالى سيأخذ بيدنا ويعيننا.

مع هذا فقد قام والدي بعد وفاة والده ببيع الأملاك والموجودات الموجودة ليسدد بعض الديون وأذكر انه كان يحضر في مجلسنا كل يوم «محرج» دلال يحرج على أمتعتنا من ملابس وفرش وزل وصناديق وأواني وغيره ويكون ذلك بحضور عدد من وجهاء البلد وتجارها وقد اصططفوا على الكراسي يحيطون بالمعروضات من ثلاث جهات بينما تركت جهة واحدة للدخل والخارج. ويقوم المحرج بالطواف ببعض هذه الأمتعة مارا بها على الجالسين واحدا واحدا قبل أن يشرع بالمناداة عليها. فهذا يزيد في سجادة وتقيد عليه، وذلك يزايد في أنية أو طاولة أو كرسي وكنت صغيرا أجلس على عتبة المدخل أتابع ما يجري باستغراب وتعجب وفي يوم من هذه الأيام لاحظت ان أحد الخدم قد أحضر الى المراه طاولتي الصغيرة التي كنت أجلس اليها للذاكرة دروسي، والتي لا يزيد حجمها على قدمين × قدم واحد، مع كرسيها فصرخت من دون وعي مني «مизи - مизи» أي طاولتي وأخذت أصرخ وأبكي بكاء حارا لفت انتباه الحاضرين وبدأوا يتساءلون عن سبب صراخي وبكائي. وأراد والدي أن يسكتني ولكن لم أستطع السكوت. فامتنع الحاضرون عن المزايدة عليها بعد أن وصل ثمنها مع الكرسي ١٦ روبية (أي دينار وستمئة فلس). هنا تدخل والدي وقال «قيدوها على حسابي». هكذا كانت نزاهة والدي وأمانته رحمه الله.

ومع ان والدي كان دائما متعاطفا ومتعاوننا مع جماعته وأقربائه، إلا ان بعضهم للأسف لم يكونوا يضمرون له المحبة، بل ضاددوه وقاوموه حتى وصل الأمر ببعضهم الى الشكاية عليه ومقاضاته، مع هذا فقد نصره الله وبدل أن

ينتقم منهم أو يعاملهم معاملة سيئة، قابل السيئة بالحسنة وساعد المحتاج منهم ماليا وأديبا عندما تحسنت أحوالنا المالية، ولعله من الطريف أن أروي هذه الواقعة كمثل لذلك: تقدم اليه أحد الفقراء المعسر من جماعتنا طالبا منه شهادة بأنه فقير صاحب عائلة وذلك لكي تسمح له دائرة الأوقاف بالسكن في بيت وقف صغير أوقف على المحتاج من الجماعة فأعطاه الوالد الشهادة المطلوبة التي مكتبته من موافقة دائرة الأوقاف والسماح له بالسكن في ذلك البيت ولكن شخصا آخر من مستوري الحال من الجماعة لم يرقه نزول الشخص الفقير في ذلك البيت فاحتج مطالبا سحب الشهادة وأراد والذي أن يثنيه عن احتجاجه ولكنه أصر وأقام دعوى على والذي في إحدى المحاكم. وبالرغم من الخصومة بينه وبين والذي إلا أن والذي كان يتوجه في صباح يوم الحضور بالمحكمة إلى بيت المدعي المذكور، ويطرق بابه قائلا «يا فلان جئت أذكرك أننا اليوم مدعوون للحضور بالمحكمة فتعال معي في سيارتي لأوصلك إلى المحكمة. وكرر ذلك معه عدة مرات إلى أن فشل ادعاء المدعي وألغيت الدعوى. وبمرور الأيام ولما ضاق حال المدعي الخاسر ماليا، جاء لوالدي وهو يعتذر عما فعل زاعما أنه قد حرص على ذلك، فسامحه وأكرمه وجعل يساعده وعائلته ماليا إلى أن اختاره الله إلى جواره.

كان والذي لا يتوانى عن ملاحظة الكبير والصغير، الفقير والغني، يعطف عطفًا كبيرًا على الفقراء والعاملين. وأروي ما رواه لي مشرف البناء لدينا أثناء بناء بيوتنا بالرفاع، يقول المشرف المذكور في كثير من الأحيان يأمرني والدك بصرف العمال قبل حلول وقت دوامهم، ولما أحاول أن أثنيه عن عزمه وأذكره أن انتهاء الدوام بعد ساعتين أو ثلاث يقول «ولو» فاليوم حار أو بارد أو ممطر، ويكفي أنهم اشتغلوا من الصباح للآن. وفي بعض الأحيان يعطيني بعض النقود لأوزعها عليهم.

كذلك كان - رحمه الله - يحرص على عمل الخير ويرحب بدراسة او تنفيذ أي اقتراح يأتي من أي انسان في هذا الخصوص، وأذكر هنا حدثين خيرين كان لوالدي شأن كبير في تنفيذهما:-

١ - بناية الأوقاف:

في اواخر السبعينات، عندما كنت أتحدث مع والدي، رحمه الله، في امور مختلفة جاء ذكر الاوقاف ومخصصات الأئمة والمؤذنين فقد كان والدي عضوا في مجلس الاوقاف السنية وقد قضى في مجلسها حقبة من الزمن، وكان من جملة الحديث والتعليق ان دخل الدائرة ضعيف، ولذلك اضطرت الدائرة الى توظيف أئمة ومؤذنين اجانب من الباكستانيين او ما شاكلهم.

طرأت لي عندها فكرة عرضتها على والدي وهى لماذا لا تبني دائرة الاوقاف بعض اراضيها الخالية على ان يختار المهمة منها ليتكون من دخلها مورد مالي اضافي؟ اجاب، رحمه الله، البناء يحتاج الى مال وهذا ليس متوفرا لدى الدائرة واذا سعينا الى الاقتراض فالإقتراض لا يأتي الا بالفائدة الأمر الذى يدخل تحت شعار الربا.

انقطع الحديث عند هذا الحد ولكني في اليوم التالي توجهت اليه بهذا الاقتراح: ان يتوجه والدي شخصيا لمقابلة جلالة الملك خالد بالسعودية او يوجه كتابا الى جلالته يطلب المساعدة عن طريق قرضة حسنة لبناء بعض هذه الاراضي. رحب والدي بالاقتراح ووعد بتنفيذه عند سئوح الفرصة المناسبة بعد ان يعرض الامر على المسؤولين بادارة الاوقاف والمسئولين بالدولة، غير ان الفرصة مع الاسف لم تسنح له حيث تمرض ثم وافته المنية رحمه الله. رأيت بعد وفاته ان آخذ هذه المهمة على عاتقي منفذا رغبته وأمنيته فاتصلت بالمسئولين بدائرة الاوقاف وبالمسئولين في الحكومة استأذن منهم القيام بهذه المهمة، ولما ادركت استحسانهم توجهت الى الرياض حيث قابلت وزير المالية الشيخ محمد عبدالله ابا الخيل ولما شرحت له الامر شرحا وافيا. رحب جزاه الله خيرا، بالمساعدة وطلب ارسال طلب بذلك.

قدم طلب القرض، واحمد الله ان هذا المسعى قد تكمل بالنجاح التام حيث

اقرضت المملكة السعودية مشكورة ومأجورة دائرة الاوقاف السنية قرضة حسنة مناسبة تسدد على اقساط مريحة مكنت الدائرة من بناء بعض المباني في اراضيها مما جعل لها ريعا مناسباً يساعدها على القيام بمهامها.

٢ - مقبرة المحرق:

تعد مقبرة المحرق اكبر مقبرة في البحرين وكانت تقع في مكان بعيد عن بيوت السكن ولكن الزحف السكاني احاط بها من كل جهة، كما انها تقع بالقرب من مطار البحرين الدولي ويمر بجوارها القادمون والمغادرون من المسافرين.

جلست الى والدي في احد الايام وأثرت موضوع تحويطها فلقيت منه، رحمه الله، كل ترحيب وتشجيع.

عهدنا الى مقاول بالقيام بذلك بعد ان اتصلنا بدائرة الاوقاف واستحصلنا الاذن لذلك. اثناء تحويط الجهة الشرقية منها اعترضنا امر لا بد من التشاور فيه مع المختصين. هذه الجهة تحتوي على قبور اخواننا جماعة الشيعة من سكنة المحرق فلا بد من مشاورتهم. ارسل الوالد رسولا الى كبيرهم ويدعى - بن نايم - وطلب الاجتماع به وعند حضوره وبرفقته شخص من جماعتهم فتح الوالد الموضوع معه، وكنت حاضرا، وأخبره اننا نقوم الآن بتحويط المقبرة فهل تسمحون لنا بتحويط جهتك؟

اجاب بالقبول والرضا والشكر، ثم اردف قائلا يا شيخ عبدالرحمن نرجو ان تكملوا احسانكم وذلك بأن تمدوا لنا انبوبة ماء من احد العيون الى موقع المقبرة. رحب الوالد بذلك وعملنا على مدها حسب طلبهم. ونحمد الله اننا بعملنا هذا قد سترنا على قبور ضمت العديد من اهالينا وذوينا واخواننا رحمهم الله برحمته الواسعة.

كذلك كان من عادته في شهر رمضان ان يدعو الى مائدته يوميا عددا لا يقل عن اثني عشر شخصا من الفقراء والمساكين لمشاركته فطوره. ويجلس معهم بعد الفطور يحدثهم ويتقصى أحوالهم ومعيشتهم ولا ييخل على بعضهم بما تجود به نفسه. ولما نزلنا بالرفاع، رتب سيارات تأتي بهم من أنحاء مختلفة من البلاد وتعيدهم الى محلاتهم. وكان يحتفظ بدفتر دون فيه أسماءهم. وقبل

وفاته ببضع سنوات عندما حل شهر رمضان في فصل الصيف، وكان قد اعتاد ان يصيف وعائلته في القاهرة، ومراعاة لصحته وطول أيام الصيام في فصل الصيف الحار عرضت عليه أن يرمض في القاهرة مع العائلة، فاستنكر مني هذا الاقتراح وقال يا ابني كيف تقترح علي هذا الاقتراح! ان علينا واجبات وموجبات تجاه الفقراء في هذا الشهر. وبعد ان استشرت والدتي ورأيتها تحبذ الفكرة عدت اليه مرة أخرى قائلاً «ان في القاهرة فقراء أشد فقرا وانه بإمكانك إطعامهم طيلة الشهر، وبعد رجوعك بإمكانك توزيع ما يقسم الله من مال على الفقراء هنا فتكسب بدل الأجر أجريين!» سكت ولم يجبني بجواب، وأنا من طبعي لا أحاول مجادلته، ولكني لاحظت بعد يومين انه بدأ يستعد للسفر الى مصر. بعد مضي بضعة أيام من رمضان أرسل الي كتابا من القاهرة يقول فيه العبارة التالية «يا ولدي انك لما اقترحت علي السفر كنت غير مقتنع أو راض عن اقتراحك ولذلك سكت ولم أجبك ولكن بعد أن وصلنا الى القاهرة ورتبنا مع إمام المسجد القريب من منزلنا بأن يدعو عددا من الفقراء كل يوم لإطعامهم في المسجد تحت إشرافه وأيضا أطعمنا الحارس والبواب وعائلاتهم، شعرت بالارتياح والسرور وقلت بارك الله في ابني فمشورته دائما حسنة وجيدة. وعند العودة إن شاء الله سنقوم بالواجب تجاه فقراء البحرين». وقد اتبع هذا البرنامج في السنوات التالية حتى اختاره الله بجواره في الثالث والعشرين من شهر يوليو ١٩٧٧م. قبل وفاته بأيام وكان في القاهرة مع العائلة اتصلت بي إحدى شقيقاتي من القاهرة هاتفيا قائلة ان والدي يشكو من ألم في بطنه، فاتصلت به وكنت آنذاك عازما على السفر الى أوروبا، وعرضت عليه أن أحضر الى القاهرة أجنبي انه لا يشكو من شيء مهم بل عارض بسيط. وألح علي أن لا أغير برنامج سفري. فصدعت لرغبته وبعد يومين من وصولي الى لندن، استفهمت من الشقيقة فقالت انه لا زال يشكو، فأمرت ولدي خالد أن يتوجه الى القاهرة حالا ويخبرني بواقع الأمر وأن يحصل على تقرير طبي من طبيبه المعالج يرسله برقيا. فعلا توجه الولد خالد وأرسل التقرير ولما عرضته على الطبيب في لندن قال انه يحتاج الى عملية جراحية في المعدة. عندها استأجرت طائرة خاصة بها طبيب وممرضة

للتوجه الى القاهرة وكنت على اتصال دائم مع ولدي خالد لإجراء الترتيبات اللازمة في القاهرة وإقناع الوالد بالتوجه الى انجلترا على ظهرها . ولما وصلت الطائرة الخاصة استقبلته بالمطار بسيارة إسعاف كما حجزت له غرفة باحدى المستشفيات وعند التوجه الى لندن بسيارة الإسعاف حدث معه رحمه الله انتكاس فتوجهنا الى أقرب مستشفى يقع على طريقنا الى لندن . الا انه مع الأسف الشديد لم يكن بالإمكان إسعافه رغم محاولة الأطباء ففاضت روحه الطاهرة الى بارئها في هذا المستشفى ، هنا لا بد لي من ذكر شيء عن نبل وأريحية أحد أبناء البحرين الطيبين . كان هذا الشخص الأريحي السيد ابراهيم المحروس أناء ذلك يرقد في احدى مستشفيات لندن وقد أجريت له عملية جراحية حديثة ويحتاج لبضعة أيام قبل أن يسمح له بمغادرة المستشفى . ولما سمع اننا نحاول الحصول على غرفة باحدى المستشفيات للوالد ونجد صعوبة لعدم توفر ذلك ، أرسل الى ابنه يعرض علي أن يطلب من طبيبه المعالج أن ينقله الى شقته لمواصلة الاستشفاء فيها لكي يكون بالإمكان استعمال غرفته في المستشفى لوالدي . انه تقدير جميل منه جزاه الله خيرا .

كان والدي وفيّاً مع الناس عموماً ، لا يتخلف عن المبادرة بزيارة أو ردها ، ويحرص حرصاً كبيراً على أداء واجب التعزية لمن يعرف أو لا يعرف ، وأذكر انه في اليوم الثاني من وفاته ، وكنا جلوساً للتعزية في مجلسنا بالرفاع ، دخل شخص من عامة الناس وهو يبكي بصوت عال ويردد «الله يرحمه - الله يرحمه» ولما رأيت انه لم يتوقف عن البكاء قلت له هون عليك وترحم له بدل البكاء . توقف عن البكاء والنحيب وقال بالحرف الواحد «يا أبو خالد أنت ما تعرفني ولا تعرف كيف كسبني والدك بمعروفه ، فأنا رجل فقير من أهالي الحالة بالبحرق ، توفي والدي قبل بضعة أشهر وجلست في البيت لاستقبال المعزين . ولم يمر بي إلا أفراد قلائل من الجيران . وفي صباح اليوم الثالث ، سمعت من يطرق باب بيتي فتحتة فاذا بشخص يسألني : «هل هذا بيت فلان؟» فلما أجبت بنعم ، قال هذا العم الشيخ عبدالرحمن جاء ليعزيك في والدك . انه لا يعرفني ولم يكن بيني وبينه أية صلة او معرفة» .

(الفصل الاول)

بدايات التعليم النظامي في البحرين

بقايا مدرسة المرحوم الحاج علي بن إبراهيم الزباني في الحرف



بدايات التعليم النظامي في البحرين

يشير البعض الى ان التعليم النظامي في البحرين ابتدأ في عام ١٩١٩م يوم احتفل بوضع حجر الاساس لبناء مدرسة الهداية الخليفية ولكن الواقع غير ذلك فالتعليم النظامي في البحرين ابتدأ قبل افتتاح هذه المدرسة بستتين او ثلاث في مدرسة المرحوم الحاج علي بن ابراهيم الزياني بالمحرق .

اذ عندما قرر مجلس المعارف المشكل من الاعضاء التالية اسماؤهم :

الشيخ عبدالله بن عيسى آل خليفة رئيساً - الشيخ ابراهيم بن محمد آل خليفة نائباً للرئيس - الشيخ عبدالوهاب بن حجي الزياني نائباً للرئيس - الحاج عبدالرحمن بن محمد الزياني عضوا - الحاج يوسف عبدالرحمن فخرو عضوا - الحاج علي بن صقر الجلاهمة عضوا - الحاج عبدالرحمن بن الشيخ عبدالوهاب الزياني عضوا - الحاج محمد بن راشد بن هندي عضوا .

عندما قرر انشاء مدرسة نظامية قبل بضع سنوات من بناء مدرسة الهداية الخليفية الحالية لم يجد المجلس بيتا او مكانا لائقا لاستعماله كمدرسة ، هنا تقدم المرحوم علي بن ابراهيم الزياني وعرض عليهم استعمال مدرسة كان المذكور قد بناها قرب بيته في فريق الزيانية بالمحرق ، بناها خصيصا لتكون مدرسة دينية تلحق بالمسجد المجاور لها . وكانت هذه المدرسة مكونة من ٩ الى ١٠ صفوف يمتد امامها ليوان استعمل قسم منه كصف اضافي .

وقد تتلمذ بتلك المدرسة الاستاذ احمد العمران ومحمد يوسف فخرو وأحمد بن شاهين الجلاهمة وحمد المحميد ومحمد مراد ومحمد علي عبدالله عبيدلي وغيرهم وكان يدير المدرسة الاستاذ الجليل الشيخ حافظ وهبة الذي كان في استضافة جدي الشيخ عبدالوهاب الزياني ووالدي الشيخ عبدالرحمن رحمة الله عليهم جميعا . ثم تولى ادارتها المرحوم الشيخ عبدالعزيز العتيقي الذي كما فهمت جرى ترشيحه عن طريق الشيخ حافظ ، اما تمويل المدرسة ومصاريفها فكانت تأتي عن طريق التبرعات والاعانات الفردية .

(الفصل الثاني)

تأسيس مدرسة الهداية الخليفية



مدرسة الخلدية الخلدية

تأسيس مدرسة الهداية الخليفية

في هذه الاثناء شرع في تشييد مدرسة الهداية الخليفية التي استغرق بناؤها اكثر من سنتين لكونها بنيت بطريقة تختلف عما كان يتعارف عليه في ذلك الزمان من طرق البناء فقد بنيت جدرانها من الحجر البري او الجبلي، الذي لا اعرف من اين اقتطع او أتى به. وكان يعمل على تربيع تلك الاحجار عمال من الهنود، حيث كانوا ينحتون جوانبها ليشكلوا منها مكعبات تقدر قياساتها بـ $14 \times 8 \times 8$ بوصة وكانوا يصفونها على بعضها واضعين بينها شريطا من الاسمنت. ولهذا السبب استغرق بناؤها وقتا طويلا. وقد بنيت المدرسة من طابق واحد على هذه الطريقة من البناء، ولكن فيما بعد بني فوقها طابق آخر بالطريقة البحرينية المعتادة وكانت المدرسة الاصلية مكونة من غرف، او صفوف، في الشمال امامها ليوان مسقف وغرف اخرى من الشرق. ومن درج وغرف اخرى من الغرب تفصلها قاعة كبيرة تستعمل كمسجد في الايام العادية، وكقاعة للاحتفالات والاستعراضات عند اللزوم.

اما الجنوب فبقي مفتوحاً على الخارج وكانت تحيط بالمدرسة من كل جوانبها آنذاك اراض فارغة تفصلها عن المحرق من الجنوب وعن قرية البسيتين من الشمال. وتمتد هذه الاراضي الخالية الى ساحل البحر من الغرب، حيث بني على حافة البحر غرف صغيرة تستعمل كمغاسل للوضوء ودورات مياه اذ لم يكن يوجد في بناية المدرسة الاصلية دورات مياه. ولعله من المناسب ان اذكر هنا لمحة بسيطة عن الاحتفال بوضع الحجر الاساسي لبناء مدرسة الهداية الخليفية. ففي عام ١٩١٩م أقيم سرادق كبير في شمال مدينة المحرق شرفه بحضوره المغفور له الشيخ عيسى بن علي آل خليفة حاكم البحرين المعظم يصحبه نجله وولي عهده الشيخ حمد ونجله الثاني الشيخ محمد وكان في استقبالهم عند مدخل السرادق المغفور له الشيخ عبدالله بن عيسى آل خليفة وزير المعارف وأعضاء المجلس والأعيان والوجهاء (١).

(١) مزيداً من التفصيل في صفحة (٣٧) الباب الثاني الفصل الاول تحت عنوان جدي الشيخ عبدالوهاب.



المرحوم الأستاذ عثمان الحوراني

لقد فاق السيد عثمان الحوراني (وهو من مواليد حماه ببلاد الشام ومن الذين اضطروا للفرار من سوريا، اذ كان من بين الذين حكم عليهم الاستعمار الفرنسي بالاعدام فالتجأ للبحرين وصار مديرا لمدرسة الهداية الخليفية)، فاق كافة المديرين الذين سبقوه في ادارة مدرسة الهداية بنشاطه وحيويته ناهيك عن حزمه وحسن ادارته. وكان الجميع سواء الاساتذة او التلاميذ يحترمونه ويخشونه. وكان يستعمل العصا في بعض الاحيان عند اللزوم واذكر اني شاهدته مرة، وكنا في اجتماع الطابور بقاعة التجمع في المدرسة، وهو يضرب امام الجميع بعصاه الطويلة احد التلاميذ من صفي لانه انتقد باستهزاء احد الاساتذة في الصف فاشتكاها الاستاذ الى المدير وكان ضربه مبرحا حتى ان علامات الضرب والجروح الناتجة عنه بقيت ظاهرة للعيان على جسم التلميذ اياما معدودة. وكان يعترى الصغار من التلاميذ نوبة من الهلع والخوف اثناء بروز الحوراني الى القاعة حاملا عصاه الطويلة.

فقد حدث مرة اثناء معاقبة احد التلاميذ وضربه بالعصا، ان سقط على الارض احد هؤلاء الصغار مغشيا عليه.

تمثيل رواية كسرى ووفود النعمان:

كان من جملة نشاط الحوراني انه قرر في أحد احتفالات المدرسة ان يمثل التلاميذ رواية قصيرة فاختر واقع كسرى ووفود النعمان. جاء رسوله يستدعيني لمقابلته في الادارة ولما مثلت بين يديه قال «يا راشد لقد اخترتك لتقوم بدور كسرى في هذه التمثيلية» في واقع الامر شل لساني ولم استطع ان اجيب بالقبول ام عدمه، فمن يستطيع ان يخالف امرا للسيد عثمان الحوراني ظللت ساكنا مترددا. ثم اردف قائلا «اني توسمت فيك الكفاءة للقيام بهذا الدور ولذلك اخترتك». خرجت من مكتبه وانا حائر واقول في نفسي «هل من المعقول وانا في هذا السن ان اقوم بدور كهذا امام الحشد الهائل من المدعوين والمتفرجين والذي بلا شك سيكون في مقدمتهم كبار الشيوخ والاعيان والتجار!» ولكن كما ذكرت آنفا من الذي يستطيع ان يخالف ما



من اليسار : المغفور له جلالة الملك عبدالعزيز - المستشار بكرريف - صاحب السمو المغفور له الشيخ حمد
المرحوم الحاج عبدالرحمن القصبي

يريده السيد عثمان الخوراني . وبمرور الايام ، ومع بعض التدريبات تغلبت على ترددي وخوفي من الفشل ومثلت الرواية في ساحة المدرسة . كان المسرح البسيط عبارة عن عرش مرتفع ، صف على جانبيه مقاعد في مستوى انزل جلس عليها الوفود اما انا فقد اجلسيت على العرش ، ووضع على رأسي الصغير آنذاك تاج مرصع باللاآلىء والمجوهرات كما عهد لي ان امسك صولجانا مذهبا ومرصعا بالجواهر . واذكر انه لما فتح الستار وشاهدت نفسي في وضع رفيع عال بالنسبة للوفود والمشاهدين ، اعتراني نوع من الغطرسة والتعالي فمثلت الدور على احسن ما يرام خاصة اثناء تبادل الكلام مع الوفود والطريقة التي كنت احادثهم بها . والدليل على ذلك انه لمجرد الانتهاء من التمثيلية واسدال الستار ، اندفع نحوي السيد عثمان الخوراني وبقية الأساتذة وهم يهتفونني ويشدون على يدي بكل قوة وابتهاج ، مما يدل على سرورهم بأنني اجدت الدور الذي عهد الي . وأعتقد ان هذه هي أول رواية مثلت في البحرين رغم كونها صغيرة ومختصرة .

والسيد الخوراني هو الذي اقنع مجلس المعارف آنذاك بارسال بعثة تعليمية الى الجامعة الامريكية في بيروت والتي كانت أول بعثة ترسل للخارج ، والذي كان لي الشرف ان اكون من بين احد افرادها .

وكما اشرت في أول هذا الحديث كان الخوراني وطنيا وقوميا متحمسا لا يستسيغ افكاره او تحركاته الاستعمارية . ولذلك خطط له النفي من البحرين رغم تعلق تلاميذه وأساتذته به ورغم اسفهم واحتجاجهم على ذلك ولكن كما يقال «ما باليد حيلة» فالاستعمار كانت له كلمته المطلقة في ذلك الزمان . فقد كان الاستعمار يسعى بكافة الوسائل ليحول دون تعلم العرب وحتى تواصلهم ، وأذكر مثلاً آخر على ما حدث أثناء مرور الملك عبدالعزيز بالبحرين في طريق عودته من اجتماعه بالملك فيصل الاول ملك العراق على ظهر إحدى البواخر الانجليزية في مكان يقع بالقرب من رأس تنورة من اعمال المملكة العربية السعودية وذلك في يومى ٢٣ و ٢٤ فبراير ١٩٣٠م الموافق ٢١ رمضان ١٣٤٨هـ . فأثناء رجوع الملك عبدالعزيز الى السعودية على ظهر تلك

البارجة كان لا بد لها من ان تتوقف وترسو في ميناء البحرين الشمالي ليستقل جلالته منها سفينة صغيرة توصله الى ميناء العجير في السعودية لكون العجير في ذلك الوقت الميناء الرئيسي على ساحل السعودية في الخليج ولا تستطيع الوصول اليه الا السفن ذات الغاطس البسيط . وكون جلالته سيتوقف في ميناء البحرين بعث المرحوم الشيخ عيسى بن علي آل خليفة حاكم البحرين آنذاك برقية الى جلالة الملك يدعوه لزيارة البحرين وهو في طريقه للمملكة . لبي جلالته الدعوة ويوم وصول البارجة البحرين ، استقل اثنان من انجال الشيخ عيسى قاربا بخاريا وتوجها الى البارجة لمرافقة جلالة الملك في نزوله . عند وصولهما وجدا الملك وكأنه غير متأهب للنزول فاستغربا ذلك وسألا جلالته بقولهما «يا جلالة الملك ان والدك الشيخ عيسى يرحب بقدمك وتشريفك البلاد واهلها وهو بانتظارك على فرضة المنامة!» هنا تساءل جلالة الملك مستغربا وقال «كيف ذلك وقد وصلتني برقية بأن الشيخ عيسى ليس على استعداد لمقابلتي او لقائي . قم يا حافظ (١) واحضر البرقية» وعند قراءتها تبين ان الذي أرسلها المعتمد البريطاني بالبحرين «براير» دون علم او استئذان من شيوخ البحرين . عندها قال جلالة الملك اذا كان الامر كذلك فاسمحوا لي لأتأهب للنزول معكم وفعلا نزل ولقي ما يستحقه جلالته من ترحاب واستقبال من العائلة الحاكمة والاهالي عموما .

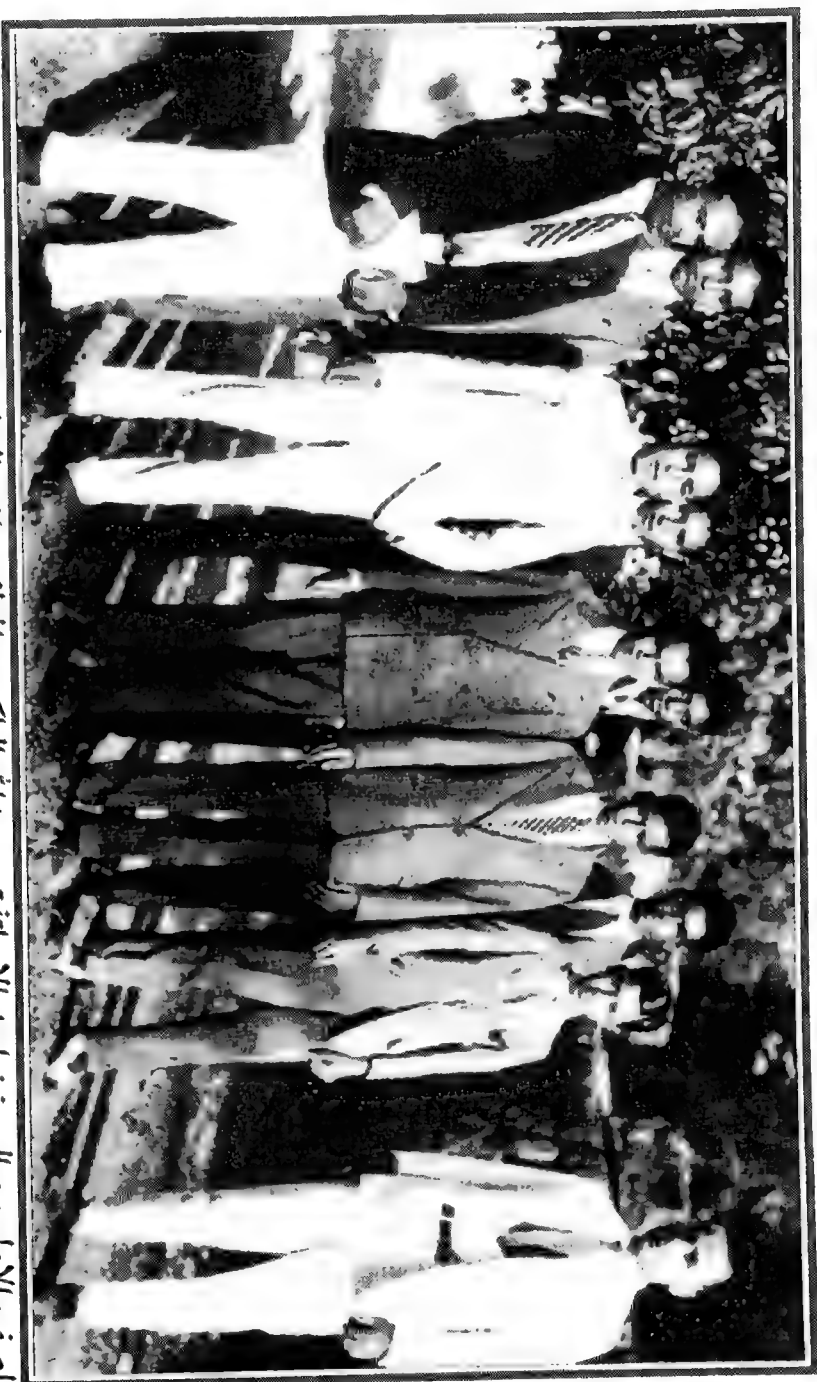
(١) المشار إليه أعلاه هو الشيخ حافظ وهبه والذي كان أول من استعين به في بداية التعليم النظامي في البحرين وكان شخصية وطنية وحدث أنه سافر الى الكويت في اثناء العطلة الصيفية ولما عاد الى البحرين على ظهر إحدى البواخر، لم يسمح له الانجليز بالنزول من الباخرة فاضطر للرجوع الى الكويت حيث تزوج فيها ثم التحق فيما بعد بخدمة المغفور له الملك عبدالعزيز آل سعود في الرياض بصفة مستشار. وكان المغفور له الملك عبدالعزيز يجمع حوله عددا من المستشارين يختارهم من البلدان العربية..

بدايات التعليم النظامي للبنات:

اما أول مدرسة بنات نظامية افتتحت في البحرين ، فكانت مدرسة البنات التي افتتحت رسميا من قبل الحكومة في سنة ١٩٢٨م في احد بيوت المرحوم عبدالرحمن بن محمد الزيانى بالبحرق بفريق الزياينة ، حيث كان الاقبال عليها كبيرا اذا تصورنا وضع المرأة البحرينية في ذلك الزمان ، وقد كان من بين معلماتها آنذاك المرحومة لطيفة يوسف الزيانى والمرحومة مريم عبدالله الزيانى وكون افتتاح هذه المدرسة رسميا في سنة ١٩٢٨م لا يعنى ان تعليم البنات بدأ في تلك السنة ، كلا فان تعليم البنات بوشر فيه قبل ذلك بستين او ثلاث وفي نفس هذا البيت كما انه قبل ذلك امكن استعمال هذا البيت ليكون مقرا مؤقتا للنادى الادبي ، الذى امر الانجليز بغلقه عندما كان يقع في الناحية الشمالية من سوق المحرق ، فاضطر الاعضاء الى نقل مقره الى بيت عبدالرحمن الزيانى المشار اليه آنفا وظلوا يستعملونه كمقر مؤقت للنادي ثم استخدم كمدرسة بنات اهلية في غضون عام ١٩٢٦م.

(الفصل الثالث)

أول بعثة تعليمية تبتعث من البحرين إلى الجامعة الأمريكية في بيروت



الصف الاول من اليمين: احمد الاساتذة - عبدالله الباكر - المؤلف راشد الزباني - الشيخ حمد بن
عبدالله آل خليفة - الشيخ خليفة بن محمد آل خليفة - الشيخ عبدالله بن ابراهيم آل خليفة
الصف الثاني من اليمين: احمد العمران - عبدالعزيز الشمالان - عبدالرحمن المعاودة - كمال الهزاع

أول بعثة تعليمية تبعت من البحرين إلى الجامعة الأمريكية في بيروت

في عام ١٩٢٨م كنت في أعلى صف في المدرسة واطن أنني كنت الأول على الصف تلك السنة، رتب الاستاذ الحوراني ارسال بعثة للدراسة العليا في جامعة بيروت الأمريكية بعد ان اخذ موافقة مجلس المعارف المشار اليه في صفحة (٧٥) تحت بند بداية التعليم النظامي في البحرين.

وقد وقع علي الاختيار لأكون من بين اعضاء البعثة، غير اني لا اعرف من الذي رتب اختيار افرادها فقد كنت صغير السن نسبيا ولا ادرك تمام الادراك ما يدور حول هذا الموضوع في ذلك الوقت ولكن علمت ان اسمي قد اختير من بين اعضاء البعثة. ولما عرض الامر على والدي رفض بشدة ارسالي الى بيروت بحجة ان الولد صغير واخشى ان يتعد عن عقيدته ودينه الذي رباني عليها.

ولكن السيد عثمان الحوراني وهكذا كنا ندعوه ومن معه اصرروا وجاءوا الى والدي. وكنت اراقبهم عن كثب عندما كانوا يترددون على مجلس الوالد لاقتناعه بالموافقة، وكانت حجة الوالد الرئيسية ان الولد صغير السن ويمكن ان يؤثر عليه لصغر سنه وقد يقع له خطر فلا يعرف كيف يتصرف. وهنا جاء اقتراح بأن اكون تحت رعاية ووصاية الاستاذ احمد العمران. والمذكور كان في ذلك الوقت استاذاً في المدرسة ومن بين المرشحين لعضوية البعثة عندها قبل الوالد ارسالي. واذكر ان والدي، رحمه الله، قبل يوم السفر احضر شنطة (١) ملابس جلدية وكان بداخلها جيب. وقال تعال يا ابني وأراني صرة حمراء صغيرة فتحها امامي. فاذا بداخلها اربع جنيهاات او ليرات عثمانية ذهبية. ثم ربطها وادخلها الجيب. وقال هذه ذخرك لا تستعملها الا اذا احوجك الزمان. ثم بدأ يوصيني بالمحافظة على الصلاة والابتعاد عن

(١) الشنطة : حقيبة جلدية



أفراد البعثة يتوسطهم المرحوم عبدالرحمن القصبي أثناء زيارته لبيروت - من اليمين . الصف الأول:
المؤلف راشد الزياي - الشيخ حمد بن عبدالله آل خليفة - الشيخ إبراهيم بن محمد آل خليفة - الحاج
عبدالرحمن القصبي - الشيخ خليفة بن محمد آل خليفة - الشيخ فهد السالم الصباح - عبدالله الباكر .
الصف الثاني من اليمين: عبدالرحمن الماودة - كمال المهزع - أحمد العمران - عبدالعزيز الشمالان

الموئقات وما الى ذلك من حديث ابوي حنون وانا مطرق رأسي استمع اليه وأؤمن على كلامه . ثم اخذني الى صدره الحنون وقبلني فشعرت بالحزن لفراقه وسالت الدموع من عيني وتجدد هذا الدور مع والدي ، رحمهما الله واسكنهما جناته .

كانت وسائل السفر في ذلك الوقت بالباخرة والقطار والسيارة فقط . سافرنا بالباخرة وكنا ثمانية افراد هم : الشيخ عبدالله بن ابراهيم آل خليفة - الشيخ خليفة بن محمد آل خليفة - الشيخ حمد بن عبدالله آل خليفة - الاستاذ احمد العمران - الاستاذ كمال المهزع - عبدالعزيز الشمالان - عبدالرحمن المعادة - راشد الزيانى . كنت اصغر افراد البعثة سنا واضعفهم جرما ، ولذلك امكن الحصول لي على تذكرة بالباخرة بنصف الاجرة . وصلنا البصرة وذهب الاخوة لترتيب سفرنا بالقطار الى بغداد وحجز المحلات والتذاكر ، اما انا فقد سارعت الى مشاهدة شط العرب والبواخر الكثيرة الراسية فيه والحركة غير المألوفة عندي في جوانبه . وهذه المشاهد كانت بالنسبة لي عجيبة وغريبة ، وفيما كنت التجول سمعت من يناديني بصوت عال وإلحاح استجبت للصوت فاذا هو احد افراد البعثة يطلب حضوري امام مدير محطة القطار . ذهبت معه ودخلت مكتب المدير فاذا بي اشاهد هندياً ، ضخماً الجثة عريض المنكبين اسمر حالك السمرة ، غطى رأسه وشاربه وحاجبيه شعر كثيف ابيض ناصع البياض . كان جالسا امام مكتبه نظر الى نظرة فاحصة ثم هز رأسه وقال لا بأس ، خرجت وانا لا اعرف ما هو الغرض من استعراضي بهذه الصفة . وفي الخارج سألت كما اظن الشمالان ما هو القصد من استعراضي بهذا الشكل فقال طلبنا لك تذكرة سفر مخفضة بالقطار الى بغداد فلم يوافق المدير واصر على حضورك ليراك . وفعلا اعطيت لي تذكرة بنصف الاجرة (مما يجدر ذكره هنا ان حكومة البحرين اعطتنا نقدا مبلغا معيناً لمصاريف سفرنا بحيث يكون لكل فرد منا حصة متساوية فيه) .

وصلنا بغداد بالقطار ونزلنا في فندق يقع على شارع الرشيد وكان هو الشارع الوحيد والمهم في بغداد آنذاك وكان عدد عربات الخيول التي تسير

فيه اكثر من عدد السيارات وهى تستعمل بدل سيارات الاجرة . كانت المهمة هنا هى ترتيب سفرنا بالسيارات الى بيروت وكان للاخوة كامل الحرية في الخروج والتجوال اما انا فقد حظرت علي الخروج من الفندق خوفا علي ، كما كانوا يدعون وصدعت لامرهم . فكنت اجلس امام الشباك المطل على شارع الرشيد اشاهد حركة المرور .

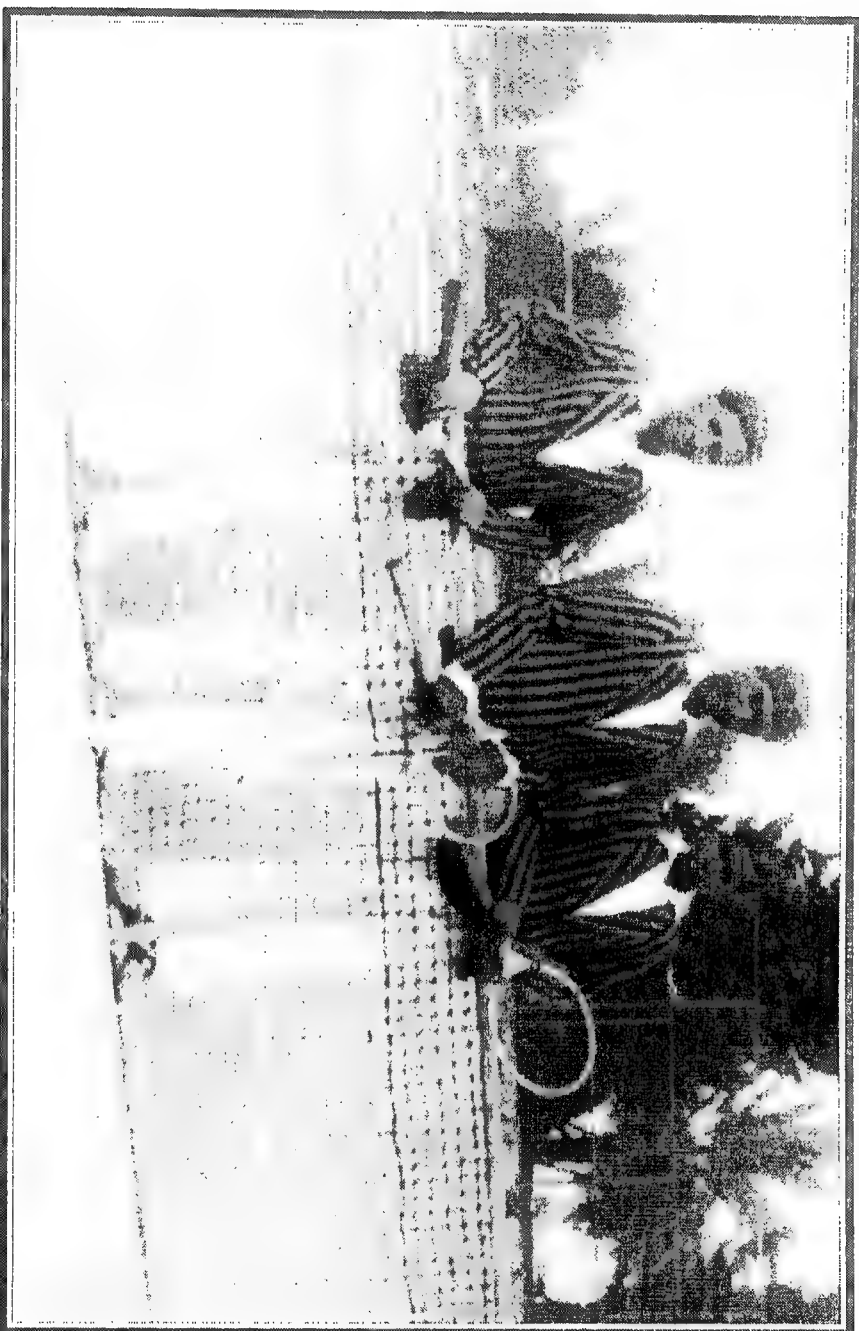
كان لا بد لي وانا في بغداد ان ازور زوجة جدي الشيخ عبدالوهاب فكلمت الاستاذ احمد العمران مذكرا اياه (كونه الوصي علي) فقال لا بأس . وفي اليوم التالي ذهب معي الى بيت زوجة الجد مستقلين احدى عربات الخيل . وهناك قابلنا زوجة الجد وبعض اقاربها ثم عدنا الى الفندق . وهذا هو كل ما رأيته في بغداد في هذه الرحلة . سافرنا من بغداد باتجاه بيروت وكان السفر بالسيارات العادية ، ولو انه كانت هناك باصات اخرى اوفر راحة من السيارات العادية ، تديرها وتسيرها شركة انجليزية يطلق عليها شركة نيرن . ولكن حبا في توفير المصاريف اختار الاخوة السيارات العادية . كان سفرنا في الصباح ، وكان اتجأنا مركز (الرطبة) ، آخر حدود العراق الغربية . وهى عبارة عن قلعة وسط الصحراء المخيفة ، وصلناها حوالي الثالثة بعد منتصف الليل ولم تكن هناك طرق معبدة بل طرق صحراوية ذات تراب ناعم كالبودرة ملاء خياشيمنا وحلوقنا ، وكنا ونحن نسير في تلك الليلة المظلمة ، نسمع بين حين وآخر رغاء البعاريين فنرتعد من الخوف لما كنا نسمعه ويشاع من وجود قطاع طرق في تلك المنطقة ، ونظرا لوعورة الطريق وتزاحمنا في السيارة وخوفنا مما سمعناه ومن الظلمة والوحشة لم نستطع النوم ولكن ما ان دخلنا القلعة (قلعة الرطبة) حتى استسلمنا لنوم عميق من اثر الخوف والقلق ناهيك عن التعب والجلوس غير المريح في السيارات .

بعد طلوع الشمس واصلنا المسيرة بعد ان تناولنا فطورا بسيطا باتجاه مدينة دمشق . فوصلناها حوالي الظهر . هنا انفجرت أساريونا فالطرق معبدة والاكل وفير . لم نبق في دمشق الا بضع ساعات واصلنا على اثرها السفر الى بيروت وما كادت السيارة تمتطي ظهر الجبل ويهب علينا نسيم لبنان الطري ،

حتى غشانا نعاس ورحنا في سبات عميق لم نستيقظ منه الا ونحن في حوش الجامعة .

عينت لغالبية البعثة غرفة كبيرة بها ثمانية أسرة ولم يشاركنا فيها ثلاثة من البعثة هم الشيخ عبدالله بن ابراهيم والشيخ خليفة بن محمد آل خليفة والشيخ حمد بن عبدالله آل خليفة فقد استقل كل منهم بغرفة خاصة في الطابق الارضي . الحياة في بيروت تلك الايام كانت غريبة بالنسبة لحياتنا البحرينية من حيث لهجة الكلام والطباع والتفاهم وكذلك من حيث نوعية الاكل وطريقة طهيهِ . ففي البحرين تلك الايام لا نعرف الزيتون والجبنه واللبنة . وكان السمن المستعمل للطبخ عندنا السمن الحيواني بينما في لبنان يستعمل زيت الزيتون . وبطبيعة الحال لم نستسغ الاكل كما عهدناه في بلادنا وبدأنا نشتكى ونتشكى حتى ان بعضنا وانا منهم كتب الى اهله يشتكي من نوع الاكل وطعمه .

لم يكن احد من اهل البحرين في ذلك الزمان يلبس اللباس الافرنجي . ولما تشكلت البعثة اصبح لزاما علينا ارتداء الزي الافرنجي ففصلت لنا البدلات الافرنجية على يد خياطين هنود بدائيين لبسناها متباهين بها وبتفصيلها . ولكن ما كدنا نصل بيروت حتى ادركنا ان تفصيلها لا يتناسب مع آخر الموديلات المتعارف عليها هناك ، وقد لاحظ ذلك السيد معاصري المسئول عن مصاريفنا والمشتريات الخاصة بنا ، فأخذنا الى سوق الطويلة في بيروت حيث كسينا ببدلات حديثة الموديل تتناسب والمحيط الذي نعيش فيه . بعد استقرارنا في اماكننا جلس الاخوة في زاوية من زوايا غرفتنا الكبيرة بينما كنت جالسا على سريري في الزاوية المقابلة ، واخذوا يحسبون مصاريف الرحلة وتوزيع ما تبقى من المبلغ المستلم من الحكومة ، وطبعا كان التوزيع بالتساوي . وكما قلت لم اكن جالسا معهم ولما توصلوا الى تعيين المبلغ المطلوب لتوزيعه على كل فرد منا اعترض المرحوم الشمالان وقال انتظروا يا اخوان ، راشد ، لم يحسب عليه الا نصف تذكرة في الباخرة ، وكذلك القطار ، لذلك يجب ان ندفع له ما يعادل النصف الآخر ، ثم نقسم الباقي بالتساوي ، فأعيدت الحسبة واستلمت نصيباً اكبر .



ثلاثة من أعضاء البعثة بملابس التمس أيام زعان
من اليمين: المؤلف راشد الزباني - عبدالعزيز الشميلان - عبدالرحمن المعاودة

قبل دخول الجامعة كان لا بد من فحصنا طبيا على يد عدد من الاطباء ،
اصطففنا في طابور ليأخذ كل منا دوره ولما جاء دوري وفحصني طبيب
الصدر والقلب لم يمررني مع بقية التلاميذ بل ركنني جانبا واخذ يفحص
غيري فقلت في نفسي ، يا حافظ يا حفيظ ، هل معنى هذا اني سأرفض ؟
ولكنه بعد قليل عاد الي ومعه طبيب آخر واخذا يفحصانني من جديد
ويتحدثان بكلام لم افهمه . لا بل واستدعيا طبيا ثالثا . وبعد حديث ومناقشة
فيما بين الثلاثة دام بضع دقائق سمح لي بارتداء ملابسي ولم اجرؤ ان اسألهم
عن السبب خشية المفاجأة بشيء لا يسرني او يكدرني . ومع اني سررت
بتمريري من الفحص الطبي دون معارضة ، الا ان الشك ظل يخالجني وبعد
مضي فترة من الزمن ، اضطررت لمراجعة طبيب الجامعة مشتكياً من الاستيقاظ
فزعا اثناء النوم بين حين وآخر ، فأجرى الفحص علي وقال لم اجد بك مرضا
يوجب العلاج . ولكن الاستيقاظ المفزع ظل يراودني فعدت اليه مرة اخرى
فقال سأرسلك الى طبيب متخصص في مستشفى الجامعة ، ذهبت الى
مستشفى الجامعة ومعى كتاب من طبيب الجامعة . ولما حضر الطبيب
المختص وكان لبنانيا ضخما الجثة بدأ يفحصني بدقة وتمعن ثم امر الممرضة
بأن تحضر له آلة طبية خاصة للفحص . وبعد الفحص الاخير ، قال للممرضة
وهو غاضب اكتهي للدكتور فلان ، يقصد طبيب الجامعة ، هذه الرسالة
التالية ، وكان يملئها عليها بصوت عال جهوري يكاد يسمعه كل من كان
بالمستشفى «لقد فحصنا مريضكم ولم نجد به أي مرض والافضل ان لا
تشغلونا بامر تافه كهذا . ولعل تلميذكم هذا متلاعب او كسلان ويتعذر
بأعذار تافهة فأوقفوه عند حده . . الخ» . ختم الرسالة بعد ان امضاها
وسلمها لي قائلا خذها الي طبيبك بالجامعة . اصابني ذهول وتصيب العرق
من جسمي وفكرت ماذا اعمل هل آخذ الرسالة الى طبيب الجامعة واسمع
منه كلمات توبيخ قاسية علاوة على ما سمعت من هذا الاخصائي او اخفي
الرسالة واسلم امرى لله . قررت عدم توصيل الرسالة واخفيتا وابتعدت عن
مراجعة الطبيب والظاهر انه لم يتذكر امر ارسالي غير ان الاستيقاظ المفزع ظل

يراودني بين حين وآخر ولما رجعنا الى البحرين زاد وتكرر فالتجأت الى استاذي احمد العمران استشيريه في الامر، فاصطحبني الى مستشفى الارسالية الامريكية. وهناك فحصني الطبيب الامريكي المدعو دكتور ديم Dr. Dame الفحص الدقيق وقال، كما فهمت منه، كل ما بك هو ان حجم قلبك كبير بالنسبة لصغر جرمك وانه يحتاج بين حين وآخر لزيادة كمية الدم المتدفقة فيه فيخفق بسرعة مما يزعجك. وانه بعد تقدمك في السن سيزداد كبر جرمك ويزول ما بك.

هكذا افهمت تحليله في ذلك الوقت وواقع الامر انه بعد مضي سنتين زال عني ذلك الخفقان المفزع. فهل اطباء الجامعة الذين فحصوني مع بقية الاخوة اثناء تسجيلنا وترددهم له علاقة بذلك. . لا ادري!

وزعنا على الصفوف بعدما جرى فحصنا طبيا وعين لنا ان نكون في صفوف تحضيرية لكي نتقوى في اللغة الانجليزية ما عدا الاستاذ احمد العمران فقد اعفي من ذلك وادخل الصف المناسب له. كان النظام في الجامعة شديدا يختلف عما هو عليه الآن فأولاً: ممنوع التدخين منعاً باتاً ويعاقب من يدخن. وكان بعض الاخوة من بيننا اعتادوا التدخين فيضطرون الى الاختفاء بين الاشجار البعيدة وبكل حذر يشعلون سجائرهم. وكان الخروج من باب الجامعة ممنوعاً الا ثلاث مرات في الشهر: ظهرتان لرأس يروت، ويوم واحد للمدينة ومن يخالف ذلك يفصل من الجامعة. وكان بواب قسمنا شديدا وحذرا لا يسمح لنا حتى بالتجول في القسم الآخر من الجامعة حيث توجد الفصول العليا الا في ايام العطل. وكنت بطبيعتي احب الرياضة وممارسة الالعاب الرياضية، ومع انه في قسمنا كان يوجد ملعب كرة، الا ان ملاعب التنس كلها كانت في القسم الآخر من الجامعة حيث توجد الصفوف العليا. وكان المرحوم الشيخ خليفة بن محمد آل خليفة مولعاً ايضاً بالرياضة ويحيد لعبة التنس الارضي، فطلبت ان ارافقه الى مكان تلك اللعبة لتعلمها. قبل دخولنا الملعب اعطاني بعض الارشادات وأفهمني أصول اللعبة وقواعدها، ثم نزلنا الى الملعب وقد اخذ مني الحماس مبلغه فلما ضرب الى اول كرة، تصدبت

لها وضربتها راجعة بقوة هائلة فطارت في الهواء منطلقة خارج الملعب ومخرقة زجاج احدى نوافذ الغرف المطلة على الملعب فانزعج ساكنوها واسرعوا لفتح الشبابيك لمعرفة الفاعل . اما انا وزميلي فقد سارعنا الى الاختفاء خلف الاشجار المجاورة . وبعد مضي بعض الوقت والاطمئنان لعدم مساءلتنا عدنا الى الملعب وهنا لامني زميلي وابدل موضعي في الملعب المواجه للبناية حتى لا يتكرر ما حدث .

في المساء بعد العشاء مباشرة نتواجد لمدة ساعة في قاعة كبيرة للمذاكرة ثم نخرج للاستراحة لمدة ربع ساعة ، وبعدها نواصل المذاكرة لمدة ثلاثة ارباع الساعة ثم نذهب الى غرفنا للنوم . وفي خلال نصف ساعة تطفأ الانوار في الغرف ويطوف المفتش متجولا من غرفة الى اخرى ومعه مصباح كهربائي للتأكد من ان كل فرد منا في سريره .

كانت الحمامات في الطابق الارضي ولا يوجد فيها ماء حار، حتى في الشتاء وايام البرد القارص الا مرة في الاسبوع . ويكون ذلك في ليلة معينة وقبل النوم حيث نصطف في طابور، يقوم الاستاذ بتوجيهنا فردا فردا الى دوش دافئ بحيث لا نستقيم تحته اكثر من دقيقة واحدة . ولما كنا قد تعودنا الاستحمام بين حين وآخر في بلادنا وجدنا هذا الاسلوب مجحفا بل ومقرفا . اني بطبيعتي كما ذكرت احب التريض والرياضة ، فكنت اخرج كل صباح واذهب الى ملعب كرة القدم المجاور لبناية سكننا، اركض حول الملعب ثم والعرق يتصبب مني اضطر للذهاب لآخذ حمام . فكنت عندما اجد الماء وهو يندفع في برودة قاسية لتعذر وجود الماء الحار، اشجع نفسي واحمسها ثم ادفع بجسمي النحيل تحت هذا الدوش البارد لمدة ثوان وابتعد عن الدوش واستعمل الصابون ثم اعود الى الدوش البارد وامري لله . انما والحق يقال اني كنت اشعر بعد ذلك بحيوية ونشاط .

كان يغالبني النوم اثناء المذاكرة الليلية وكان لا بد من الحضور فاتخذت طريقة اقوم بموجبها تحضير مذكرتي اثناء النهار وفي فصل المذاكرة الليلية ، عندما يغلبني النوم اضع كتيبي فوق بعضها على الطاولة امامي وأرخي رأسي



المؤلف راشد الزياتي بملابس الكشافة في الجامعة الامريكية في بيروت

عليها وانام . يأتى المفتش ليوقظني فأقول له اني انهيت مذاكرتي فيتركني وشأني ولكني في النصف الاخير من السنة الدراسية تمكنت من الاستفادة من النظام المعمول به آنذاك وهو انه اذا كان معدل علامات التلميذ ٨٥ فما فوق فله الحق ان يتغيب ويترك القاعة بعد الفترة الاولى من المذاكرة واحمد الله ان كانت علاماتي كذلك ، فاصبحت أحضر المذاكرة الاولى فقط واذهب للنوم مبكرا .

ادخل افراد البعثة في الكشفة التي يشرف عليها استاذان امريكيان وفي اثناء احدى العطل قررا ان يأخذا الكشفة الى الجبل فركبنا السيارات الى مدينة «عالية» بالجبل ثم نزلنا وسرنا مشيا في طابور الى قرية سوق الغرب وصلناها قبل المغرب بقليل لم ندخل القرية بل عسكرنا خارجها في العراء وكان كل منا يلبس لباس الكشفة ويحمل فراشه على كتفه ، كان الجو باردا فجمعنا بعض الحطب ، واشعلنا فيها نارا كبيرة ثم جلسنا حولها للتدفئة والسمر وتناول العشاء ، ثم فرش كل منا فراشه للنوم ، الذى لم يكن نوما مريحا بسبب وعورة الارض تحت الفراش الخفيف وبرودة الجو . في الصباح بعد الفطور البسيط اصطففنا في الطابور وصدرت الاوامر ان نعود الى بيروت والجامعة من هناك (أي من سوق الغرب) مشيا على الاقدام ، نفذنا الاوامر واتجهنا الى بيروت وكنا احيانا نسير في طريق معبدة ، وحيانا نخرج الى طريق وعرة ، بعضها نزول في واد والآخر صعود الى مرتفع ، لم نتوقف الا لبرهة قصيرة لتناول (ساندويشات) ، وصلنا فرن الشباك ، اول بيروت ، حوالي المغرب ، وهنا بدأ الاعياء والتعب يظهر علينا كلنا ولكن البعض لم يستطع المشي حتى خطوة واحدة . كان لا بد لنا لأن نصل الى الجامعة ان نقطع بيروت ونظرا لطول المسافة سمح لنا بركوب الترمواي الى الجامعة . عند وصولنا اليها ، لم يتمكن بعض الاخوة بسبب الاعياء والتعب من الذهاب الى غرفهم ، فوضعوا في جناح خاص في الطابق الارضي معد لعزل المرضى في الحالات الضرورية حين نقلهم للمستشفى واحمد الله اني قد تحملت التعب فلم انم في هذا الجناح . هذه بعض امثلة للحياة الجامعية في ذلك الزمان ، وكيف انها كانت شديدة وصعبة بالنسبة لما تسير عليه الجامعة نفسها هذه الايام .

جاء الصيف فالتحق الغالبية من افراد البعثة بالمدرسة الصيفية الكائنة في سوق الغرب . في هذه المدرسة كان يدرسنا الرياضيات استاذان بالتناوب . وفي نهاية الصيف ، ذهبت والاخ الشمالان لمقابلة استاذ الامتحانات للاستفسار عن علاماتنا وكان معروفا عن هذا الاستاذ انه شديد وقاس ، فقال لي اني سقطت في الرياضيات مع اني اجيد الرياضيات واحصل فيها على أعلى الدرجات دائما . ذهلت وذهل معي الشمالان وقال للاستاذ كيف يكون ذلك والزياني من ابرع التلاميذ في الرياضيات وكلنا نقر له بذلك ، اصر على قوله اما انا فقد غلبني البكاء والنحيب ولكن الشمالان ، رحمه الله ، بادر في ملاطفتي وقال نذهب للاستاذ معاصري مدير المدرسة وهو في نفس الوقت استاذ الرياضيات الآخر الذي اشرت اليه آنفا . ذهبنا اليه ، ولما اخبرناه استنكر الامر وقال انا ايضا ادرسكم الرياضيات والزياني افضل التلاميذ في الرياضيات عندي ! هدا من روعي وحزني وقال انه سينظر في الامر ولما عدنا الى بيروت وعرضت النتائج على مدير الجامعة وكان امريكيا يدعى (لوفت) ارسل علي وقال وصلنتني نتيجتان متعارضتان عنك ، ولكن مدير المدرسة الصيفية اقترح ان اعطيك فرصة وهو ان اقبل بنجاحك وارقيك الى صف اعلى لمدة شهر ، وعند خروج نتائج ذلك الشهر نقرر فيما اذا انك تستحق البقاء في هذه الترقية ام لا

قبلت بذلك وشكرته ، وبعد شهر بينما كنا جالسين في قاعة المذاكرة الكبيرة ، وزعت علينا نتائجنا الشهرية فكانت علامتي في الرياضيات ٩٣ اخذ جيراني في المقاعد يتداولون ورقتي مستغربين هذه النتيجة العالية . اخذت ورقة نتيجة علاماتي الشهرية الى المدير الامريكي (لوفت) ولما اطلع عليها هنأني عليها وقال إذا تبقى في هذا الصف ، بما يعني اني بترقيتي هذه ، درست دراسة سنتين في ستة واحدة .

اثناء وجودنا بالجامعة حدث ان توفي احد التلاميذ من ابناء غزة ، فأقيم له حفل تأبين يتخلله انشاد حزين باللغة الانجليزية قام به عدد مختار من التلاميذ بتوجيه من مدير الجامعة وكنت احدهم ولكن اختياري كان ذا ميزة

خاصة، اذ كنت المنشد الرئيسي، اما الباكون فكانوا الرداة ولا اعرف لماذا اخترت لذلك يا ترى هل كانت نبرات صوتي يغلب عليها الحزن؟ الله اعلم. قبل نهاية السنة الثانية سمعنا ان الانجليز اوقفوا الاستاذ عثمان الحوراني وقرروا نفيه من البحرين. فاجتمع الاخوة وقرروا ارسال برقية احتجاج من البعثة فكانت هذه البرقية هي القشة التي قصمت ظهر البعير، فعند ارسال البعثة الى بيروت كان المستشار بلكريف في اجازة خارج البحرين، وكان يحل محله كابتن برك مدير الشرطة، والمشهور عن بلكريف انه يرى ان لا يتعلم ابناء البحرين اكثر من القراءة والكتابة والنزير اليسير من الحسابات. فلما رجع من الاجازة لم يجد مجالا لسحب البعثة ولكن برقيتنا هذه اعطته الفرصة السانحة لسحب البعثة فأصدر امره بسحبها وامرنا بالعودة. ويقال انه زعم او ادعى بأن مصاريفنا كانت باهظة لا تستطيع الميزانية تحملها. طبعا عدنا بنفس الطريق الذي أتينا منه.

الباب الخامس

**ما بعد عودتي
من الجامعة الأمريكية في بيروت**

ما بعد عودتي من الجامعة الأمريكية في بيروت

لم اكن اعرف قبل سفري مع البعثة عن احوال والدي المالية شيئاً ، فالآباء في ذلك الزمان لا يطارحون أبناءهم الحديث عن احوالهم المالية ، ولا يجروا الأبناء سؤال آبائهم عن أي شيء من هذا القبيل . كنت اتصور اننا اغنياء نملك ثروة طائلة ولكن بعد عودتي وجدت الامر مختلفا عما تصورت ، خاصة واني كبرت وتوسعت مداركي ، وجدت والدي يشكو من ضيق مالي ويتأفف من الاعسار . في نفس الوقت وجدت البلاد تقاسي ركودا اقتصاديا كبيرا وان الكساد قد ضرب اطنابه فيها شاملا سوق اللؤلؤ عمل والدي ومورده المالي الوحيد .

كان لدي بعض التوفير من مصروفاتنا بالجامعة وكان معي كذلك الاربع ليرات او الجنيهات الذهبية التي وضعها والدي في شنطتي يوم سفري وأوصاني ان لا اصرفها الا عند الضرورة . سلمت الجميع لوالدي فكان لها وقع جميل عنده فتح لي مجال الحديث معه عن احوالنا المالية . فأخبرني اننا مدينون بديون هي ليست علينا ولكنها على تركة والدنا الشيخ عبدالوهاب .

لم يكن لدى والدي دفاتر تجارية توضح مقدار تلك الديون والموجود لديه فقط قوائم من الدائنين مرفق مع كل قائمة منها كتاب موجه للوالد ، يطلب التسديد ، والوالد لا يرد الا على بعض المتشددین منهم . شمرت عن ساعدي ونظمت هذه القوائم واحصيتها فاذا بي اجد ان مبالغها كبيرة والدي لا يملك اقل القليل منها . هنا طرأت لي فكرة عرضتها على والدي وهي ان هذه الديون على شخص متوف ، وقد بعنا كل ما كان يملك لتسديد غالية ديونه بحيث اصبح لا يملك شيئاً آخر لمقابلة البقية الباقية من تلك الديون . فجميع الاملاك بعناها والتركة من اثاث وملابس وامتعة وحتى موجوداتنا الشخصية حرجنا عليها ، ونحن في نفس الوقت لا نملك مالاً او ملكاً للمساهمة في تسديد ما تبقى من دين . فلماذا لا نكتب للدائنين نخبرهم بالحال ونطلب منهم ابراء ذمة المرحوم ؟ استحسن والدي الفكرة بعد تردد وترك لي السير

فيها، فعلاً باشرت بإرسال رسائل منسقة تجلب العطف فجاءتنا الاجوبة من لنجة (ايران) ومن الكويت ومن الهند بالموافقة على الغاء باقي دينهم اما جدة فكان الجواب محاولة لالغاء قسم منه، انما بعد اخذ ورد، قبلوا بإلغاء بقية الدين ايضاً. ولم يبق بعد ذلك الا البحرين، فكان الدائنون اربعة تجار وافق اثنان منهم بالغاء الدين بمجرد ان فاتحناهما. واذكر ان احدهم قال لي عندما عرضت عليه قائمته «يا ولدي ان جدك نعتبره ابا لنا جميعاً ولا ننكر فضله واني منذ سمعت بوفاته اعتبرت ديني ملغياً». اما التاجران الباقيان فوافق احدهما على تخفيض الدين بمقدار ٢٠ في المائة على ان ندفع له خمس روبيات شهرياً. وكان دينه حوالي ٨٠٠ روبية اما الآخر فكان دينه اعلى من ذلك في حدود خمسة او ستة آلاف روبية، فقد هددنا بالمحاكم ثم قدم دعوى علينا مطالباً إيانا بتسديد المبلغ رغم اطلاعه على اعسارنا ورغم أنه كتب الينا في جوابه لطلبنا منه بالاعفاء شأنه شأن الآخرين كتب هذه العبارة «اني لست بأشر خلق الله». ولما اعيتنا الحيلة لمطالبته بالعدول عن مطالبتنا التجأ والذي الى المغفور له الشيخ عبدالله بن عيسى آل خليفة ملتسماً منه التوسط واقناع ذلك التاجر المتشدد بالغاء الدين على نحو ما فعل الآخرون ولكنه مع الاسف لم يوفق الا الى اسقاط قسم منه فتحاملنا على انفسنا، وبعنا ما امكن بيعه من باقي موجوداتنا الخاصة لتسديد هذا الدين الاخير واغلقتنا دفاترنا بالنسبة للدائنين. وبقي علينا بعد ذلك مخالصة الورثة الذين كانوا يظنون ان مورثهم قد ترك ثروة طائلة. والورثة هم زوجة الجد البحرينية وزوجته الاخرى البغدادية وابنته رقية. ذكرت انهم - أي الورثة - يظنون ان مورثهم قد ترك مالاً غفيراً وهنا اوضح كيف امكن اعلامهم بصورة الواقع ثم المخالصة معهم. ابدأً بالزوجة البحرينية: كان والذي يعتبرها كوالدة له سيباً وانه قد فقد والدته وهو في سن الطفولة. فكان يحترمها احتراماً عظيماً رغم قسوتها - ساعها الله وغفر لها - على والدتي وعلينا جميعاً وكانت تتولى ادارة البيت ولا تسمح لوالدتي بالاقتراب من شؤون البيت وكان يحيط بها عدد من عبيد اهلها يهيوون لها اسباب الشدة ووسائل القسوة على والدتي وعلينا. واضرب

هنا مثلاً لما كان يعمل هؤلاء العبيد . كنت صغيراً وفي سن ربما لا اعرف فيه النافع من الضار . ويظهر اني كنت كثير الحركة وما يسمونه بذلك الوقت «الشيطنة» فاتخذوا من كثرة حركتي او صراخي وسيلة للتذمر والايحاز لوالدي بتأديبي . وربما كرروا ذلك على مسامعها مرات عديدة، فما كان منها، ربما دون وعي او تحت تأثير ايجائهم، الا ان سحبتني من يدي الى داخل ليوان في بيتنا خصص لتحضير القهوة والشاي، وكوت ظهر يدي اليسرى بمحساس القهوة الحديدي الذي كانت قد وضعت في النار حتى احمر. كل هذا لتبرر موقفها امامهم بانها تؤدبني . وأذكر انها لما تنبعت الى سوء فعلتها ضمتني الى صدرها وهي تبكي بمرارة حتى فاق صياحها صياحي وانا اتألم من يدي المشتعلة بالالم الشديد . ولازال اثر تلك الكية واضحاً على ظهر يدي اليسرى حتى الآن . ومن قسوة الزوجة المذكورة وعبيدها هو انه اذا ما حدث ان دعا والدي ضيوفاً، أي عمل «عزيمة»، تأمر عبيدها بجمع الاطفال كبيرهم وصغيرهم ذكورهم واناثهم، وكان العدد كبيراً، وتدخلهم في احدى غرف الخدم وتقفل عليهم باب الغرفة ساعات طويلة الى ان ينتهي فصل الضيافة ويغادر الضيوف مجلسنا .

لكنها في آخر ايامها، رحمها الله، اصببت بالخرف ثم توفيت فقام اخوها يطالبنا بإرثها من زوجها واطنه لجأ الى القضاء، ولكن في النهاية امكن التصالح معه على مبلغ بسيط .

اما الزوجة البغدادية فبقينا على علاقة عادية معها، وكانت تسكن في بغداد مع شقيقتها زوجة الشيخ خميس الضاري رئيس قبيلة زوبع، فخذ من افخاذ شمر . وكان جزاء الله خيراً يكرمها ويعزها حتى اختارها الله الى جواره . في اثناء زيارتي لبغداد عام ١٩٣٦م فتحت معها موضوع المخالصة بعد ان اوضحت لها حالة التركة وانه لا بد لنا من بيع بيت المرحوم زوجها في بغداد لتسديد ديونه وبعد رد وبدل وافقت، فتخالصنا معها تخالصاً ودياً واکرمناها حسب استطاعتنا المادية آنذاك . انما واصلنا مواصلتها واکرامها فيما بعد عندما اكرمنا الله وتحسنت احوالنا المالية، وزادت صلتنا واتصالنا بها اثناء زواج اخي احمد ثم زواجي في بغداد في اوائل الاربعينات .

اما الشقيقة رقية (اخت الوالد الوحيدة من ابيه) فزوجها، وهو ابن عمها، جعل يحرضها على ان تقاضي اخاها بل وطلب منها توكيله لمقاضاته. ولكنها أبت وامتنعت مما جعله يقسو عليها ويعاملها معاملة خشنة. ولما اوضح والدي لها - وكنت حاضرا مهيناً ورقة المخالصة - اوضح لها حالة التركة وما امكن عمله لتبرئة ذمة والدهما، شكرت وأبدت غاية الارتياح لبراءة ذمة والدها ثم قال والدي يا اختي احب ان اكتب بيني وبينك مخالصة خشية ما يحدث بعدنا فرحبت ووقعت المخلص الذي ذكرت اني اعدته بكل طمأنينة وثقة. وقد تعهد فيه والدي بدفع مبلغ بسيط معين يدفع لها على دفعات. وقد طلبت من والدي عدم افشاء ذلك احتراسا من زوجها الذي كما ذكرت لم يكن يعاملها المعاملة الحسنة.

بعد تخلصنا من الدائنين ومن الورثة شعرنا اننا ولدنا من جديد. وكنت بعد عودتي من الجامعة قد التحقت بوظيفة مدرس للرياضيات بمدرسة الهداية الخليفية بالمحرق لمدة سنة نقلت بعدها الى ديوان الحكومة الذي كان يرأسه مستشار الحكومة المستر بلكريف ومقره النامة، وذلك في سنة ١٩٣١م، لأشغل وظيفة السكرتارية والترجمة حيث بقيت فيه مدة تقرب من ثماني سنوات. وقد شرحت في فصل آخر من هذه الذكريات مجريات الامور خلال تلك المدة.

كان كل دخلنا آنذاك من راتبي البسيط لدى الحكومة الذي ابتدأ بخمسين روبية شهريا (خمسة دنانير)، مضافا اليه دخل بسيط آخر يأتي من اعطاء دروس خصوصية باللغة الانجليزية لبعض الافراد ومن دخل دلالة اللؤلؤ يقوم بها اخي احمد في البحرين اثناء الصيف وفي بومبي اثناء الشتاء. وكان الحمل ثقيلًا. انها ليست عائلة والدي فقط، بل عائلة المرحوم جدي وعائلة عمي المتوفى واتباعهم من عبيد وخدم وبعض الاعمام والاقارب الفقراء والعاجزين الذين اعتادوا العيش على حساب جدي الشيخ عبدالوهاب واعتبارهم والدي حل محل والده، وحتى اخته الوحيدة وهي كما ذكرت سالفًا متزوجة من ابن عمنا، فكان زوجها لا يصرف لها أي مبلغ، بل يقول لها

خذي من ارثك عند عبدالرحمن وبهذه المناسبة اذكر مرة اني كنت مع والدي بالمنامة ذهبنا الى دكان يشغله بعض البهره استلف والدي من صاحبه عشرين روبية اخفاها في جيبه وسار متجها خارج السوق وانا اتبعه ولما خلا الى مكان غير مطروق توقف، وقال «تعال يا ولدي هذه عشرون روبية تذهب الى القضيبة وتسلمها لعمتك فهي قد طلبت مني ذلك وألحت» ثم اردف قائلاً وهو يتحسر «يحسبون ان عبدالرحمن على كل شيء قدير». هكذا كانت حالة والدي وحالتنا في تلك الايام. واذكر اننا كنا نتغدى بخبز وشاي احمر فقط، اما العشاء فكان الرز مع السمك او اللحم خشية ان يستضيفنا ضيف في المجلس الذي بقى مفتوحاً تجملاً ولعدم اظهار الفاقة او الحاجة التي نمر بها. سرنا على هذا الحال فترة من الزمن ولكننا لم نياس من رحمة الله وكنت اذا استلمت الراتب البسيط اجلس الى والدي نقسم المبلغ بين تسديد الدين وبين الحاجة الماسة لمعيشتنا ثم لما من الله علينا وزاد دخلنا، سواء من زيادة راتبي او من دخل اخي احمد، بدأت احتفظ منه بحصة بسيطة اضعتها في صندوق التوفير بدائرة البريد البريطانية (١) حتى وصل مجموع التوفير حوالى ٧٠٠ او ٨٠٠ روبية وهو المبلغ المشار اليه في صفحة اخرى من هذه الذكريات (٢) والذي به بدأنا عملنا التجاري.

اثناء فترة هذه المدة التعمسة اذكر ان احد التجار من اهل الخير والبر والاحسان ادرك ما نحن فيه من حالة صعبة، فأرسل الى بيتنا في وقت كنا خارجة دابة محملة بالرز والتمر والسكر يرافقها رجل لم يبح باسمه او اسم المرسل وعندما سأله خادمنا من هو المرسل اجابه فاعل خير ولما سألنا الخادم فيما بعد قال لم يفصح عن اسم المرسل انما اكاد اعرف المرافق لهذه الصدقة فهو خادم التاجر الفلاني. كما عز على احد تجار اللؤلؤ من البحرينيين ان يجدنا وقد بعنا السفينة الوحيدة التي كنا نملكها، والتي كان يستعملها والدي

(١) كان البريد يدار من قبل دائرة الاعتماد البريطانية في ذلك الوقت ومقره واجهة من واجهات دائرة الاعتماد.

(٢) تحت عنوان قصتي مع العمل التجاري صفحة (١٥٣).

للذهاب للطواشة لشراء اللؤلؤ من الغواصين وعدم تمكنه والحالة هذه من الاستمرار ومباشرة عمله الذى اعتاد عليه هو وأباؤه - عز على هذا التاجر البحريني الشهم ان يرانا في تلك الحالة، وهو ليس من اقربائنا وكانت معرفتنا به معرفة سطحية، فزارنا في مجلسنا في احدى الليالي وقال لوالدي وهو مطرق برأسه «يا بوراشد. . اني لا املك مالا اساعدك فيه لمباشرة تجارتك المعتادة فحالي مستور، ولكني املك سفينة اضافية غير السفينة التى استعملها للطواشة (شراء اللؤلؤ من الغواصين) كنت أؤجرها في فصل الصيف. وجئت لك لأقدم لك هذه السفينة لتستفيد منها في عملك دونما اطالبك اجرا لها». حاول الوالد ان يعتذر منه ولكنه اصر واقسم الا ان نقبل ما عرضه. شهامة ومروءة مقرونة بحب الخير ومساعدة المحتاج اتصف بها ابناء ذلك الزمان ومارسوها لا لغرض او نفع شخصي او مادي بل لوجه الله سبحانه وتعالى.

اخذنا السفينة ولكن ماذا نعمل بها اين الدراهم للشراء والبيع؟ فاتفق الوالد مع قريب من اقربائنا الفقراء، ممن اعتاد ممارسة عمل «المجنى»، أي الذهاب الى شواطئ البحرين الضحلة والتقاط المحار ثم فتحه وبيع ما يمكن ان يحصل فيه من لؤلؤ رخيص وهذا العمل عادة يقوم به الافراد الفقراء الذين لا يستطيعون الذهاب الى مغاصات اللؤلؤ المعتادة.

كنت من بين من حملتهم هذه السفينة رغم وجود قرحة كبيرة على ظهر قدمي اليسرى اثر حادث أصابني في احدى الليالي المظلمة قبل عهد الكهرباء، فقد كان والدي مدعوا على وليمة عشاء عند عمتي. وكنت بصحبته، ولما حان وقت العشاء أمرني والدي ان اذهب الى المطبخ وأطلب من عمتي تحضير العشاء. ذهبت مسرعا للقيام بهذه المهمة وعند دخولي المطبخ حطت رجلي اليسرى داخل قدر مرق اللحم الذى كان قد انزل لتوه من النار وترك على الارض في محل مظلم ليبرد. صرخت صرخة داوية قلبت سرور الجميع في تلك الليلة الى مناحة وكدر وقد أدى هذا الى حرق قدمي اليسرى بكاملها ثم تورمها، واحمد الله ان العلاج البدائي البسيط في ذلك

الزمان قد شفى القدم من تورمها مخلفا قرحة كبيرة على ظهر القدم استمر علاجها وشفائها عدة اشهر. ولما كان عمل المجنى المشار اليه آنفا يتطلب الخوض في البحر في المياه الضحلة او الغوص في المياه العميقة ولما كنت من بين من حملتهم السفينة لهذا الغرض كما جاء ذكره آنفا كان لزاما علي ان اشاركهم النزول الى البحر. كانت هذه القرحة تؤلمني ألماً شديدا عند ملامستها لماء البحر فكنت اتصبر، انما بعد ثلاثة او اربعة ايام تورمت وشمل تورمها الاجزاء العليا من القدم فاضطرت للتوقف عن النزول الى البحر بضعة ايام. كنت ألوم نفسي خلالها من كوني لا استطيع مشاركة الآخرين مهمتهم.

كان اتجاهنا في السفينة المشار اليها آنفاً الى السواحل الشرقية من البحرين حيث بقينا ننتقل من محل الى آخر مدة شهر تقريبا امكنا خلاله جمع بعض اللآلئ وبيعها فيما بعد بثمان زهيد يكاد يغطي مصاريف الرحلة واني احمد الله على انه عندما تحسنت احوالنا المالية، لم ننس فضل هذين التاجرين وقابلنا احسانهما ومعروفهما بمثله خاصة الاخير صاحب السفينة، تاجر اللؤلؤ. فقد تقدم سنه وضعف بصره وبسبب تدهور عمل اللؤلؤ ساءت حالته المالية فكنا له خير صديق وقابلنا احسانه بالاحسان دون مذلة او اهانة او منة. وظللنا كذلك الى ان اختاره الله الى جواره.

الباب السادس

ثمان سنوات في ديوان الحكومة



والثورة حكومة البحرين في ١٩٣٠م: في الصف الأول وفي الوسط المستشار بكريفت وعن يمينه صفير الزباني
رئيس كتاب الحكومة ثم محمد خليل رئيس الطابو ثم عبدالله بن راشد كاتب المحكمة وعن يسار بكريفت
ثارين رئيس كتاب السكرتارية . وفي الصف الثاني من اليمين عبدالعزیز الصالح - محمد حسن الحسن
وجعفر الصالح وفي الوسط السيد محمود العلوي .

ثمان سنوات في ديوان الحكومة

ذكرت آنفا (١) اني نقلت من التدريس في مدرسة الهداية الخليفية الى ديوان الحكومة برئاسة المستر تشارلس بلكريف مستشار حكومة البحرين وإدارة سكرتير الدائرة، وكان هنديا يدعى نارين يشترك معه آنذاك كاتبان احدهما السيد محمود العلوي والآخر شخص زبيري الأصل يدعى عبدالعزيز الصالح. وكان اختصاص السيد محمود المالية والحسابات اما عبدالعزيز فكان يتولى قسم السكرتارية والترجمة. منذ أن التحقت بالوظيفة في هذا المكتب لاحظت عدم ارتياح عبدالعزيز من وجودي ولم أعرف سببا لذلك. ولكن بعد أن استقر وضعي أدركت السبب فقد كان نارين لا يحب عبدالعزيز لأمر لا أعرفها ولذلك استبشر بقدومي وكذلك كان السيد محمود. (ومما يجدر ذكره هنا ان العلاقة العائلية بين جماعة العلوي وبالأخص والد السيد محمود وجده مع والدي وجدي كانت علاقة صداقة متينة لم أعرف عنها أو أدركها إلا فيما بعد. وأحمد الله ان هذه العلاقة والصداقة المتينة توارثتها أبناء العائلتين الى يومنا هذا). بدأت أستلم عملي تدريجيا، ولكن عبدالعزيز كان يضع العراقيل أمامي لتخوفه من أخذ مركزه. ولما استقر بي المقام وبدأت أسير في عملي سيرا طبيعيا، نقل عبدالعزيز الى دائرة الطابو وعهد الي استلام عمله اضافة الى عملي. لم يكن في الدائرة غير آلة طباعة انجليزية واحدة يطبع عليها نارين وكنت أراقبه مستغربا ومتعجبا وهو يطبع عليها وكيف انه يستطيع أن يلمس مفاتيحها دون أن ينظر اليها بل ينظر الى ما هو محرر في الورقة الموضوعة بجانب الآلة ولا غرابة في ذلك فإني لم أشاهد من قبل طباعة إذ كان الموجود منها والمستعمل في البحرين محدودا ومقتصرا على بعض المكاتب الكبيرة المهمة. اشتاقت نفسي ودفعني طموحي لتعلم ذلك ولكن كيف وهو يحتفظ بهذه الطباعة بجانب مكتبه ويحافظ عليها حتى انه كان يقفل غطاءها بالمفتاح

(١) راجع الباب الخامس صفحة (١٠٨).



الطابعة القديمة المشار اليها في صفحة (١١٧)

عند انتهاء الدوام . ولم أكن أجراً أن أطلب منه السماح لي بالتجربة عليها . كان مرتبي الشهري خمسين روبية (أي خمسة دنانير) ، طبعاً لا أستطيع شراء طابعة . كنت حريصاً على أن أؤدي عملي وأنجز المعاملات التي تكاثرت على مكنتي فقررت أن أبقى في الدائرة بعد الدوام لإنجاز ذلك - مع العلم بأنه لا يوجد قانون (أوفر تايم) في ذلك الزمان - مكنتياً بغداء بسيط يكاد يسد الرمق مكون من رغيف وقدح لبن (خيض) . وفي أحد الأيام وأنا أقلب الدوسيهات القديمة المبعثرة في جوانب المكتب وأرتبها ، وجدت تحتها طابعة انجليزية قديمة أخرجتها من مكانها ووجدت انها عاطلة وقد علاها الغبار الكثيف كما شل الصدأ حركة مفاتيحها . حاولت تحريك حروفها فكانت جامدة . في اليوم الثاني أحضرت معي قليلاً من (الكاز) وقليلاً من الزيت ، ولما انتهى الدوام ، بدأت أعالج تشغيلها حتى بدأت حروفها تتحرك ، المهم بعد محاولات عدة أمكن الكتابة عليها ولو ان حروفها كانت غير واضحة ومتزنة . كان طموحي أن أطبع كما يفعل نارين ، طريقة اللمس ، ولكن كيف أتعلم ولا أظن ان نارين سيعلمني كما اني لا أريد أن أكشف أمر هذه الطابعة خشية أن تؤخذ مني . فقد كنت أخفيها تحت الدوسيهات المبعثرة أثناء ساعات الدوام ، غير ان تصميمي وطموحي دفعاني لأن أقف أمام مكتب نارين متعذراً بسؤاله عن موضوع أو ورقة ، وفي نفس الوقت أراقبه وهو يضع أصابعه على مفاتيح الحروف وأطبق ما أراه تدريجياً بعد الدوام على الطابعة القديمة بعد أن أخرجها من مخبأها . ولما لم يمض وقت قصير حتى تمكنت من الطباعة باللمس انما طباعة بطيئة وعندها قلت في نفسي «الحمد لله بالصبر والمثابرة توصلت في النهاية الى بلوغ طموحي» . وفي أحد الظهرات وبينما كنت أطبع على هذه الآلة وكنت نوعاً ما قد أجدت الطباعة عليها ، دخل المستشار بلكريف الدائرة وهي خالية إلا مني وهو ينادي بصوته الجهوري «نارين - نارين» ظاناً ان الذي يطبع هو نارين . ولما لم يجد نارين دخل مكنتي المجاور لمكتب نارين مستغرباً وقال «أو راشد أنت تعرف تطبع طبع ممتاز» قلت أحاول بالرغم من قدم الطابعة . وفي اليوم الثاني اشتريت آلة طباعة

جديدة ووضعت أمام مكتبي وزيد راتي خمس روبيات، كما عهد لي بمساعدة نارين في طبع بعض المكاتيب الصغيرة.

كان بلكريف يستطيع الى حد ما قراءة بعض المكاتيب العربية خاصة تلك التي تأتي من الديوان، فهو يفتحها ويقرأها بنفسه، اما الأخرى فكان يرسل لي بعضها للترجمة أو يستدعيني الى مكتبه وأفتحها بحضوره وأقرأها عليه فيبدي جوابه باختصار وأقوم أنا بعدها بكتابة الجواب بالطريقة الصحيحة. لم تكن عندنا طباعة عربية ولا توجد في أية دائرة من دوائر الحكومة طباعة عربية في ذلك الزمان إذ كانت غير معروفة. فالمكاتيب العربية كلها كانت تكتب بخط اليد.

كانت دائرتنا تشغل القسم الشمالي الغربي من البناية، بينما تشغل دائرة الطابو القسم الجنوبي الغربي منها. اما القسم الشرقي فكان به مكتب المستشار، ويقع في الشمال الشرقي، ثم المحاكم مع دوائرها. كان من بين موظفي دائرة الطابو زميلنا في البعثة الأستاذ كمال المهزع. المذكور أخذ اجازة ثلاثة أشهر ذهب خلالها الى البصرة حيث تلقى تعليما وتدريباً للطباعة على الطباعة العربية. ولما عاد اشترت دائرة الطابو طباعة عربية كانت الوحيدة الموجودة في دوائر الحكومة وأصبح الأستاذ يتفاخر بها علينا. طبعاً أخذت الغيرة نارين، إذ كانت بينه وبين محمد خليل الباكستاني رئيس ادارة الطابو منافسة شديدة، فطلب من المستشار أن يشتري طباعة عربية. ولما اشترت وسلمت لي، وجدت ان الطباعة عليها تختلف عن الطباعة الانجليزية. فطلبت من الأستاذ كمال ان يرشدني الى طريقة الطباعة عليها فكان جوابه اني أحتاج لأن أذهب الى البصرة لعدة أشهر كما فعل وأتعلم هناك. غير اني لم أياس وطبقت ما تعلمته مع نارين من مراقبة طريقة طباعته وبدأت أتمرن حتى تمكنت من الطباعة الصحيحة بطريقة اللمس عليها أيضاً. مضت السنوات الأولى من عملي في الدائرة بسلام واطمئنان، غير انه ما كاد يبدأ المستشار بلكريف يعهد رأساً الي بأعمال وكتابات أقوم بها (خلافاً لما كان يجري سابقاً عندما كانت تأتيني عن طريق نارين) حتى دبت الغيرة في قلب

نارين وبتد منه أمور مؤسفة توحى بغيرته مني . مع اني لم أسع الى ذلك سيما وان المستشار قد زاد من تقريبي اليه واعتماده علي في بعض الأمور دون وساطة نارين مما حدا بنارين ليضع العراقيل في طريقي . وفي يوم من الأيام أرسل علي المستشار وقال منزعجا «راشد أنا أرسلت مسودة كتاب لترجمته وطبعه ليرسل للديوان باسم سمو الشيخ والآن مضى على ذلك ثلاثة أيام وأنت لم تنجزه» أجبت اني لم أستلم ذلك قال «عجيب أنا أمرت الفراش علي (رئيس الفراشين) أن يسلم ذلك اليك . إذهب وفتش عنه» ، طبعاً لم تكن المسودة بين أوراقي ، فذهبت الى نارين استفسر منه فاذا بالمسودة بين أوراقه أخرجها بانزعاج ثم أتبع كلامه بعصبية وقال «أنا أعرف انك تطمع أن تحتل هذا الكرسي» قال ذلك وهو يضرب بيديه على جانبي كرسيه . لم أجبه . أخذت المسودة وترجمتها وطبعت الكتاب وأخذته الى المستشار للتوقيع عليه . سألني فقلت وجدت المسودة بين أوراق مستر نارين ربما الفراش أخذها خطأ . ولكن المستشار فهم ما يدور وربما انه سمع شيئا من نارين لا أدري ! حاولت أن أصلح الحال مع نارين ولكنه مع الأسف زاد من تعنته وفي نفس الوقت زاد المستشار بلكريف اعتماده علي حتى بدأ يرسل إلي رأساً طباعة بعض المكاتيب الانجليزية المهمة . ثم عهد الي باستدعاء المرشحين للالتحاق بالشرطة على أن أقدم له خلاصة الاختيار ممن تكون أوصافه تتفق ومطلب الشرطي . وكان بلكريف يفضل الشرطي «المولد» أي عنصره عربي - زنيجي وقد كتب مرة في احد تقاريره السنوية التي يرسلها الى بريطانيا عن طريق دار الاعتماد وكنت أطبع قسماً منها هذه العبارة : ان الفطنة والذكاء العربي مضافا اليها قوة احتمال الزنجي «تكوّن أفضل شرطي» ، وبمناسبة تفضيل الشرطي المولد ، صادف ان كان بين أفراد الشرطة شرطي عراقي من أبناء البصرة مضى له في الخدمة سنوات ، لاحظ هذا الشرطي ان بعض الشرطة ممن التحقوا بالخدمة بعده قد رقوا وأعطوا مراتب عليا بينما هو لم يحصل طيلة مدة خدمته الطويلة على أي ترقية رغم اجتهاده وتفانيه في الخدمة . حز في نفسه هذا الأمر فطلب من رئيسه ان يسمح له بمقابلة قمندان الشرطة ، وكان وقتها المستشار

بلكريف، ولما حضر أمامه وأدى له التحية العسكرية قال «سيدي اني أطلب رخصة للذهاب الى السوق والى متجر أشرف بالذات (وكان هذا المتجر من أكبر محلات مبيعات التفرقة في ذلك الزمان) لأشتري صبغاً أسود لطلاء الوجوه والأجسام وذلك لأطلي جسمي بذلك الطلاء لكي أحصل على ترقية انتظرتها من زمن بعيد!». انفجر المستشار بلكريف بالضحك وأمر بترقيته.

أحداث أثناء إدارة بلكريف:

في أثناء سنوات الخدمة المذكورة طرأ أمران يستحقان التنويه عنهما: الأول - في أوائل الثلاثينات وصلت ميزانية الحكومة الى أقل من مائة ألف دينار - نعم أقل من مائة ألف دينار، فقرر المستشار بلكريف تخفيض رواتب موظفي الحكومة بمقدار ١٠ بالمائة. وكتب بذلك منشورا الى جميع الموظفين فاستجابوا جميعهم وأولهم المستر بلكريف نفسه فالذي لا يستجيب معناه يستقيل، انما بعد مضي سنتين أو نحوها أعيدت الرواتب الى سابق عهدها كما أعيد ما اقتطع من كل موظف في الدولة حتى ذلك التاريخ.

اما الأمر الثاني فهو المفاوضة بين حكومة المملكة العربية السعودية وحكومة دولة البحرين حول رسوم الترانزيت. ففي تلك الأيام كانت السعودية تستورد حاجياتها وأغلبها المواد الغذائية وأهمها الأرز (عن طريق البحرين - ترانزيت) فكانت الباخرة ترسو شمال المنامة وتنزل البضائع للسعودية في سفن شراعية تتوجه رأسا الى ميناء العجير (١) بالسعودية. وكانت حكومة البحرين تتقاضى ٢٪ رسوم ترانزيت على هذه البضائع. طلبت الحكومة السعودية تخفيض هذا الرسم وأرسلت وفدا للتفاوض الى البحرين. فعينت حكومة البحرين وفدها برئاسة المرحوم الشيخ عبدالله بن

(١) في ذلك الزمان وقبل استحداث ميناء الدمام والخبر كانت العجير الميناء الوحيد لدخول البضائع والاعذية وأهمها الرز الى السعودية. وكان هذا الميناء صغيرا وبدائيا لا يصلح لرسو البواخر والسفن الكبيرة فكانت تفرغ هذه البضائع والاعذية في ميناء البحرين ثم تشحن الى العجير على ظهر سفن شراعية او ميكانيكية ذات غاطس بسيط يتناسب وضخولة المياه المجاورة للميناء المذكور وكانت حكومة البحرين تستوفي رسم ترانسيت على هذه البضائع والاعذية مقداره ٢٪ مما يساعد الى حد كبير في إثراء ميزانية دخلها.

عيسى آل خليفة وتحاشى المستشار بلكريف حضور أي أجنبي بين أعضاء الوفد البحريني. كما اختارني لأكون مقرا للجلسات. عقدت جلستان أو ثلاث وكان وفد البحرين بين كل جلسة وأخرى يجتمع مع المستشار لإطلاعه على ما دار فيها وأخذ التعليمات منه وفي النهاية توصل الطرفان الى تخفيض الترانزيت الى ١,٧٥٪ بدلاً من ٢٪.

كذلك حدث شغب وتظاهر من عمال الغوص احتجاجا على تحديد سلفيات الغوص فنزلوا في تجمهرات كبيرة في أسواق المنامة والمحرق وأغاروا على بعض الحوانيت محطمينها ومستولين على بعض موجوداتها مما دفع الشرطة بقيادة المستر بلكريف لمقاومتهم بالقوة وقد أدى الى اصابة بعضهم بطلقات الشرطة النارية. وكان التخطيط لتجمعهم ومسيرتهم يدور في «الدور» الخاصة بهم. والدور عبارة عن مجمع للبحارة وعمال الغوص أشبه بنادي فقام المستشار بهدم عدد من هذه الدور، وكلها كانت بالمحرق. ولما استقر الحال أعادت الحكومة استصدار القوانين المناسبة لتنظيم أعمال الغوص وسلفياته.

قلت فيما سبق ان المستشار بلكريف زاد من اعتماده علي وانه فوق هذا وذاك أمر بزيادة راتبى الشهري مرتين في سنة واحدة زيادة جيدة، كل هذا كان حافزا كبيرا لنارين ليحقد علي. استمر الحال بيني وبين بلكريف ونارين، فبلكريف يوجه لي رسائل انجليزية لأطبعها ويرسل لي أيضا مسودة الرسائل العربية فأترجمها وأطبعها، فأصبحت أقوم بأعباء أكثر من طاقتي ووقتي الصباحي. وكوني خلقت طموحا لا أمل العمل اضطررت لإتمام عملي في الظهرية. (طبعا دون مقابل لأن الأوفر تايم المتعارف عليه اليوم غير متبع في تلك الأيام)، وهذا يزيد من حقد نارين فيعمل على مضايقتي بكل الوسائل وفي أحد الأيام ألقى علي كلمة نابية. طبعا نظرت اليه باحتقار أولاً ثم أجبته بأقسى منها وتوجهت الى مكتب المستشار مشكيا عليه فما كان من بلكريف إلا أن أرسل عليه والظاهر انه وبخه فامتنع عن مضايقتي ولكن حدثت مقاطعة بيني وبينه.

استقالاتي من الوظيفة:

في هذه الأثناء تحسنت أحوال عائلتي المالية بعض التحسن، ففي الوقت الذي كنت أشتغل في ديوان الحكومة كنت أخطط للتحويل الى عمل أهلي التجاري. فأنا تاجر ابن تاجر لا تروقني الوظيفة وما التحقت بها الا للحاجة الماسة عندما رجعت من الجامعة، وخلال أيام الكساد. فلما اشتد عود عملنا التجاري قدمت استقالاتي للمستشار بلكريف وحسب البروتوكول لا بد من تقديمها بواسطة رئيس الدائرة «نارين» الذي يظهر انه أصيب بدهشة عظيمة عندما اطلع عليها فهو يفكر انني أخطط لأحل محله والآن بعد أن وصلت الى هذا المركز الهام وكسبت ثقة المستشار التامة وبعد أن زيد مرتبي مرات متعددة خلاف المعتاد أستقيل. كظم نارين دهشته لمدة يومين أو ثلاثة ولم يقدم الاستقالة للمستشار. وبعد ذلك بدأ يظهر التودد في معاملته لي، ولما سألته هل أرسل استقالاتي الى المستشار قال لا لم أرسلها ولا أرى ان أرسلها بالمرّة، وسألني لماذا أريد الاستقالة قائلاً ألا تعلم وتذكر انك ليس هناك مجال في الوقت الحاضر للحصول على وظائف سواء لدى الحكومة أو شركة النفط أو التجار، أحبته اني لا أسعى لإبدال وظيفتي بوظيفة أخرى، اني أنوي أن أشتغل في العمل الحر، ولكن كلامي هذا لم يقنعه لأن الكساد التجاري ضارب أطنا، ثم وفي مناسبات عدة كرر طلبه مني أن أسحب الاستقالة ولما رأى اصراري بدأ يوسط أصدقائي ومعارفي وحاول مثلاً الاستعانة بالمرحوم الشيخ عبدالله بن حمد آل خليفة حيث كانت تربطني به صداقة ومودة - سبحان مغير الأحوال - بقيت الاستقالة متعثرة بين نارين وبلكريف مدة لا تقل عن ستة أشهر رغم تذكيري بذلك بين حين وآخر، ولم يفاتحني بلكريف عن أمر هذه الاستقالة ولم يغير معاملته لي. وفي أحد الأيام بعد مضي هذه المدة الطويلة وكان كما أذكر يوم خميس كتبت كتاباً الى المستشار طبعاً بواسطة رئيس الكتاب نارين قلت فيه بالحرف الواحد «انه آخر يوم أحضر فيه للدائرة فأرجو اعتباري مستقياً عن العمل». عندها استدعاني المستشار، ولما حضرت الى مكتبه، سألني ما الداعي للاستقالة هل هو الخلاف بينك وبين نارين؟

أجبت لا ، اننا الآن على أحسن وفاق - هل وجدت وظيفة أعلى من وظيفتك الحالية أو أكثر راتبا؟ قلت كلا ولا أسعى الى ان أتوظف ، انما غايتي هو العمل الحر. ولما تأكد من صدق كلامي قال معقبا «انك أظهرت تقدما كبيرا ولك مستقبل كبير في عمل الحكومة ، ولكن إذا كنت تصر على الاشتغال بالتجارة فأنا لا أريد أن أقف في طريقك وأعدك انه في أي وقت يمكنك أن تعود الى وظيفتك الحكومية إذا أردت ذلك أو لم تجد النجاح في التجارة. شكرته على ذلك ، بارحت مكتبه فلم أكد أصل مكنتي حتى جاءني مسودة شهادة كتبها المستشار بلكريف عني بخط يده وكانت مطولة مع ان الشهادات التي يصدرها بلكريف في العادة تكون كلماتها محدودة قصيرة. طبعاً انهيئت سنوات خدمة الحكومة الوظيفية على هذا الأساس. والله الحمد والشكر.

الباب السابع

**ذكریات فی عهد المغفور له
الشیخ سلمان بن حمد آل خليفة**

المقدمة

من فضل الله على البحرين وعلى شعبها ان ولى عليهم حكاما اعتمدت قلوبهم بالمحبة لشعبهم كما اجتباهم المولى سبحانه وتعالى وحبب لهم تبادل الرأي والاستماع للمشورة من رعاياهم .

ولعل اكبر دليل على ذلك تشكيل المجالس الاستشارية في البحرين وابتداء العمل بها منذ اوائل هذا القرن (قرن العشرين) بداية بمجالس البلدية ثم المعارف والصحة والاقواف واموال القاصرين واخيرا وليس آخر مجلس الشورى الحالي . علاوة على هذا فدواوينهم مفتوحة لمن احب زيارتهم وابتداء المشورة او النصيح او التنبيه وحتى الانتقاد البناء . ومن هذا المنطلق اردت ان ادلل على ذلك بذكر بعض الوقائع التالية التى حدثت في ايام المغفور له صاحب السمو الشيخ سلمان وكان لي فيها دور واني بعرض هذه الوقائع لا اقصد منها الا اثبات وتأکید ما ذكرته اعلاه في هذه المقدمة .

فقد كان لسموه دور بارز في تاريخ البحرين ومن صفاته الحميدة بعد نظره وصبره وحكمته وحزمه كما اتصف بحب الاصلاح والاطلاع على كل كبيرة وصغيرة في البلاد .

رحم الله الشيخ سلمان بن حمد وطيب ثراه وأسكنه فسيح جناته .

(الفصل الاول)
الباسپورتات المزورة

الباسبورات المزورة

في اوائل الخمسينات (١٩٥٠م) عندما كان نشاط شركة ارامكو في السعودية على اشده وكان يتوجه العديد من البحرينيين الى المنطقة الشرقية في السعودية للاستفادة من هذا النشاط، طلبا للرزق، لاحظت دوائر الجوازات في المنطقة الشرقية ان بعض حاملي الجوازات البحرينية ليسوا من الناطقين بالضاد وان بعضهم لا يلفظ العربية لفظا صحيحا ولما زاد اشتباهها في امرهم اتخذت طريقة بدائية للتأكد من انهم حقيقة من اهل البحرين، فكانت تطلب ممن تشبه فيه ان يلفظ كلمة «ضب» ومن وجدت انه لا يستطيع لفظها لفظا صحيحا لا تسمح له بدخول المملكة، ولو انه يحمل جواز سفر بحريني ومع الايام تزايد هذا العدد المرفوض وكثر القيل والقال حول هذا الموضوع في البحرين والسعودية.

استاء الكثير من اهل البحرين وتأثروا من هذا الوضع وانا من جملتهم فرأيت من الواجب عدم السكوت واللامبالاة فأمر تسرب الاجانب لبلادنا، وبالاخص في ذلك الوقت من الزمان يهدد كياننا.

توجهت في صباح يوم باكر الى مجلس المغفور له صاحب السمو الشيخ سلمان حيث تشرفت بالمثل بين يدي سموه وبعد احتساء القهوة التمسست من سموه محادثته على حدة، وعندما فرغ المكان قربت من سموه وبدأت حديثي بهذه العبارة «يا طويل العمر هل من المعقول وحكومتمكم تكافح التسرب الاجنبي ان تولوا موظفا صغيرا (درواة) (١) البحرين»، وما ان سمع عبارتي هذه حتى اطرق بناظره الى الارض واخذ يخطط في رملها بعصا في يده، اذ كنا جالسين على دكة خارج قاعة المجلس، ثم رفع بصره ملتفتا الي وقال «تقصد ذاك الـ...؟؟ مشكور يا ولدي مشكور» مرت فترة سكوت قصيرة بعد ذلك، استأذنت بعدها بمواصلة الحديث مع سموه وقلت «يا طويل

(١) الدرواة : ترمز الى البوابة الكبيرة.



صاحب السمو المغفور له الشيخ سلمان بن الشيخ حمد آل خليفة حاكم
البحرين وتوابعها من ١٩٤٢ الى عام ١٩٦١م.

العمر اسمح لي فربما انا فضولي فأرجو معذرتي، اني اود ان ابدي اقتراحا لعله يساعد او يفيد» اجاب «لا يا ابني انت ناصح وصريح وانا احب ان اسمع منك» قلت «طول الله عمرك ربما يرى سموكم ابدال المتولي الحالي بشخص آخر، فأمل ان يكون المتولي الجديد من المخلصين الفاهمين الناصحين، واذا يسمح لي سموكم فاني اقترح احد ثلاثة اشخاص» سميتهم لسموه بحينه (ولا حاجة لذكر اسمائهم هنا). اجاب سموه بعبارة «مشكور بارك الله فيك». غادرت المجلس شاكرا لسموه حلمه وحسن تقبله لكلامي وفعلاً لم يمض وقت قصير حتى عين احد هؤلاء الثلاثة وبدأ التحقيق في الجوازات المشتبه فيها واتخذت الاجراءات لالغاء المزور منها وبذلك انتهت الحاجة لاستعمال كلمة «ضب» في السعودية.

(الفصل الثاني) قصة العزيمة

قصة العزيمة

في الخمسينات (١٩٥٠م) وإيام حركة الهيئة (١) كان لأخي وصديقي المرحوم علي الوزان دكان في وسط سوق المنامة لا يبعد الا بضعة امتار عن محلنا التجارى آنذاك وكنت بين حين وآخر ازوره في دكانه حيث نتبادل اطراف الحديث ونستعرض احداث الساعة.

في احدى الزيارات قال لي انك لم تحضر عزيمة الشيوخ البارحة، (وكان من عادة المغفور له الشيخ سلمان دعوة التجار بين حين وآخر الى وليمة عشاء)، قلت له «لم تصلني دعوة الا اذا كانت قد فقدت»، اجاب «كلا، لم ترسل لك دعوة» استغربت من كلامه وظننته يمزح كيف يدعى كل التجار ولا ادعى انا ولما رأى استغرابي، اضاف «نعم لم ترسل لك دعوة وأؤكد لك ذلك!» سألته ما السبب؟ قال «لأن الشيخ سلمان زعلان منك»، قلت «زعلان مني ولماذا؟» «وماذا عملت؟» لا اذكر اني عملت شيئا يكدر الشيخ سلمان.

غادرت دكانه وانا بين الشك واليقين وكانت من عادتي بين الحين والآخر ان اتشرف بزيارة صاحب السمو الشيخ سلمان في مجلسه الخاص بعد المغرب، فهو يجلس جلسة خاصة مختصرة لا يحضرها الا عدد قليل من الزوار.

قمت بزيارة صاحب السمو في مجلسه تلك الليلة كالعادة فلم ألاحظ على سموه أي تغير في معاملته او مقابلته لي ولكن عدم دعوتي لتلك الوليمة من بين كل التجار، بعد ان تأكدت انه لم يصلني دعوة ظل يقلق بالي. ورأيت انه لا بد لي من اكتشاف سر هذا الاستثناء المستغرب، وحتى اربح نفسي من هذه الحيرة والقلق، صممت على مفاتحة صاحب السمو مستفسراً.

تشرفت بزيارة سموه في الليلة التالية وبعد تناول القهوة وتبادل الحديث القصير التمسست محادثة سموه على حدة ولما فرغ المكان دنيت بقربه وقلت «يا طويل العمر علمت ان سموك دعيت عددا من التجار الى وليمة عشاء قبل

من اليمين: المرحوم علي الوزان - المؤلف راشد الزباني - المرحوم ابراهيم كانو



يومين واستثنيتهما منها واخبرني أحدهم ان عدم دعوتك لي لأنك زعلان مني فهل هذا صحيح؟ نظر الي نظرة فاحصة واجاب بهذه العبارة «انت تعرف» قلت مستغرباً «اعرف ماذا؟ لا اعرف شيئاً عملته يكدر سموك» اجاب «انت ولدنا وعزيز علينا ولكن ما كان يجب ان يحدث منك ما عملت» هنا لم أتمالك وقلت «يا طويل العمر افصح لي فانا لا اعرف ولا اذكر اني عملت شيئاً يكدرك» وبعد اخذ ورد مع سموه وهو يتردد ان يفصح لي بما يجول في خاطره وقلبي مشتعل من الحيرة فيما يرمي اليه وما يقصد به قال «انت قبل اسبوع ذهبت الى قرية الزلاق وجمعت اناساً ثم ألقيت فيهم خطاباً تحرضهم فيه علينا» قلت «معاذ الله ان افعل ذلك» قال باصرار «نعم عملت» قلت «يا طويل العمر ان هذا محض افتراء علي فأنا لم أر الزلاق او ذلك الساحل منذ اكثر من سنتين ومستعد ان اقسم لك على القرآن بذلك، كما انه بإمكان سموك ان تأمر دائرة التحقيقات لتحقيق معي لتعرف اين كنت تلك الليلة»، هنا تغيرت لهجته وعاد يقول «تقول انك لم تكن في الزلاق تلك الليلة» قلت «أؤكد لك اني لم ار الزلاق منذ سنوات» قال مندهشاً «أما بالله!» سكت بعد عبارته هذه برهة قصيرة ثم أتبع كلامه بقوله «على كل انت ولدنا وعزيز علينا» قلت «لا يا طويل العمر ان هذا افتراء وغيبة في حق مخلص لسموكم واني ارجو ان تحضروني مع من نقل لكم هذا الافتراء وأطلب من عدالتكم ان تأخذوا حقي ممن اراد ظلمي وتشويه سمعتي لدى سموكم».

لم يوافق سموه على احضاري مع المفترى والظاهر انه شخصية مهمة وقال «على كل ربما صار اشتباه - واعاد تكرار عبارته الجميلة - (انت ولدنا وعزيز علينا)» ولما رأيت اصرار سموه على عدم جمعي مع المفترى رجوته ان يرسل عليه على الأقل ليوبخه على فعلته وافتراءه او بالأحرى يعاقبه على هذا الافتراء المشين، ولم أطلع على ما اتخذته سموه من اجراء تجاه ذلك المفترى ولكنني شعرت بأنني قد برأت ساحتي لدى سموه وكسبت المزيد من رضاه. هكذا مع الأسف يحاول بعض الناس لأغراضهم الخاصة ان يصطادوا في الماء العكر.

(الفصل الثالث) الهيئة

الهيئة

كما هو معلوم كانت ايام اوائل الخمسينات (١٩٥٠م) ايام عنفوان الهيئة المؤلفة من ثمانية اشخاص والتي كانت تطالب الحكومة باجراء اصلاحات ادارية، ومع ان المطالب التي تقدمت بها الهيئة كان لها ما يبررها الا ان الاسلوب الذي سلكته الهيئة في المطالبة في نظري ونظر العديد من الناس اسلوبا عشوائيا غير مدروس.

وكان الشيخ سلمان، رحمه الله، رغم عناد مستشار حكومته الانجليزى بلكريف، يجذب التفاهم ويستحسن اجراء بعض الاصلاحات الادارية اذ وافق في البداية على تشكيل مجالس استشارية مختلفة للبلديات والمعارف والصحة، ولكن الهيئة وبإغراء كما يقال من المقيم السياسي البريطاني الموجود آنذاك في البحرين لم تكتف بما نالته من هذه المطالب بل ذهبت الى أبعد من هذا وطالبت بتشكيل مجلس إداري يشمل شؤون الحكم الأمر الذي لم يوافق عليه الشيخ سلمان في بادئ الأمر، وبعد رد وبدل وعدها كما فهمنا بالنظر في ذلك بعد مباشرة العمل في المجالس الممنوحة، وبعد ان يرى الجميع نجاح تجربتها، ولكنها أصرت على رأيها وتمسكت به.

كانت البلاد في حالة غليان، والشعب بين مؤيد للهيئة وبين معارض لها، أو بين مختار ومذهول لا يعرف كيف يتصرف، وكانت سياسة الحكومة البريطانية غير مفهومة هل هي يا ترى تعمل على تحريض الهيئة؟ وهل هي ضد المستشار بلكريف؟ أو معه؟ أما المستشار فقد كان يؤيد الشيخ سلمان تأييداً كاملاً.

في هذا الجو المتوتر كان لا بد من إيجاد وسيلة لكسر هذا الجمود وتقريب وجهات النظر بين الطرفين، هنا خطرت لي فكرة لمحت فيها بادرة أمل للوصول الى حل وسط يرضي الجميع. اتصلت بالمرحوم الشيخ خليفة بن محمد آل خليفة الذي كان يشغل يومها مركز آمر الشرطة والذي تربطني به صداقة ومودة، إذ كنا زملاء في البعثة المتبعثة لجامعة بيروت الامريكية،

اتصلت به تلفونيا وطلبت الاجتماع به على جناح السرعة. رحب رحمه الله، بطلبي فاجتمعنا في مجلسه بالبحرق حيث تباحثنا واستعرضنا أحداث الوضع المتوتر وما هي السبل الكفيلة لحل هذا الخلاف وانهاء التوتر.

عرضت عليه فكرتي وهي اني ارى ان الشيخ سلمان قد منح الهيئة عدة امتيازات عارضا تجربتها ليري الجميع نتائج وفوائد تنفيذها كما عرض عليها تأجيل المطالب الاخرى موعداً بالنظر فيها فيما بعد فلماذا لا نقنع الهيئة بقبول ما منح لها الآن وتأجيل المطالبة بالامور الاخرى. لقي اقتراحي هذا قبولا لدى المرحوم الشيخ خليفة. قلت اذا سأحاول الاتصال بعبدالرحمن الباكر وعبدالعزيز الشمالان بصفتهم زعمي الهيئة لاقتناعهما بذلك فاذا وافقا سأخبره وعليه هو بعد ذلك ان يذهب الى الشيخ سلمان ليطلعه على قبولهما او بعبارة اخرى قبول الهيئة وبناء عليه تسوى الامور بين الطرفين على هذا الشكل.

اتصلت بالباكر والشمالان واجتمعنا ليلاً في سيارة خارج مدينة المنامة حيث عرضت عليهما قبول ما امكن الحصول عليه من مطالب مع وعد من الشيخ سلمان بالنظر في المطالب الاخرى بعد مرور تجربة تنفيذ المطالب الممنوحة للهيئة وبعد اخذ ورد وافق الاثنان ووعدا باقناع بقية اعضاء الهيئة بذلك وقد اخبرتهما اني وشخصية مهمة ذات مقام كبير لدى الشيخ سلمان نسعى لتذليل هذه الصعاب ولم افصح لهما عن اسم الشيخ خليفة.

في الصباح الباكر تلفنت للشيخ خليفة اخبره بما جرى وان عليه ان يتوجه لمقابلة سمو الشيخ سلمان واطلاعه على ما جرى، ذهب الشيخ خليفة الى الرفاع لمقابلة صاحب السمو الشيخ سلمان لعرض الموضوع على سموه. كنت على أحر من الجمر انتظر الالتقاء بالشيخ خليفة للاستماع الى نتائج اجتماعه مع الشيخ سلمان.

في الظهر تلفن لي وهو قلق في كلامه، وقال «يا راشد كدنا نقع في مصيبة ولكن الله سلم، تعال عندي لا استطيع ان اكلمك بالتلفون» ذهبت مسرعا لملاقاته في مجلسه بالبحرق فقال «عندما وصلت اخبرني احد الحاشية ان الشيخ سلمان مجتمع اجتماعا خاصا مع شخصيتين مهمتين انتظرت حتى خرجا ولما

دخلت على سموه وبعد تبادل التحية واثناء تناول القهوة فاجأني سموه بقوله انه غير راض عن تحركات اعضاء الهيئة وانه لا يسعه التغاضي والسكوت على ما يفعلونه وانه لا بد من اتخاذ اجراء لوقفهم عند حدهم بل ومعاقتهم». يقول الشيخ خليفة هنا اسقط في يدي وحمدت الله اني جئت متأخرا لمقابلة سمو الشيخ سلمان الذي فاتحني بما جرى وما ينوي ان يتخذه من اجراء مع الهيئة قبل ان افاتحه بما اتفقنا عليه من مبادرة وحديث .

في النهاية انتهت الهيئة كما هو معلوم للجميع ، وفي نظري انه لو قبلت بما منح لها من مطالب لكان ذلك من صالح الجميع ولكن المثل العامي يقول «من بغاه كله خلاه كله» .



رئيس الشرطة المرحوم الشيخ خليفة بن محمد آل خليفة
باللباس العسكري

(الفصل الرابع)

بيوتنا بالرفاع

بيوتنا بالرفاع

كنا نسكن في المحرق في فريقنا (فريق الزياينة) ثم تحول سكننا الى مدينة المنامة فسكننا في فريق العوضية في بيت كان في الاصل لمحمد شريف عوضي المشهور في زمانه، عرض بيعه علي المرحوم محمد حسين باقر فاتفقت معه على شرائه وبعد تعميره واصلاحه اتخذناه سكنا لنا، كان نزلاؤه والدي وعائلته وانا وعائلتي فقط.

في إحدى الصباحيات ارسل الي والدي رسولا يطلب حضوري في مجلسنا لمقابلة زائر مهم جاء لزيارتنا، كان الزائر المرحوم الشيخ ابراهيم بن حمد آل خليفة. بعد تناول القهوة وتبادل الاحاديث الودية قال الزائر المذكور «يا اخ عبدالرحمن انا جئتكم في موضوع ارجو ان لا تردوني» قال والدي رحمه الله «وصلت خيرا» قال «انا عندي بيت بالرفاع الغربي ومستغني عنه اريد بيعه واحب انكم تشترونه مني» اجاب الوالد «لا بأس سننظر في الامر وان شاء الله ما يصير خاطرك الا طيب» بعد مغادرته بدأت والوالد نفكر ونتذاكر في موضوع هذا البيت.

كان الرفاع الغربي في ذلك الزمان خاصة الجهة الغربية منه تقريبا خالية من البيوت الا قصر سمو الأمير وعائلته وإخوته وبعض الحاشية ويقع بيت الشيخ ابراهيم منعزلا في الطرف الشمالي منها.

والذي نعرفه ان المغفور له الشيخ سلمان لا يحب ان يجاور قصره في الرفاع الغربي الا من يستحسن مجاورته والشيخ ابراهيم اخو الشيخ سلمان وقد زارنا وقصدنا بالذات في مجلسنا. بعد المداولة فيما بيني والوالد والتفكير في الامر، قررنا التشرف بزيارة صاحب السمو الشيخ سلمان لعرض الموضوع على سموه. في عصر اليوم التالي توجهت والوالدي الى الرفاع حيث تشرفنا بالمقابلة الكريمة وعند سنوح الفرصة افتتح والوالدي الحديث مع سموه قائلاً «طول الله عمرك زارنا ولدكم (١) الشيخ ابراهيم بن حمد وعرض علينا شراء بيته

(١) الشيخ ابراهيم اخو الشيخ سلمان انما جرت العادة بين الامراء اطلاق «ولدكم» على الاخ الصغير.



صورة لوليمة أقيمت احتفاءً بالمعتور له الشيخ سلمان بن حمد آل خليفة أثناء
زيارته للشيخ عبدالرحمن الزباني في منزله الحديد بالمنامة بعد تحوله من المحرق

بالرفاع، وبما ان هذا الملك مجاور لقصوركم لم نجبه بالقبول الا بعد مراجعتكم والاستئذان من سموكم، اجاب سموه بهذه العبارة «يا اخ عبدالرحمن نحن من زمان نقول لك اترك المنامة وتعال انزل حولنا والآن هل انتم عازمون على ذلك» اجاب الوالد بطبيعة الحال لا ننوي غير ذلك، قال «اذ تباركوا». وقد علمنا فيما بعد ان أناساً آخرين تقدموا لشراء ذلك البيت ولكن سمو الشيخ سلمان لم يستحسن البيع لهم. تم شراء البيت وبعد مدة خطط الشارع الذى امامه فأصبح بينه وبين الشارع فراغ كبير فتقدمت بكتاب الى صاحب السمو الشيخ عيسى ملتماً شراء هذا الفراغ فأكرمنا أطال الله عمره به. وعلى اثر ذلك شرعنا في بناء بيوتنا الثلاثة التى استغرق بناؤها مدة طويلة لأسباب عدة: عدم توفر المهندسين المحليين والأيدي العاملة الممتازة في البحرين في ذلك الزمان مما اضطرنا الى الاعتماد على جلب كل شىء من الخارج، مع هذا وفي نفس الوقت تزامن بناء البيوت المذكورة مع انشغالنا بالقيام بمشاريع اخرى كمشروعي تشييد فندق دلمون ومصانع بلاستيك الخليج، مما أخر استكمال البيوت في وقت أقصر.

والمهم ان لكل شىء سبباً فلولا زيارة الشيخ ابراهيم لنا لما تركنا سكننا بالمنامة وتحولنا الى الرفاع.

الباب الثامن

قصتي مع العمل التجاري

المقدمة

كان لوالدي، رحمة الله عليه، الفضل الأكبر في حسن تربيتنا، أنا وإخوتي وتوجيهنا التوجيه الصحيح المستقيم في مجال حياتنا ومن أفضاله علينا انه غرس في نفوسنا الاعتدال في معالجة أمورنا واتباع سبل الاقتصاد وعدم التبذير في معيشتنا متخذاً من القول السليم «الاقتصاد نصف المعيشة» «وان المبذرين كانوا اخوان الشياطين»، فضلاً عن إرشاده لنا بأن نعتمد على الله وعلى أنفسنا عند طرق سبل عيشنا. (ولذلك لم يكن يخصص لي ولاخوتي مصروفا يوميا مقررًا كما هو متبع اليوم بين العائلات).

من هذا التوجيه وهذا المنطلق تعودت منذ صغري على طرق أبواب الاقتصاد والتوفير وأحمد الله اني بممارستي هذا التوجيه واتباعه وفقت في توفير المال لتنفيذ العديد من المشاريع والأعمال التي قمت بها أو توليتها طيلة حياتي إذ كانت تلك التوجيهات، هي المنار الذي كنت ولاأزال أهتدي به. ولعل القارئ يود أن يسمع شيئاً عن بعض تجارب الاقتصاد والتوفير التي مررت بها. أثناء دراستي بالجامعة الأمريكية في بيروت ضمن البعثة المكونة من ثمانية أشخاص كان يدفع لكل فرد منا مخصص اسبوعي متساو. مع هذا كنت الوحيد من أفراد البعثة الذي عندما ينتهي الأسبوع يكون لديه فائض من ذلك المخصص فكنت قبل استلام المخصص الجديد أأخذ ذلك الفائض في علبة خاصة أخفيها في متاعي. وفوق هذا وذاك، فاني لم أصرف الاربع الجنيهات الذهبية التي وضعها والدي في جيب شنطتي يوم سفري من البحرين، موصيني بأن أحتفظ بها للضرورة، (جاء ذكرها في الذكريات تحت عنوان «أول بعثة تعليمية تبتعث من البحرين» صفحة ٨٩) والتي أعدتها الى والدي بعد رجوعي من الجامعة مضافاً إليها مبلغاً كنت قد وفرتة من مصروفي الأسبوعي.

اني أمل ألا يتبادر لذهن القارئ ويصفني بالبخل فاني لست كذلك ولكنني استفدت من توجيهات والدي أخطط وأضع الأمور في موضعها

الصحيح ، فقد كانت عيشتي في الجامعة أفضل عيشة بالنسبة للآخرين . فبعد مضي ٧ أو ٨ أشهر من العام الدراسي ، وحلول العطلة الربيعية ، فتحت العلبة ، وأحصيت ما تجمع بها فإذا بها من التوفير ما كفاني لشراء آلة تصوير مع ملحقاتها وطاولة كتابة مع كرسيها ، لمذاكرة دروسي ، ركنتها بجانب سريري . كما اشترت لوازم وحاجيات الرياضة التي كنت امارسها باستمرار ، من ملابس واحذية ومضارب تنس وكرات وغيره .
اما عن توجيه والدي لنا للاعتماد على أنفسنا عند طرق سبل عيشنا فأذكر هنا ما يلي :

قبل سفري للدراسة في الجامعة الامريكية في بيروت وكنت في أوائل العقد الثاني من عمري ، كان والدي يصطحبني معه في فصل الصيف الى مغاصات اللؤلؤ كونه طواشا (١) . وكان رحمه الله ، يدعوني للجلوس بجانبه عندما يستعرض مشترياته من اللآلئ أو يزنها أو يقيمها أو يوبها بقصد تعليمي حرفتنا التقليدية التي ورثناها أباً عن جد .

بعد إدراكي لما يفني بحاجتي من الخبرة طلبت اليه ان يقرضني مبلغا بسيطا من المال لأمارس به خبرتي منفردا ، فخصص لي المبلغ المطلوب واشترى لي قارباً صغيراً يجذف فيه بحار واحد (٢) ، فكنت بواسطة هذا القارب أزور سفن الغواصين عارضا شراء القليل الرخيص من اللؤلؤ علاوة على ما يسمى بالمخسر (٣) ، ولا تبدأ زيارتي هذه إلا بعد أن يفرغ الطواشون المعتمدون أمثال والدي من زيارتهم الصباحية للغواصين . وكان الغواصون ينظرون لي وأنا في قاربي الصغير - نظرة متطفل على عمل الطواشة ، حتى ان بعضهم لا يسمح لي بالصعود الى سفنهم ولو بعد انتهاء الطواشين المعتمدين من زيارتهم - إما لعدم وجود شيء عندهم للبيع أو ربما احتقارا لصغر سني وتفاهة قاربي .

(١) اصطلاح يطلق على التاجر الذي يشتري اللؤلؤ من الغواصين في عرض البحر.

(٢) في ذلك الزمان لم يبدأ استعمال المحركات الميكانيكية في السفن والقوارب.

(٣) اصطلاح يطلق على نوع من اللؤلؤ الملصق بالصدفة.

عند جمع مشترياتي وتبويبها وتقييمها، كما علمني والدي، وبعد أن أكون قد استنفدت كامل المبلغ المقترض أو غالبيته، اعرض علي والدي شراءها مني دون أن أخبره برأس مالها، فكان يعرض علي ثمن الشراء حسب تقديره، فإذا كان تقديره مربحاً، وفي الغالب يكون كذلك، بعته، أما إذا كان خاسراً، طلبت منه أن يوضح لي مدى خطئي في الشراء.

كانت تجربتي هذه مرة واحدة أثناء فصل الصيف قبل ابتعائي للجامعة ولكنها والحق يقال كانت أكبر حافز لي للاستمتاع بالعمل الحر وكنت آمل أن أباشر العمل التجاري مع والدي بعد عودتي من الجامعة ولكنني مع الأسف الشديد أصبت بخيبة الأمل إذ فوجئت بل وصدمت بعد عودتي بالعسر المالي الذي ألم بوالدي من جراء تدهور عمل اللؤلؤ والاتجار به لأسباب عديدة منها مثلاً انتشار اللؤلؤ الصناعي الياباني في الأسواق العالمية والكساد التجاري العالمي الشهير الذي أحاق بالعالم في الثلاثينات ناهيك عن عزوف العديد من عمال الغوص عن مواصلة مهمة الغوص الشاقة، واتجاههم للعمل المريح نسبياً في شركة نفط البحرين. لقد وجدت والدي عند عودتي من الجامعة في حيرة من أمره فتجارة اللؤلؤ أصبحت فاشلة وهو لا يجد ولا يعرف مهنة غيرها كما انه أصبح لا يملك مالا للمتاجرة في عمل آخر بعد أن فقد جل ثروته. أجل لقد أصبت بخيبة أمل ومرارة ولم أجد سبيلاً لضمان معيشتنا إلا الوظيفة مع التطلع بشوق وتحفز الى العمل التجاري في الوقت المناسب وهذا ما حدث لي فبدل أن أشتغل بالتجارة كما كنت مؤملاً ومتوقفاً اضطررت لالتحاق بمدرسة الهداية الخليفية بوظيفة مدرس رياضيات فيها وبعد مرور سنة على ذلك نقلت الى ديوان الحكومة الذي كان يشرف عليه ويتولى ادارته المستشار الانجليزي بلكريف حيث مارست وظيفة السكرتارية والترجمة لمدة ثماني سنوات استقلت على أثرها وباشرت العمل التجاري الذي كانت تتوق نفسي اليه وفيما يلي أشرح بعض التفاصيل عن كيفية ممارستي للتجارة.

(الفصل الأول)

الخطوة الأولى في مشوار العمل التجاري

أقصى اليسار: أول محل تجاري بأسرنا التجارة فيه - شارع باب الجرين



الخطوة الأولى في مشوار العمل التجاري

بعد أن بدأت تتحسن أحوالنا المالية في أواسط الثلاثينات، وكنت آنذاك موظفا في ديوان الحكومة، باشرت بمراجعة التكنولوجيات ومتابعة مجريات الأعمال التجارية ومراسلة بعض الشركات المصدرة في الخارج وبدأت أتطلع الى ذلك اليوم السعيد الذي أنطلق فيه من عقال الوظيفة الى العمل الحر. وكنت بمشاركة والدي وأخي أحمد قد وفرنا مبلغا زهيدا لا يتجاوز ألف روبية (مائة دينار). وفي يوم من الأيام أخبرني أخي الكبير وأستاذي أحمد العمران، وكان آنذاك يتولى منصب سكرتير بإدارة الكهرباء المستحدثة مؤخرا، والتي كان يشرف على ادارتها مهندس انجليزي يدعى (استيل)، أخبرني ان المدير قرر عدم رغبة الدائرة مواصلة العمل بتركيبات الأسلاك الكهربائية في المساكن والمحلات التجارية مفضلا إعطاء ذلك لمقاول.

كان كلامه هذا لي كلاما عابرا غير مقصود، ولكنني ما كدت أسمع هذا القول منه، حتى خطر لي خاطر تجاري. فلم أجبه أو أعلق على كلامه في الحال كي أعطي نفسي مهلة تفكير لدرس هذا الخاطر التجاري والعمل على استغلاله. بعد تفكير تذكرت ان ابن عمنا سلمان الزباني لديه دكان بشارع التجار بالمنامة يبيع فيه بعض الأدوات الكهربائية وكان يعمل عنده عامل هندي يقوم بإصلاح المراوح وما شاكلها في ورشة متواضعة تقع في عقر الدكان. ففأثت الأستاذ العمران في اليوم التالي بقولي «يا أستاذ ما رأيك لو انني اشركت مع سلمان الزباني وتقدمنا بطلب لدائرة الكهرباء للقيام بالتركيبات الكهربائية التي ذكرتها لي؟ أجاب الأستاذ العمران وقال «أنت تعرف انك موظف حكومة والقوانين لا تسمح لك بالمشاركة مادمت في الوظيفة اما سلمان فهو تاجر حر يمكنه أن يتقدم بطلبه للدائرة» أجبته «نعم فكرت في هذا ولدي الحل» فقال «ما هو؟» قلت «ان الشراكة مع سلمان ستكون باسم والدي أو أحد الأخوين، اما الرخصة فتكون باسم سلمان الزباني»، قدم سلمان الزباني طلبا لإدارة الكهرباء قبل في الحال، وأعلن للجمهور اسمه

كمقاول مرخص للتركيبات الكهربائية كما سلمت له دائرة الكهرباء جميع الطلبات المتجمعة لديها - هنا «قامت القيامة» إذا صح التعبير، إذ قدم عدد من التجار احتجاجا لدى دائرة الكهرباء يحتجون فيها على إعطاء سلمان رخصة بمفرده، فأجابتهم الدائرة انها مستعدة لإعطاء رخصة لمن يطلبها إذا توفرت لديه الكفاءة والشروط اللازمة، وفعلا تقدم بعض التجار، ولما قبلت طلباتهم أصبح لزاما عليهم قبل مباشرتهم العمل الاستعداد بالفنيين والمواد اللازمة للتركيبات مما استغرق وقتا كان سلمان قد استغله واستفاد منه، وعند انتهاء كل الطلبات المستلمة من دائرة الكهرباء، صارت المنافسة شديدة وغير مربحة، فاضطررنا الى التوقف وتحاسبنا في الربح، فكانت حصتنا تفوق الألفين من الروبيات بقليل.

بهذا المبلغ البسيط سعينا للبدء بفتح عملنا التجاري، ولكن واجهتنا صعوبة اعتراض والدي على مبدأ القبول بفتح محل تجاري مدعيا ان هذا من أعمال التجار الهنود والأجانب وليس من أعمال تجار اللؤلؤ وهي تجارتنا الطبيعية الموروثة. طبعاً في ذلك الوقت كانت تجارة اللؤلؤ فاشلة وخاسرة. وبعد أخذ ورد مع الوالد استطعت ان أقنعه بفتح محل تجاري بعد أن أوضحت له مشكلات تجارة اللؤلؤ وما جلبته لنا من متاعب وخسائر. ولكونه غير مرتاح لفتح محل تجاري عاد ليقول «ان فتح محل تجاري برأسمال صغير في حدود ألفي روبية (١) سوف لن يكون مربحاً» فأجبتة بأني قد وضعت في حسابي هذه المسألة وان تقديري بالمرودود الربحي بعد مضي سنة على العمل والمتاجرة سيكون بسيطاً ولكن امل اطراد زيادة الربح في السنوات اللاحقة. (٢) وافق الوالد بتردد وبدأنا بالبحث عن المحل المناسب، واذا بالصدفة، نجد مكاناً له فتحة واحدة على الشارع، إلا انه كان عميقاً وعريضاً من الداخل، يقع على شارع باب البحرين بالقرب من مكتب عبدالعزيز البسام مقابل (الجبرة) (مخازن جمارك الحكومة)، التي تحولت فيما بعد الى محلات

(١) مائتا دينار

(٢) وما يجدر ذكره هنا ان ناتج المتاجرة في السنة الاولى كان جيداً بحيث اننا ضاعفنا رأسمالنا.

تجارية ممتدة من السوق المغطى وحتى دائرة الشرطة بالمنامة وكان الدكان ملكاً لفضل النعيمي ويشغله أحد التجار الهنود والظاهر انه أفلس، فصفى بضائعه وموجوداته ولم يبق منها إلا الخزنة الحديدية والخزانات الفارغة التي تعرض بها البضائع. فاتفقنا معه واشترينا الجميع بمائة وعشرين روبية (١٢ ديناراً) يا بلاش!

صرفنا من الألفين حوالى ٢٠٠ بقى ١٨٠٠ روبية. في هذه الأثناء كان الأخ أحمد في بومبي، وكان يرسل لنا بين حين وآخر مع الركاب القادمين من الهند، كمية محدودة من النعل الرجالية. وكنا عند استلامها نبيعها على المحلات التجارية بسوق المحرق عن طريق دلال. نبيعها مفردة أو ما شاكل ذلك ونحصل منها على المقسوم. وطبعاً محظور على الدلال، وهو في الغالب خالنا (عبدالله) ان يذكر للمشتري صاحب تلك البضاعة. فكان يدعي انها لأحد التجار من الهند. وعبدالله المذكور كان أصغر أخواننا الثلاثة وكان يشتكي من ألم في رجله مما يضطره السير ببطء معتمداً على عكازه. وهذه المهمة تناسبه لأن سوق المحرق كان صغيراً وقريباً من بيتنا.

الدكان:

كان لا بد من إيجاد بضائع ملء الدكان، فقمنا مع والدي، وأحياناً بمفردي، بعد الظهر بطبيعة الحال لأني لازلت في وظيفة الحكومة وأدوم فيها في الصباح. قمنا بزيارة تجار الكماليات وغالبهم هنود لنشتري منهم بعض السلع البسيطة على أساس أن ندفع لهم قسماً من الثمن والباقي يدفع لهم على سبيل المسابقة. والمسابقة هي انه في نهاية كل اسبوع، ندفع ما نستطيع دفعه من ثمن البضاعة - طبعاً بدون اضافة فائدة - وأذكر ان أحد الهنود قال مرة كلمة حزت في نفسي ولا زالت كذلك الى هذا اليوم. فقد اشترينا منه بضاعة بمبلغ ٩٠ روبية فقال «بس شيخ كبير ودكان ومشترواتك بهذا المبلغ البسيط» أجبت «ان هذا للتجربة وحتى تصل لديك بضاعة جديدة». في نفس الوقت كتبنا للأخ أحمد ان يزودنا بأية بضاعة وطبعاً هو سيشتريها بالدين ومن فضل الله علينا ان سمعنا التجارية كانت طيبة واننا موضع أمانة وثقة في البحرين

والهند. اقترحنا عليه تزويدنا ببعض الأثاث من كراسي وطاولات كتابة وكذلك نعل وغتر وما شاكل ذلك. وعندما وصلت أول بضاعة بالمركب بصحبة أحد المسافرين توفيراً لأجور الشحن ذهبت للمركب لاستلامها وصادف وصول المركب أثناء الليل وكانت كما أذكر ليلة قاسية فالريح كانت شديدة عاتية وكان من الصعب التصاق اللنجات (١) بالمركب الذي كان يرسو شمال البحرين في عرض البحر، نظراً لعلو الأمواج فكيف يمكن الصعود الى المركب وكيف يمكن تنزيل الأثاث في اللنج والأمر كله بالليل. كانت مخاطرة جسيمة ومالية سيما وإن الأثاث عار غير مغلف. على كل، سهل الله، وأحضرنا الأثاث. وبعد تنظيفه، عرضناه في الدكان كما عرضنا النعل والغتر في الخزانات بعد أن قربناها بقرب بعضها البعض لتصغير مساحة العرض في الدكان. وحفظنا الباقي منها في الخلف للتوسعة في المستقبل.

في اليوم الثاني فتحنا الدكان بعد الاعلان عن ذلك فكان الإقبال كبيراً من الزائرين للتبريك وكنا بدائيين في نظرتنا التجارية فلم نربح إلا ربحاً بسيطاً على مبيعاتنا من البضائع المباعة ومع أن الريح كان بسيطاً لا يكاد يذكر إلا أن إقبال الزبائن على الشراء هياً لنا ولحلنا دعاية طيبة.

واصلنا العمل بالطريقتين الأنفتي الذكر الشراء من السوق المحلي والدفع بالمسابقة والاستيراد من الهند بواسطة الركاب القادمين منها والشراء عن طريق المسابقة لا يكلفنا رأسمال إلا أن التجار الهنود، وهم المستحوذون على الوكالات الرئيسية في ذلك الزمان، لا يسمحون لنا إلا بفائدة بسيطة لا تغني ولا تسمن من جوع مثلاً معجون الأسنان كولنوز المشهور آنذاك وكيله (أشرف) كان يعطينا أنة واحدة تخفيضاً فقط عن سعر المفرق. وبريلكريم دهان الشعر وكيله (جشنال) كان يعطينا آتين عن القنينة الكبيرة من هذا الكريم بمعنى أنه إذا اشترى زبون قنينة دهن شعر ماركة بريلكريم بروبيتين وصادف أنه لم يسدد ثمنها إلينا خسرنا خسارة كبيرة.

(١) اللنجات : القوارب الميكانيكية

لقد حز في نفسي تصرف التجار الهنود وطمعهم وعدم اهتمامهم بسماع احتجاجنا فبدأت أراسل الشركات في الخارج ، وذلك بأن أبقى في مكتب الحكومة بعد الظهر مكتفيا بغداء بسيط جدا لتسنع لي الفرصة لمراسلة الشركات الأجنبية مستفيدا من وجود الآلة الكاتبة القديمة التي كانت مرمية في جانب من جوانب المكتب لعدم صلاحيتها والتي تمكنت من اصلاحها لحد ما والاستفادة منها . كانت المراسلة باسم المحل . تمكنا على اثرها من طلب بعض بضائع مماثلة لتلك التي عرفت واشتهرت في السوق مثلا امواس حلاقة ودهن شعر وبعض الكماليات وما شاكل ذلك - بعد أن وجدنا ان أسعارها رخيصة ومزاحمة فكان لذلك وقع كبير لدى الزبائن حيث بدأ الإقبال على شرائها بعد بعض التردد . ثم جازفنا بأن طلبنا من النمسا خمسين طاقة (طول) قماش نسائي ويل . ويتكون الطول من خمسين ياردة على أساس التوسع في العمل ، ولكن عندما وصلت البضاعة أسقط في يدنا إذ تبين لنا ان تكلفتها مرتفعة بالنسبة لأسعار السوق فلم نجد عليها إقبالا وطلبا وكانت تجارة الأقمشة النسائية آنذاك محتكرة من قبل التجار اليهود الذين قدموا من العراق واستوطنوا في البحرين وهم بطبيعة الحال يطلبون كميات كبيرة وبأسعار رخيصة حاولنا بيعها ولو برأسها فلم نوفق ، ولكن لطف الله وبركة والدنا وجدنا ، رحمهما الله ، أسعفتنا إذ صادف ان زار البحرين في تلك الأيام وزير المالية السعودي المرحوم الشيخ عبدالله السليمان ، فبادر التجار الى زيارته للسلام عليه كما هو مألوف لدى الجميع . وكان من بين الزائرين والدي ، رحمه الله ، والمرحوم أحمد بن عبدالله الدوسري - والدوسري المذكور كان رحمه الله من أعز أصدقاء والدي ، وكان محبوبا ومقربا من الجميع وكان يزورنا في المحل كل يوم يجلس ويتحدث مع الوالد وأحيانا معي . التفت إلي في اليوم الثاني من وصول الوزير وقال «يا ولدي راشد لاحظت بعض التجار يعرضون على الوزير بعض البضائع ، وجهني إلى بضاعة لديكم لأعرضها على الوزير لعلي أدرك بعض الفائدة» قلت له «يا عم ، الحفيز (المحل) كله تحت أمرك» - التفت يمنة ويسرة ، وقال اعطوني أربعة أطوال من هذا القماش النسائي لعلي أوفق في بيعه على الوزير . أمرت أحد العاملين بأن يرافقه بأربعة أطوال الى

مجلس الوزير. رجع بعد ذلك وقال «يا راشد كل الناس زاروا الوزير لماذا لا تذهب أنت أيضا للسلام عليه» قلت «يا عم يكفي انك والوالد وأمثالكم قمتم بالزيارة اما أنا فلازلت صغيرا ولم أصل بعد الى مركزكم» وانتهى الحديث معه الى هذا الحد لكنه في اليوم الثاني أعاد الحديث عن زيارتي للوزير أمام والدي ولما اعتذرت قال موجهها الكلام الى والدي «ولذلك هذا عنيد لا يسمع الكلام» عندها التفت والدي الي وقال «وافق عمك أحمد» قلت «لا بأس أمر والدي مطاع ولكن اشترط أن يذهب العم معي للتعريف على الأقل لأنني لست تاجرا مهما وسني لا يتناسب مع مقابلة الشخصيات الكبيرة». ذهبت والمذكور الدوسري لزيارة الوزير، ولما أقبلنا على مجلسه شاهدته جالسا في صدر المجلس والناس جلوس حوله من بعد سلم عليه العم أحمد الدوسري أولاً ثم مددت يدي لأصافحه فصافحني ببرود اعتيادي كما كنت أتوقع «رؤوس الأصابع» وهنا قال العم أحمد: «هذا راشد بن عبدالرحمن بن الشيخ عبدالوهاب الزباني» وما كاد يذكر اسم الشيخ عبدالوهاب الزباني حتى عاد الوزير وجذب يدي وشد عليها وقال بالحرف الواحد «أهو جدك الشيخ عبدالوهاب؟» قلت «نعم» قال «حياك» وأجلسني بقربه ثم أمر بالقهوة وفي أثناء تناول القهوة قال العم أحمد «أطوال القماش التي جلبتها أمس هي من محلهم» أمر الوزير بإحضار الأربعة أطوال وعندما ألقيت على الأرض التفت الوزير الي وقال «هل هذه من متجركم» قلت «نعم» قال «هل هي كل الكمية الموجودة لديكم؟» قلت «عفو لدينا كمية أخرى» قال «بندوها كلها» أي احزموها كلها لنا. استأذنت للمغادرة فطلب مني الوزير التريث. حان وقت الغداء فدعاني للغداء مع الحاضرين وبعد الغداء وشرب الشاي سألني الوزير هل عندكم بالمحل تليفون قلت نعم، أمر الكاتب أن يأخذ نمرة التليفون ثم قال «سنوجه طلباتنا اليكم أو بواسطتكم فالذي عندكم يكون من عندكم والذي لا يوجد تشترونه من السوق وتضيفون عليه سعيا لكم انما لنا شرط واحد هو أن لا تغلقوا محلكم في المساء قبل أن نأذن لكم بذلك» (١).

(١) كانت السعودية في ذلك الزمان تستورد وتشتري اغلب حاجياتها الغذائية والكمالية من اسواق البحرين او عن طريق ترانسييت البحرين

كانت عادة غلق الأسواق في ذلك الزمان مع غروب الشمس ولكننا كنا حسب رغبة الوزير نظل فاتحين أحيانا حتى الساعة العاشرة أو الحادية عشرة ليلا وإلى أن يقال لنا اغلقوا. وجهت إلينا طلبات مشتريات الوزير المتنوعة، وكانت الغالبية منها تشتري من السوق لقلّة الموجود منها في محلنا. ومع اننا كنا مسرورين من العمل، إلا اني كنت قلقا على ماذا سيحدث لنا لدفع مبالغ ما اشتريناه من السوق لحساب الوزير! فالسعودية في ذلك الزمان لم تكن حالتها المالية كما هي عليه اليوم، بل كان المشهور عنها التأخير في دفع القوائم والحسابات. فما هو الحل إذا تأخر التسديد بالنسبة لمن اشترينا منهم تلك البضائع؟

استمر الوضع كما هو طيلة مدة إقامة الوزير ثم سمعنا ان الوزير سيغادر نهار الغد الى السعودية فأمرت بإعداد قوائم ومشتريات الوزير وحوالي الساعة الثامنة مساء، وكان محلنا المحل الوحيد الذي بقى مفتوحا في سوق المنامة حسب أوامر الوزير، جاءنا تليفون من مكتب الوزير يطلب إرسال قوائم المشتريات هذه الليلة. ولحسن الحظ كانت القوائم حاضرة فبعثناها ثم جاءنا تليفون آخر من مقر الوزير بأنه مسموح لنا بغلق المحل. أغلقناه وتوجهنا الى مساكننا. في الصباح توجهت بصحبة والدي الى المنامة فعلمنا ان الوزير وجماعته أصبحوا على ظهر اللنج (١) التي ستعود بهم الى السعودية، فسارعنا الى فرضة المنامة لتوديعه ولما وصلنا الى مرسى اللنج وجدنا محركاتها شغالة وهي تتأهب للمغادرة. استقبلنا الوزير رحمه الله استقبالا طيبا ورحب بنا وبعد تناول القهوة والحديث القصير مع سعادته، نهضنا لنودعه فأومأ الى أحد مرافقيه فإذا به يناوله ظرفين مختومين استلمهما منه وسلمهما لنا. ودعناه وهو يكثر من الشناء على ما قمنا به نحوه وما كدنا نركب السيارة حتى بادرت بفتح أحد الظرفين مختارا الكبير والسمين منهما، فإذا بداخله قوائم المشتريات وبرفقتها تحويل على أحد التجار السعوديين بالبحرين. انفتحت أسارير

(١) اللنج : قارب ميكانيكي

وجهي وقلت لوالدي الحمد لله الذي جعلنا مع البائعين، ثم فتحت الظرف الآخر فاذا هو كتاب شكر وتقدير لما قمنا به من خدمة له خلال مدة إقامته ومعه أيضا تحويل بمبلغ ألف روبية مكافأة لنشاطنا! وكيف انه كان مسرورا من انجاز هذه المشتريات . . الخ .

عدنا الى محلنا التجاري وكان الوقت حوالى الساعة التاسعة صباحا، وما كدنا نستقر حتى شعرنا جميعا بتعب وكسل وتثاؤب فاستشرت والدي بأن نغلق المحل ونذهب لنستريح، أغلقنا المحل وذهبنا الى بيوتنا وأذكر اننا غطينا في نوم عميق من ذلك الوقت وحتى الغروب دون الاستيقاظ للغداء عندها، وبعد تلك الراحة سألت والدي سؤال استغراب وتعجب! لماذا اختارنا الوزير وكرمنا هذا التكريم! قال والدي رحمه الله «يا ولدي أنا كنت عازما ان أقول لك منذ أن ذكرت لي انه عند سماع الوزير اسم الشيخ عبدالوهاب سارع لإكرامك ثم أتبع ذلك في اختيارنا وتفضيلنا في مشترياته ولكن سرعة الحوادث غلبت الفرصة لتوضيح ما أردت ان أقوله». فالحقيقة لم تتوضح لي إلا بعد تفكير عميق واستذكار وتذكر ثم سرد لي حكاية الوزير المذكور وقال «في عهد والدي - يقصد والده الشيخ عبدالوهاب - وكان الوقت بعد صلاة المغرب وبينما كنت جالسا أبادل الحديث مع والدي جاءنا أحد الخدم وقال دخل علينا بالمجلس ضيف يظهر انه من الأغراب، فأمرني الوالد (الشيخ عبدالوهاب) بأن أذهب الى المجلس لأستقبل الضيف وأكرم وفادته، فعلت ومن عادة والدي (الشيخ عبدالوهاب) انه بعد صلاة العشاء في المسجد يجلس بالمجلس حيث يلتقي بالضيوف والأصدقاء وأفراد العائلة . في ذلك المساء وبعد صلاة العشاء، اجتمع والدي مع الضيف ورحب به وحياه ثم أحضر اليه فراش للمنام . في الصباح اجتمعنا معه لتناول الفطور ثم قال والدي (والكلام لازال لوالدي عبدالرحمن) للضيف حياك الله هذا مجلسك خذ راحتك أهلا وسهلا بك، قال الضيف: يا شيخ عبدالوهاب أنا شاكر لك حسن وفادتك وإكرامك، ولكني عازم على الرجوع الى المنامة اليوم وأنت لا تعرفني فأحب أن أعرف نفسي، وأذكر مطلبي إذا سمحت، أجاب الوالد

أهلاً وسهلاً تفضل، قال الضيف: أنا تاجر صغير من أهالي نجد لدي دكان بالمنامة أبيع بعض الحوائج البسيطة كاللدال (لدال القهوة) والنعل وبعض الأبسطة وأنوي السفر الى الهند لأتبع، وأحتاج الى مبلغ خمسة آلاف روبية، قرضة تحول لي على أحد التجار من معارفكم بيومي وإن شاء الله أردتها لكم حالما أرجع وأصرف بضاعتي، قال الجد: وصلت خيراً، قم يا عبدالرحمن أكتب له حوالة على التاجر الفلاني بالهند بالمبلغ المطلوب.

يقول والدي (عبدالرحمن) ترددت، فالمبلغ كبير بالنسبة لذلك الزمان، والشخص غير معروف لدينا وفي المنامة عدد من التجار النجديين والسعوديين فلماذا اختارنا من دونهم؟ ولكن والدي أمرني أن أسارع في كتابة الحوالة. خرجت من غرفة المجلس وأخفيت نفسي خلف أحد الأعمدة، بحيث يراني الوالد ولا يراني الضيف، وأشرت لوالدي برفض هذا الطلب، ولكنه كما يقال حمر عينيه وقطب حاجبيه، فلم يسعني إلا أن أصدع لأمره، لأنني يا ولدي تعودت منذ صغري أن لا أخالف أمر والدي. أعطيناه الحوالة بعد أن ترجمت على هذا المبلغ الكبير، في ذلك الوقت ولكنه بعد مدة عاد وأحضر معه مبلغ الحوالة شاكراً وممتناً لمساعدته. انتهى كلام والدي، ثم أضاف والدي قائلاً: «يا ولدي راشد ان المعروف لا يضيع وهذا من بركة جدك الشيخ عبدالوهاب ففي الوقت الذي كنا نشكو فيه ضعفاً مالياً ومن بضاعة كاسدة. يسخر لنا رب العالمين هذا الوزير الذي هو نفس التاجر البسيط الذي اقترض منا خمسة آلاف روبية قبل سنوات مضت. وانه بلا شك ما كان ليعبر البحر ويأتي إلينا بالمحرق لطلب القرض إلا بعد أن يئس من الحصول على مثله من جماعته من التجار بالمنامة. عندما قابلت يا ولدي هذا الشخص الذي أصبح وزيراً وذكر اسم الشيخ عبدالوهاب، وانك حفيده تذكر فضل جدك عليه في يوم كان تاجراً بسيطاً في أشد الحاجة لمبلغ يتاجر به. فالحمد لله على ذلك.

(الفصل الثاني)
فتح محل تجاري في بغداد

فتح محل تجاري في بغداد

لعل أكبر أمنية للوالدين أن يروا أبناءهم وقد شبوا وكبروا ثم تزوجوا وخلفوا وهكذا كانت أمنية والدي ووالدي في أواخر الثلاثينات، حيث بدأ يلحان عليّ بالزواج. ولكن الزواج بأطرافنا في تلك الأيام كان مغامرة، فالزوج لا يرى زوجته إلا بعد الدخول عليها. وكل ما يمكن أن يعرفه عن زوجته المقبلة من معلومات أو مواصفات يتحصل عليها، من الخاطبة القريبة أو البعيدة، فالمسألة كما قلت مغامرة فاما يوفق المرء بزوجة مناسبة، أو يرتاده الفشل وخيبة الأمل، وكان زواجي الأول لسوء الحظ من القسم الأخير.

بعد مدة قصيرة من زواجي أراد شقيقي أحمد الزواج، وخشية أن يقع في نفس المغامرة، اقترحت عليه أن نزور أنسابنا في بغداد للاطلاع والتحري لعله يجد الزوجة المناسبة فاني بحكم زيارتي للأنساب في عام ١٩٣٦م لاحظت كيف يعالجون أمور الزواج بحرية واطلاع محتشمين. عرضنا الأمر على والدي، فاستحسن ذلك.

توجهنا أنا وأخي أحمد الى بغداد. وقام الأنساب بالواجب فتزوج الأخ أحمد بمن رأى واختار، في هذه الأثناء سألتني زوجة جدي عن زواجي فصارحتها بالأمر فأخذت تغريني بالزواج في بغداد وتلح في ذلك فتوكلت على الله ووافقتها على ما ألت عليه.

أثناء وجودنا في بغداد، وكلان ذلك أثناء سنوات الحرب العالمية الثانية لاحظنا حركة تجارية قوية مع وجود عدد كبير من التجار السوريين والایرانیين وغيرهم في الوقت الذي كانت التجارة في البحرين راكدة. وكان التجار يتهافتون على شراء المجوهرات فاتفقنا على أن نفتح لنا محلا تجاريا في بغداد للمتاجرة في المجوهرات، واللؤلؤ بالذات.

سافر الأخ أحمد الى بومبي لمباشرة محلنا فيها، ومن هناك بدأ يرسل اليّ ارساليات من اللؤلؤ المخرق والمشكوك في خيوط حريرية. وعند وصول أول ارسالية أجريت معاملتها الجمركية وأخرجتها من الجمارك ثم قارنت تكليفها



حجبي مالو

مع ما يباع في السوق فاذا الفرق كبير «مثلا المثلقال يكلفنا أربعة دنانير» وسعر مثيله يباع بثمانية أو تسعة دنانير! ولعرض هذه الإرسالية كان لابد لي من الاتصال بسوق المجوهرات وبالذلال المناسب.

ذهبت الى سوق المجوهرات فاذا هو «خان» قديم متهالك قذر صاخب، والخان عبارة عن فتحة درواسة في السوق، عند ولوجها، يدخل المرء الى فناء واسع يحيط به من جهاته الأربع متاجر مختلفة، بعضها كالدكاكين المعتادة، اما الباقي فجحور صغيرة يجلس في كل منها شخص واحد أمامه خزانة حديدية وميزان. هؤلاء هم تجار المجوهرات في سوق بغداد وكلهم من اليهود، وحتى الدلالين، ماعدا دلال واحد مسلم مخبول ألبس كشيدة (عمامة) وعباءة يدعى (حجي مالو)، يعمل تحت سيطرة هؤلاء التجار والدلالين اليهود ويستعمل كغطاء، عند اللزوم، إذا جاءت امرأة مسلمة لا تود أن تشتري أو تبيع بواسطة اليهود. عرضت صرة اللؤلؤ على أحد المحلات فلم يدفع لي إلا أربعة دنانير للمثلقال، ثم مررت على كافة الجحور والدكاكين فكان سعرهم لا يتعدى أربعة دنانير أو أربعة وربع. ولكن كيف؟ فهذا رأسمالي والأيام أيام حرب المجال مفتوح فيها للأرباح الكبيرة؟ وحسب معرفتي بتجارة اللؤلؤ وتقدير أثمانه، ينبغي أن لا يقل ثمن بضاعتي هذه عن ٧ أو ٨ دنانير للمثلقال الواحد.

عدت بصرتي الى مكتبي وأنا حزين وجلست أفكر ماذا أعمل وماذا أكتب لأخي بالهند لأخبره عن نتيجة الإرسالية الأولى وهو قد هبأ الإرسالية الثانية ليرسلها بعد هذه. سيما واننا لا نملك ثروة تذكر في ذلك الزمان وكان أخي يشتري هذه اللآلئ من التجار الهنود بالدين. في واقع الأمر كانت صدمة شديدة لي وكانت ليلة سوداء مرت علي لم أنم فيها حتى الصباح. ذهبت للمحل في صباح اليوم التالي وأنا محتار أفكر ماذا أعمل، وبينما كنت سارحا في حيرتي وتفكيري دخل علي شخص عرفت من اسمه انه يهودي وقال انه دلال مجوهرات وان اسمه «يوسف قصاب». رجل وسيم لبق بشوش. قال «سمعت انه وصلتك إرسالية لؤلؤ أعطني إياها لدي زبون». انفرجت أسارير

وجهي ففتحت الخزانة وسلمته الصرة وقبل أن يبرح محلي سألني «كم أطلب من سعر؟» قلت «حوالي خمسة دنانير ونصف» وكان قصدي بيع هذه الصرة على الأقل لأريح نفسي من القلق وخيبة الأمل ولأشجع أخي لكي يرسل صرة أخرى. وبعد عدة ساعات عاد إلي والصرة معه وقال «لم أدرك إلا أربعة دنانير وربع، وأشور عليك بالبيع». طبعاً لم يوافقني هذا السعر فأنا لست غريباً أعرف ثمن بضاعتي.

في اليوم التالي نزلت السوق المكتظ بتجار من جميع الأنحاء أغلبهم من سوريا ولبنان وفي أثناء الحديث مع أحدهم ذكرت له اني تاجر لؤلؤ. قال «ان أحد أصحابي يشتري اللؤلؤ لزبائن بحلب (سوريا) انتظر هنا سأناديه». فعلا حضر الشخص وذهبنا الى المحل ومن شدة رغبتني في بيع الارسالية لم أطلب عليه سعراً عالياً فمجرد ان قلت له السعر قال «اشترت». بعت الصرة عليه بسعر أربعة دنانير وثلاثة أرباع الدينار. وبعد أن سلم إلي الثمن قال إذا عندك غيرها فاني مستعد لشرائها. حالا أبرقت لأخي بالخبر وطلبت منه أن يرسل الارسالية الثانية.

في اليوم التالي جاءني الدلال «يوسف قصاب» نفسه وما كاد يصل باب المكتب حتى فاجأني بقوله ملحاً «أعطني الصرة عندي مشتر جاهز» قلت له «بعته» قال «بكم؟» لم أخبره. . تظاهر بالأسف ثم قال «أنا لمحت مثل صرتك تلك مع أحد التجار السوريين وإذا وصلتك ارسالية جديدة فأنا الذي سأعمل على بيعها لك بسعر جيد» ثم أردف قائلاً «انه من الأحسن لك أن لا تباع على هؤلاء التجار الأجانب لأن بعضهم لا يؤمن أو ربما تحدث لك معهم بعض المشاكل خصوصاً البيع بدون دلال، قلت «لا بأس»، عند وصول الارسالية الثانية سأجعلها بواسطتك.

وصلت الارسالية الثانية، وكانت نوعيتها أحسن بقليل من الأولى وتكليفها حوالي خمسة دنانير المثلث. استدعيت يوسف قصاب وسلمت له الارسالية وفي لمح البصر خابرنى تلفونيا بأنه أدرك ثمانية دنانير للمثلث. قلت «توكل على الله وبيع».

أبرقت لأخي أبشره وأطلب منه أن يواصل الارسال. في هذه الأثناء، وبحكم علاقة انسبائنا في بغداد ومصاهرتهم لبعض العائلات الكبيرة من الأعيان والوزراء وغيرهم، طلبت مني إحدى سيدات العائلات الكبيرة أن أجلب لها عقود لؤلؤ ممتازة قائلة «ان العديد من أصدقائهم يرغبون في ذلك وانهم لا يجدون في السوق لؤلؤا ممتازا». كتبت لأخي فأرسل الي اثني عشر عقدا بلغ تكليف مثقالها اثني عشر دينارا، عند استلامها اتصلت تلفونيا بالعائلة المذكورة مخبرا إياها بوصول العقود المطلوبة فحددت موعدا أحضر بموجبه الى بيتها مصطحبا البضاعة معي. توجهت الى بيت العائلة المذكورة وما أن دخلت حتى وجدت عددا كبيرا من النساء تخاطفن العقود كلها من يدي ولم يبق منها ولا عقد واحد للعائلة التي طلبت العقود. صرت في حيرة ما العمل؟ قالت السيدة التي كانت أوصت على طلب العقود لا بأس هؤلاء صديقاتي وأنا سأنتظر حتى تصل ارسالية أخرى.

بما ان هذه الارسالية طلبت خصيصا للعائلات، وبعضهم من انسبائنا وأصدقائهم، ولأني كنت أسعى لفتح مجال للاتصال بهذه الشخصيات الغنية البارزة متحاشيا الابتعاد عن عصابة تجار المجوهرات الأنفي الذكر فلم أحملها إلا ربعا بسيطا.

كان يوجد بين الحاضرات عائلات وزراء وأعيان لا أعرفهم وقد أخذوا العقود بالسعر المكتوب على كل عقد دون مشاورة أو مجادلة أو استفسار، ولأني أود أن أحافظ على الثقة والاسم الطيب بين الزبائن قلت لهم «يا جماعة أنتم قبلتم شراء هذه العقود بالثمن الموضوع عليها ولكن لكم كامل الحق بأن تعرضوها في السوق فاذا وجدتم ثمنها أقل فاني مستعد لاسترجاعها وأرجو أن لا تدفعوا الثمن قبل أن تطمئنوا»، قال بعضهم نحن نثق بك وسكت البعض الآخر.

رجعت الى مكتبي، وبعد الظهر جاءني الدلال يوسف قصاب وقال «يظهر انك بعت العقود التي وصلتك مؤخرا (١)»! قلت «نعم» قال «أنا

(١) المذكور رأى هذه العقود عندما كانت في دائرة الجمارك عندما عرضت عليه ليثمنها بغرض استيفاء الرسم الجمركي عليها.

علمت بذلك عندما عرض علي أحدها لثمينه» قلت «بكم ثمنته» قال «لم أعط سعرا معيناً بل قلت لصاحبة العقد ان هذا النوع من اللؤلؤ ممتاز لا بد أن ثمنه يختلف كثيرا عن النوع الدارج عندنا بالسوق». ثم أردف قائلاً «أنا الآن مرتبط بموعد وأراك منشغلاً أيضاً ولدي معك حديث خاص فما رأيك ان نجتمع غدا في محل خاص لأتحدث معك بحديث ربما يكون فيه فائدة للطرفين؟». اجتمعنا في اليوم الثاني فقال «انك بدأت تباع بالمفرق على الناس وهذا فيه كثير من الإشكال والتعب عليك، وربما الخسارة إذا تأخر أحد عن دفع الثمن في وقته، وأنت الآن أصبحت لك شهرة بين العائلات الذين يثقون بك فما رأيك لو تركت محلّك هذا (وكان محلي يبعد قليلاً عن خان بيع المجوهرات الذي اشترت اليه سابقاً) ونزلت معنا في خان بيع المجوهرات؟ وأرجوك ان تأتي معي لأفركك على الخان فهو من طابقين وأترك لك اختيار أي دكان أو مكتب موجود فيه». قلت «الخان كما شاهدته سابقاً كله مليون لا يوجد به فراغ» قال «لا يهمك، أوامر وافرج لك المكان الذي تطلبه» ولم يكتف بذلك بل ألح علي لأذهب معه الى الخان في تلك اللحظة ولما كنت راغباً في الاطلاع وافقته فذهبنا.

في أثناء وجودنا في الخان كان المذكور يلقي الترحيب والاستقبال والاهتمام من كل فرد في الخان، فأدركت حين ذاك انه وان كان يتولى الدلالة كمهنة، إلا انه لاشك الرئيس والممول الحقيقي لهم جميعاً.

كان الخان كما ذكرت أنفاً متهاكاً وقذراً ناهيك عن الصخب والضجيج فيه. بعد التفرج قلت «يا يوسف، لا أفضل ان انزل في هذا الخان لسببين الأول: لا ترضى نفسي ان أخرج ساكناً لأحل محله - وثانياً: المحلات صغيرة نسبياً وأنا أفضل محلاً متسعاً. ولكنني سأحاول ان أجد محلاً يكون غير بعيد منكم». (وفعلاً بعد مدة قصيرة تحولت الى بناية جديدة ونظيفة قريبة من خان المجوهرات واستأجرت فيها مكتباً في الطابق الثاني). لم يعلق على كلامي ولكنه عاد ليقول «لدي اقتراح أضعه بين يديك ما رأيك لو فتحنا محلاً في شارع الرشيد (وهو الشارع الرئيسي في بغداد آنذاك) وكتبنا عليه اسمك فقط

وأكون أنا الدلال عندك؟ ويمكننا استيراد مختلف أنواع اللؤلؤ والأحجار الكريمة الأخرى - الألماس - الزمرد - الياقوت وغيرها. «أما التمويل فلا يهمل لا أريد منك أن تضع فلسا واحدا، كل ما نريده اسمك فقط» قلت «لا بأس، أفكر» فارقت والدهوة بل والحيرة تحيط بي وتثير مشاعري. وأقول في نفسي حقا انهم يعرفون كيف يشتغلون وكيف يستغلون! فهم حاولوا في بداية الأمر أن يكسروني ويكسدوا بضاعتي ولما لم يجدوا سبيلا الى ذلك جاءوا بهذه الخطة العجيبة. سألني في اليوم التالي عن جوابي على الاقتراح قلت له «اني أفكر فيه ولا بد لي من عرض الأمر على شريكي وهو في الخارج»، وبقينا أصدقاء نلتقي بصورة مستمرة خصوصا وان محلي أصبح قريبا من سوقهم.

وفي احدى الجلسات ذكرت له ان الجمارك يستوفون مني رسوما عالية، وبعض الموظفين يصعبون إجراء المعاملة الجمركية معي قال «لا تكن في فكر من هذا الأمر، فأنا الذي أؤمن المجوهرات لدى دائرة الجمارك فما عليك إلا ان تخبرني عن مواصفات بضاعتك واترك الباقي علي». فعلاً وصلت ارسالية، أخبرته، فمرت في الجمارك بكل سهولة ومرونة وبسعر مخفض أيضا. يا سبحان الله كيف يتدبرون الأمور بهذه السهولة.

مرت الأيام وأنا أأمله في فكرته (فكرة المشاركة وفتح محل بشارع الرشيد) بحجة وأخرى ولكنني استفدت منه في ترويج بضاعتي وفي التسهيلات المطلوبة لها.

وفي أحد الأيام وكنت جالسا في مكتبي فاذا بالدلال المسلم المخبول الذي ذكرته أنفا «حجي مالو» يدخل علي وهو يتلفت يمنة ويسرة وقال وهو في حالة ارتباك شديد «ستأتيك الآن امرأة لديها عقد لؤلؤ تريد بيعه احسب لي دلالة» وخرج مسرعا وهو يتمتم ويتفوه بكلام لم أستطع سماعه جيدا أو أفهمه. بعد لحظات جاءت المرأة المشار اليها أنفا وكانت محجبة ويظهر انها في منتصف عمرها، وقالت «دلني الدلال عليك وعندي هذا العقد أريد بيعه». قدرت ثمنه بمبلغ معين وتركت لنفسي ربحا حوالى ٢٠٪ ولما عرضت عليها السعر أبدت سرورها وموافقتها، وباعتني العقد دون جدل أو تردد وما

كادت تستلم الثمن وتغادر المحل حتى دخل علي يوسف قصاب هائجا وهو يلهث من سرعة المشي وصعود الدرج وسأل باستعجال «هل جاءتك امرأة معها عقد» قلت «نعم وقد اشتريته منها». قال من أحضرها اليك؟» طبعا لم أقل له «حجي مالو» بل قلت جاءت بمفردها. خرج غاضبا وهو يتمتم «الملعون حجي مالو. . الملعون حجي مالو» وقد فهمت فيما بعد انه جرى بينه وبين حجي مالو شجار وعتاب، اما حجي مالو فلم يحضر عندي لأخذ دلالته إلا بعد اسبوع، وقد اتى وهو في حالة حذر وتخفي يتلفت يمنة ويسرة. سألته ما هي قصة تلك المرأة؟ قال «لا أستطيع أن أتحدث اليك الآن ولكن إذا تفتح محلك نهار السبت سآتي وأخبرك» (ذلك لأن اليهود لا يفتحون محلاتهم نهار السبت). وبالمناسبة بكل أسف أقول ان الأسواق كانت كلها تقريبا تغلق في بغداد يوم السبت في ذلك الزمان، وكنت كذلك أقفل محلي في ذلك اليوم بحكم الوضع الراهن. هكذا كان نفوذهم وتحكمهم في التجارة والاقتصاد. كانت رغبتني للاطلاع والمعرفة جعلتني أفكر في أمر «حجي مالو». وأردت ان استدعيه أثناء أيام العمل وأسمع قصته، ولكنني وجدت انه لا يجزؤ على أن يأتي الى محلي في أيام العمل. ويوم السبت يوم العطلة أنا لا أفتح المحل فرأيت ان أدعيه على الغداء نهار السبت في بيتي، وهناك فتح لي صدره وأخبرني بكل الخبايا، قال صحيح اني أشتغل معهم وبالذات مع يوسف قصاب، ومع انهم يستغلونني كوني مسلم وألبس كشيدة (أي عمامة) لإقناع النساء المسلمات والتحايل عليهن، إلا انهم لا يعطوني حقي من الدلالة بل جزء بسيط منها، فوق هذا وذاك، فهم يحقروني، وأنا بسبب الحاجة الماسة لا يسعني إلا مسايرتهم. اما كيف يستفيدون مني، فمثلاً اذا جاءت امرأة طبعا مسلمة تريد بيع مصاغ أو لؤلؤ أو ما شاكل ذلك دعوني لمرافقتها، فأحييها وأخذها الى أول محل في الخان لتعرض بضاعتها، وحيث ان المشتري حسب العرف الجاري في السوق له الحق الكامل في مشاركة شراء هذه السلعة مادامت مرت على دكانه، فيدفع لها ثمننا زهيدا. فأخذها الى الدكان المجاور، ثم المجاور، وهكذا حتى تمر تقريبا على كل الدكاكين والجحور من أول

الخان الى آخره وفي كل مرة تقف أمام أحد هذه الدكاكين ، أو الجحور ، أقف خلفها وأؤشر لصاحب الدكان بالسعر الزهيد الذي دفعه الدكان السابق ، فيدفع هذا ثمنا مماثلاً أو حول هذا الثمن . وعندما يكتمل مرور البائعة على كل الدكاكين والجحور أعود فأقول لها «الأحسن أن تبيعي على الذي دفع ثمناً أعلى» . بعد البيعة يشترك جميع من عرض سعرا لهذه الشروة بالتبايع بينهم طبعاً محققين الربح لهم جميعاً على حساب البائعة المسكينة . وعلى أساس هذا العمل أعطى أنا - والكلام لحجي مالو - دلالة بسيطة . اني في واقع الأمر أتأفف من هذا العمل ، ولكن ماذا أعمل ؟ «أنا في حاجة ماسة وليس لي مورد آخر يكفي لمعيشتي ومعيشة عائلتي والفقر لا يرحم» . ويضيف انه لما وجهت اليك تلك المرأة وباعت عليك العقد بـ ٨ دنانير المثلقال لم يدفع فيه في السوق إلا أربعة دنانير ، وكانت تصرخ بين حين وآخر «يا ظلام ، أنا اشتريته منكم قبل أيام فقط بعشرة دنانير المثلقال!» . تأثرت بصراخها وتظلمها فقلت أوصلها اليك وأمرني لله . وطبعاً اهتموني بأني الذي دليتها على محلك مع اني انكرت أشد الإنكار.

بعد ان أعطيته دلالته ذهب شاكرنا بعدما طلب مني بإلحاح أن لا أذكر انه زارني في البيت أو اتصل بي بالمكتب . وعدته بذلك - هكذا كان العمل التجاري يجري في سوق بغداد العتيق وهكذا كان التجار اليهود يتصرفون . والمصيبة الكبرى في ذلك الزمان هو ان كل وزير عراقي تقريباً يكون له مستشار مالي يهودي يتخذه كصديق له ولعائلته . وهنا أروي هذه القصة كدليل على ما أقول . في أحد الأيام وكنت في زيارة لبعض انسبائنا في بغداد التقيت عندهم بزوجة رئيس الوزراء توفيق السويدي وهي قريبة من حيث النسب لأنسبائنا في العراق . فقالت «أريد أن تطلب لي عقدي لؤلؤ ممتازين جداً» ، كتبت لأخي بالهند فأرسل العقدين المطلوبين ولما وصلا اتصلت بها تلفونيا في قصرهم أخبرها بذلك . قالت «تفضل اليوم الساعة الرابعة أشرب الشاي مع الباشا (تقصد «توفيق باشا زوجها») وأحضر العقدين معك» . فلما ذهبت والتقيت بالباشا رحب بي وسألني عن أهلي وجماعتي ، ثم أخرجت

العقدين ووضعتهما أمامه وبعد حديث قصير فتحهما وأبدى استحسانه قائلاً «انه لم ير مثل هذا اللؤلؤ من قبل» وفي هذه الأثناء حضرت زوجته ولما رأت العقدين أبدت إعجابها وسرورها.

أحضر الشاي، وفي أثناء ذلك دخل علينا شخص عرفني به الباشا، ومن اسمه طبعاً عرفت انه من يهود العراق شرب المذكور معنا الشاي وأظهر إعجابه بالعقدين بعدما قال له الباشا أثناء التعريف بي انني الذي استوردتهما.

عدت الى مكتبي مودعاً مكرماً. في اليوم الثاني جاءني نفس الشخص اليهودي الى مكتبي وبعد التحية قال: «الباشا طلب مني تامين العقدين وأنا وعدته بذلك ولكني لا أعرف شيئاً عن المجوهرات ولا عن اللؤلؤ بالذات وكل ما أطلبه منك هو أن تحتفظ لي بعمولة ٥٪ وأنا سأمرر لك السعر الذي تريده». في واقع الأمر فار الدم في جسمي، الى هذا الحد بلغت الثقة بهؤلاء! اني لم أضع ربحاً على هذه الارسالية أكثر من خمسة في المائة باعتبار انها لأناس من الأنساب والأقرباء وقد أخبرتهم بالثمن وأوضحتم لهم انها تساوي أكثر مما وضعتهم من ثمن عليها. لم أتمالك نفسي وقلت للواسطة «اني لا أستطيع أن أدفع لك فلساً واحداً فهذه ليست صفقة تجارية بل عبارة عن هدية وتستطيع أنت أن تخبرهم بأي سعر تشاء» ولما رأى انزعاجي وإصراري تراجع وقال «لا بأس ماذا تريدني أن أقول للباشا؟» قلت: «قل ما حلا لك أن تقول». خرج لا يلوي على شيء، وبعد مدة التقيت به في السوق فقال «هل أنت لازلت زعلاناً مني؟». قلت «الأمر انتهى، ولكن كم ثمنت العقدين؟». قال «أنت أخرجتني اضطررت أن أقول للباشا اني في واقع الأمر لا أفهم في أثمان اللؤلؤ ولكني أرى ان البائع من جماعتكم يحبكم ويقدركم ولا أظنه يطلب منكم سعراً عالياً». ثم أردف يقول «انك تاجر متسبب وهؤلاء الوزراء أغنياء يستغلوننا ويكلفوننا بقضاء لوازمهم فلا بد لنا من الحصول على شيء مقابل تعبنا وخدمائنا وأنا أستغرب كيف تقبل بـ ٥٪ فقط خاصة في المجوهرات وفي هذه الأيام بالذات مع هذا أنت حر في مالك».

تراجعت تجارة المجوهرات سنة ١٩٤٤م فلم أكتف بالعمل بتجارة اللؤلؤ بل بدأت باستيراد الأقمشة الحريرية من اليابان عن طريق

الهند، وكذلك من سوريا وخاصة من حلب وألعاب الأطفال من فلسطين، طبعاً قبل عهد مقاطعة اسرائيل، وتاجرت في متاجرات محلية كشراء صناديق الصابون المحلي وبيعه، وفي نفس الوقت بدأت حكومة نوري السعيد تصدر قوانين صارمة تحد من المتاجرة وتشل حركتها فأثرت التوقف عن العمل في بغداد.

في أثناء اصدار هذه القوانين الصارمة جاءني خطاب من ديوان ضريبة الدخل ببغداد يطلبون حضوري للتفاهم معي على ما استحق دفعه للضريبة. ذهبت الى الدائرة المختصة حيث قابلني موظف شرس وضع أمامه ملفاً ضخماً حشي بأوراق كثيرة ومكتوب عليه اسمي قال «اننا قدرنا الضريبة عليك بمبلغ ١٠٠٠ دينار للسنة الأولى و ١٥٠٠ دينار للسنة الثانية» قلت «على أي أساس قدر هذا المبلغ» قال «هكذا تقديرونا وأنت إذا عندك اعتراض تحضر أمام اللجنة واللجنة وتقدم اعتراضك لديها». طبعاً اعترضت، ولما حضرت أمام اللجنة وكان يرأسها انجليزي متعجرف. «قلت لم أستورد بضائع تستحق هذه الضريبة، فأرجو من اللجنة أن تعيد النظر في هذه المبالغ فالتفت الرئيس الى الشخص العراقي الجالس على يمينه وقال له بالانجليزية «كان من الخطأ مطالبته بهذا المبلغ، فلو كنا طالبناه بمبلغ أكبر لقبل بهذا المبلغ». وكان يظن اني لا أجيد الانجليزية. فهمت ان الأمور مساومة ولم أظاهر بأي أفهم اللغة الانجليزية، انما أصريت على اعادة التقييم وان تحال أوراقى الى مخمن آخر. فعلاً حولت قضيتي وكان هذا المخمن نوعاً ما أرحم من سابقه. قلت «تسمح لي أن أطلع على ما ذكر في هذا الملف الضخم؟» قال «عادة لا نسمح بذلك» قلت مسترجياً أن يقرأ علي بعض ما جاء فيه، وافق وفتح الملف وقال «انك استوردت فستق ومكسرات مختلفة من ايران بمبالغ كبيرة»، قلت «اني لا أتعامل في هذه البضائع»! قال «كيف، هذا مسجل لدينا من الجمارك». وبعد أخذ ورد مصحوب بجدل طويل أغلق الفايل وقرأ الاسم المكتوب على ظهره فاذا هو «رشيد عبدالرحمن» وسألني «أليس هذا اسمك؟» قلت «كلا اسمي (راشد عبدالرحمن)» قفل الفايل وقال «اذهب سنرسل عليك فيما بعد».

أرسل علي بعد بضعة أيام ولما حضرت اعتذر لي وقال «صار اشتباه في الاسم وعرفنا الآن كم المستحق عليك وهو ٨٠ ديناراً للسنة الأولى و١٣٩ ديناراً للسنة الثانية» ما شاء الله الفرق كبير بين هذين الرقمين والرقمين السابقين! أما رشيد عبدالرحمن فكان تاجراً كردياً يتعامل مع إيران في البضائع التي أدخلت خطأ في الملف الخاص بي نظراً لتشابه الاسمين.

قصة الحارس معي:

كان سكني في بغداد، في بيت متوسط الحجم في الكرخ بالقرب من بيت نسينا الشيخ خميس الضاري زعيم قبيلة زوبع أحد أفخاذ شمر، وكنت قد اعتدت قبل الزواج بعد أن أقفل محلي التجاري في المساء أمر بيت الشيخ خميس المذكور آنفاً لأبداً بالأحاديث معه وأتناول العشاء بحضوره وحضور زوجته وشقيقتها فاطمة أرملة جدي الشيخ عبدالوهاب. وفي إحدى الأمسيات بعد أن نهضت لأذهب إلى بيتي قالت لي أرملة الجد «سنبعث معك أحد أتباعنا ليكون معك في البيت» ولما سألتها عن السبب والحاجة لذلك قالت «في هذا اليوم أثناء تنظيفنا للبيت لاحظنا ما يشككنا بأن أحداً دخل البيت عند خروجك» ولما سألت وما هو هذا الشيء قالت «وجدنا أضوية السرداب مفتوحة وأنت لا تستعمل السرداب، فمن الذي أضأها؟ حاولت نفيها عن عزمها ولكنها أصرت وأصر معها بقية أفراد العائلة فأبدت الموافقة.

أرسل معي شخص في مقبل العمر، مظهره قوي وذكي يدعى شكري، هو وزميل له يدعى شريف كانا في الأصل من أبناء تركيا، وعند احتلال الانجليز للعراق وطرد الأتراك منه، أخذنا مع بقية الأسرى الأتراك. وكونهما طفلين خشي جدي الشيخ عبدالوهاب أن يتبناهما الانجليز وينصرونها فشمّلها برعايته فأبقى «شكري» في بغداد في رعاية زوجته العراقية واصطحب «شريف» معه إلى البحرين حيث ترعرع فيها وعاش معنا عيشة طيبة طيلة حياته. لما وصلت و شكري المذكور آنفاً إلى البيت جلست أتحدث معه حديثاً عادياً. ولما سألته ما هي صلته بالجماعة قال: «إنني تربيت عندهم منذ صغري، لذا يعتبرونني كأحد ابنائهم ويأتمنونني حتى على دراهمهم

ومصباغاتهم» ثم طرأ لي ان أسأله عن طلقات الرصاص المتكررة كل ليلة حتى الصباح والتي كانت قد حيرت تفكيري ولم أجد لها تفسيراً فهي أحيانا متفرقة وخفيفة وأحيانا غزيرة، أجاب «مصدر هذه الطلقات معسكرات الجيش البريطاني والاسترالي. وهو انه تعود عدد من الأهالي اقتحام هذه المعسكرات ليلاً للاستيلاء منها على ما تقع عليه أيديهم من إطارات سيارات أو ألبة صوفية أو أي شيء آخر له قيمة مالية، وذلك لبيع ما يستولون عليه بأثمان جيدة. ثم أردف قائلاً «لقد اشتركت مع هؤلاء واقتحمنا عدة معسكرات وقد أصبت مرة بطلق ناري» ثم كشف عن فخذه ليريني موضع الرصاصة «ولكن أصحابي نقلوني أثناء انسحابهم». طلبت منه أن يسرد لي بالتفصيل قصة هذه الغزوة فقال «مررت أثناء النهار مع بعض أصدقائي قرب أحد المعسكرات فلاحظت سيارة لوري للجيش البريطاني واقفة خارج سياج المعسكر أعجبتني إطاراتها فاتفقنا على الاستيلاء عليها أثناء الليل وبعد أن أعدنا الخطة وأحضرنا المعدات اللازمة لفكها من السيارة، توجهنا في الساعة التاسعة ليلاً تجاه المعسكر ولكن شرطي المرور في أحد الميادين منعنا من عبور الميدان وبقينا في الانتظار ريثما تنتهي نوبته ويبدل بغيره. فالظاهر انه خامره الشك بنيتنا للتوجه للناحية التي نقصدها فمنعنا، انتظرنا حتى أبدل فعبنا مسرعين الى المكان المقصود وعند وصولنا زحفنا الى سيارة اللوري الواقفة خارج سياج المعسكر وبدأنا بفك عجلتين من عجلاتها بمنتهى الهدوء والحذر ولكن، أثناء دحرجتنا للعجلتين مبتعدين عن سيارة اللوري، صادف ان انقلبت احدهما ووقعت على الأرض محدثة صوتاً استفز الحارس فبدأ يطلق الرصاص من مدفعه فأصابني رصاصة في فخذي منعتني من السير أو الركض للهرب وبقيت ملقياً على الأرض إلا ان أصحابي حملوني الى مكان آمن، ثم الى المستشفى لإخراج الرصاصة من فخذي الذي بدوره أخبر الشرطة فأخذوني بعد شفائي للمحكمة حيث ادعيت اني كنت أسير في الطريق فأصابني رصاصة طائشة والظاهر انهم لم يجدوا ضدي أي دليل فأفرج عني».

ثم تابع قصته هذه بقصة أغرب منها فقال لاحظت أثناء مروري بالنهار قرب أحد المعسكرات البريطانية القريبة من بغداد خيمة متوسطة الحجم لا تبعد كثيرا عن بوابة المعسكر الذي كان محاطا بأسلاك شائكة من الصعب اقتحامها كما لاحظت ان البوابة يحرسها جندي واحد فقط، قلت لنفسي لا بد ان هذه الخيمة تحتوي على أشياء مفيدة وقيمة ولكن كيف الوصول اليها، ظللت أفكر في وسيلة لاقتحام تلك الخيمة، قررت أن أعود ليلا الى ذلك المكان لأرى فيما اذا كان الحارس موجودا أم لا. عدت حوالى الساعة الحادية عشرة مساءً فوجدت حارساً واحداً فقط لم يكن جالسا بجانب البوابة المفتوحة بل كان يتمشى حولها من الداخل ذهاباً وإياباً، انتظرت ساعة أو أكثر لعله يفارق البوابة ولو لمدة قصيرة أو يركن الى الجلوس للراحة ولكنه لم يفعل، ولكني لاحظت بعد ساعة ونصف أو ساعتين تقريبا، انه قد أضناه التعب فأخذ يتمشى بهدوء وتكاسل فتسللت بقرب البوابة تحت جناح الظلام وانبطحت على الأرض ولما مر بالقرب مني متجها للجهة المقابلة لموقعي وهو يسير بهدوء وتكاسل اغتنمت هذه الفرصة وتسللت الى داخل المعسكر، ودخلت الخيمة حيث وجدت فيها كثيرا من الألبسة العسكرية الصوفية والقطنية فاخترت منها كمية حشوتها في كيس وجدته هناك، ولما هممت بالخروج من المعسكر بنفس الطريقة التي دخلته بها، والساعة قد قاربت الثالثة صباحا حدث ما أحبط مساعي. فقد استبدل الحارس المتعب بحارس آخر نشيط ويقظ بدأ يتمشى أمام البوابة بكل نشاط وقوة. فكرت ماذا أعمل الآن وأنا داخل المعسكر ولا يمكن الخروج إلا إذا تراخت قوة الحارس الجديد وقل نشاطه. فرأيت أن أنتظر فجلست على الأرض وأسندت ظهري للكيس المملوء بمقتنيات الثمينة وما هي إلا بضع دقائق حتى غلبني النوم ولم استيقظ إلا بلكمات وركلات متلاحقة موجهة من جنود أشداء، فتحت عيني فاذا الشمس في عنان السماء وإذا بالجنود يتناوبون علي لكاماً وركلاً. وبعد أن أشفوا غليلهم سلموني للشرطة، ومنها طبعاً للمحكمة فما هو عذري هذه المرة؟! ادعيت اني كنت مارا بالطريق وليس لدي مكان لأنام فيه فاحتميت بالخيمة لأنقي البرد الشديد، سجنحت مدة ثلاثة أشهر ثم أطلق سراحى.

بقيت في بغداد حتى عام ١٩٤٦م تزوجت خلالها في عام ١٩٤٣م ورزقت بولدي الأكبر خالد ثم ابنتي منى التي تليه . وكانت الحرب العالمية الثانية مستمرة خلال هذه السنوات وكانت فرق الجنود الانجليزية والاسترالية تحتل مناطق متعددة في معسكرات حول بغداد . ويشاهد المرء جنودهم وعرباتهم تجوب شوارع بغداد ليلا ونهارا ومع ان المنطقة خالية من جنود الأعداء ولكن لا يكاد تمر ليلة دون أن تسمع تبادل اطلاق زخات كثيفة من رشاشات ثقيلة . شد هذا الأمر اهتمامي وانتباهي ولما استفسرت عن ذلك قيل لي ان قطاع طرق يهاجمون المعسكرات ليستولوا على أسلحة وإطارات سيارات وألبسة وغيره تباع في السوق السوداء بأثمان عالية في ذلك الوقت لندرتها . وكان يرأس الوزارة نوري السعيد الذي كان يعتبره الغالبية من العراقيين والعرب انه من المتعاونين مع الانجليز . ومع ان مدن العراق - البصرة والموصل مثلاً كانت تعتم ليلاً (أي تطفأ الأنوار فيها) خشية غارات المحور إلا ان بغداد بقيت مضياء اضاءة كاملة وحاول الانجليز فرض التعتيم على بغداد ، انما كما فهمنا رفض مدير الشرطة أمر التعتيم وأمر بعدمه . وأخيرا أجبر على الموافقة على تنفيذه فأطفئت الأنوار أربع ليال فقط حدثت خلالها جرائم القتل والنهب بالنسبة للمعسكرات وأفراد الجيش الأجنبي مما اضطر الانجليز بعد أربع ليال الى إلغاء أمر التعتيم وفتح الأنوار ليلاً كسابق عهدها . وبقيت بغداد طيلة أيام الحرب المدينة الوحيدة المضياء في المنطقة .

العودة إلى الوطن:

على اثر القوانين الصارمة التي صدرت في سنتي ١٩٤٤م و١٩٤٥م والتي حدت من المعاملات التجارية في العراق رأيت أن أخفف من المتاجرة في العراق وأن أوجه اهتمامي الى ناحية أخرى فقامت بزيارة للبحرين حيث لاحظت تحسنا كبيرا في تجارتها آنذاك وكانت البحرين يومها تفتقر الى بعض الحبوب وتعطي مقابل من يستوردها كوبونات شاي وسكر بأسعار مخفضة

والعراق بلاد الحبوب ولكن المسموح بتصديره من العراق آنذاك الشعير فقط .
اما الخنطة فكانت عسيرة التصدير والبحرين مكتفية من هذه المواد ولكن
ينقصها الماش والبدال وما شابه ذلك . تحررت عن وجود هذه الحبوب في
العراق فكانت كمياتها معقولة ومتيسرة انما ممنوع تصديرها .

اتصلت بأحد المعارف أستشير في الأمر قال «ان الماش ممنوع ولكن اترك
لي الأمر» . وبعد يومين زارني في مكنتي وقال اكتب طلبك وحدد الكمية
المطلوبة ، كتبت طلبا بمبلغ خمسين طنا ، أخذه وقدمه لوزارة التموين . بعد
يومين كلمني تلفونيا وطلب مني أن أحضر لمقابلة وزير التموين . ذهبت ولما
دخلت على الوزير التقيت بصاحبي هناك فقام بتعريفني بالوزير الذي حياني
ورحب بي . ثم واصل الوزير وصاحبي حديثا كانا قد بداه قبل حضوري وفي
هذه الأثناء دخل سكرتير الوزير ومعه كمية من الأوراق للتوقيع عليها ، فأخذ
الوزير يوقعها وهو في حديث متواصل مع صاحبي ، وبعد ان انتهى السكرتير
من مهمته وأخذ أوراقه نهض صاحبي ونهضت معه وودعنا الوزير . في خارج
مكتب الوزير سألت صاحبي مستفسرا «لماذا لم يكلمني الوزير عن الرخصة»
قال «انتظر» مررنا على السكرتير في طريقنا للخروج من الدائرة وتسلمنا
الرخصة الموقعة . فرحت بذلك اما صاحبي فقد اتفق معي على أجرة له اذا
انجز المعاملة . دفعته له مع الشكر . اتصلت بالدلالين فأخذوني الى مدينة
الحلة القريبة من بغداد ، ويا للعجب رأيت حولها اهرامات من الحبوب
المختلفة غير مكيسة . كيّسنا خمسين طنا من حبوب الماش وشحننا للبحرين ،
حيث بيعت بسعر مجز بالاضافة الى استلام كوبونات شاي وسكر بأسعار
التموين المخفضة .

ونظرا لنشاط وتحسن أسواق الخليج وخاصة البحرين ارتأيت تقليص
العمل في بغداد والعودة الى الوطن لمتابعة النشاطات فيها . كان قراري هذا في
صيف عام ١٩٤٦ فرأيت قبل العودة الى البحرين أن أتوجه الى الشام لأمرين
رئيسيين ، أولهما : حلول شهر رمضان في قلب صيف ذلك العام والصيام في
ربوع الشام ولبنان أقل مشقة وأكثر راحة ، في نفس الوقت أخذ قسط من

الراحة قبل التوجه الى البحرين . . وثانيهما: الاتصال بالمعامل والمحلات التجارية التي نحتاج أن نستورد منهم بضائع للبحرين كالعقل والغتر ونحوها .

توجهت والعائلة مستقلين القطار الشهير المدعو اكسبرس الشرق الذي يصل بغداد بأوروبا مارين بالموصل والقسم الجنوبي من تركيا حيث انتقلنا الى القطار المتوجه الى مدينة حلب ومنها التقينا بالتاجر المعروف آنذاك أحمد النبال . مكثنا في حلب حوالى أسبوعين ثم توجهنا بعدها الى دمشق مارين بحمص وحماة . وقد أمضينا فيها حوالى عشرة أيام التقينا خلالها بعائلة الحفار التي كانت تربطنا بهم علاقة تجارية وصدقة وثيقة وقد غمرونا جزاهم الله خيرا بلطفهم وكرمهم ، ثم توجهنا الى بحدون بلبان حيث قضينا بقية شهر رمضان عدنا بعدها الى بغداد حيث باشرنا بالاستعداد للعودة الى البحرين .

بعد بضعة أيام من ذلك التاريخ توجهنا الى البحرين على احدى طائرات الـ RAF البحرية . فركبنا الطائرة من بحيرة الحبانية وبعد أن توقفت في شط العرب بالبصرة مساء ذلك اليوم غادرته في اليوم التالي الى البحرين . هذه قصة خمس سنوات قضيتها في بغداد وعدت بعدها الى البحرين لمواصلة العمل التجاري بها .

(الفصل الثالث)

قصة الحصول على وكالات السيارات والوكالات التجارية الأخرى



الثاني من اليسار الخلف راشد الزبيري أثناء حضوره حفل العشاء السنوي لشركة اويستن القام في فندق جرولتر هاوس بلندن في الخمسينيات ويظهر بصفته عدد من كبار مدراء وضيوف شركة اويستن

قصة الحصول على وكالات السيارات والوكالات التجارية الأخرى

ذكرت في جهة أخرى من هذه الذكريات (١) كيف بدأ عملنا التجارى واذكر هنا شيئاً عن تدرجه وتطوره وتشعبه. فبعد ان تمكنا من التعامل بالكماليات اضفنا قسماً للادوات الكتابية والقرطاسية ثم فتحنا قسماً للاحذية، والنسائية منها بصفة خاصة، حيث اشتهر محلنا بذلك وتفوقنا على غيرنا من المزاحمين في هذا الميدان، ثم زاد تطلعننا الى الدخول في نطاق الصفقات والاعمال الكبيرة، فبدأنا بتقليص الكماليات والادوات الكتابية والتفتنا الى عمل السيارات ثم الوكالات الاخرى فأسست لذلك شركة عبدالرحمن الزباني وأولاده وشركة الخليج للتجارة والهندسة.

وكالة اوستن

كانت السيارات التى اعتاد عليها اهل البحرين وما حوّلها في ذلك الوقت هي السيارات الامريكية فقط - الفورد - الشفر - الهدسن كرايسلر - البليموث والدوج وامثالها، وكان لكل هذه الشركات وكلاء في البحرين. فالتفتنا الى اوروبا (٢)، وراسلنا شركة اوستن الانجليزية في عام ١٩٤٦م، أي بعد ان وضعت الحرب العالمية الثانية اوزارها، واتفقنا معها على شحن سيارتين طراز Austin 10. عند وصولها للبحرين لم يكن لدينا محل خاص لعرضها. فقمنا بعرضها في الشارع بجوار حائط مخازن الجمارك الممتدة آنذاك من شارع التجار وحتى باب البحرين الحالى والتي حولت فيما بعد الى متاجر. وفي احد الايام كنت واقفا على عتبة باب محلنا انظر الى هاتين السيارتين الواقفتين في الجهة المقابلة. واذا بشخصية من الشخصيات الكبيرة المتنقلة في البحرين آنذاك يخرج من محل مجاور لمحلنا يرافقه شخص آخر لا اتذكره الآن. شاهد الشخصية المذكورة السيارتين وقال ساخرا للشخص المرافق له «طالع! طالع! هاذلين بعد جايين سيارات.. هذي يسمونها سيارات»!

(١) تحت الخطوة الأولى في مشوار العمل التجاري صفحة (١٥٩)

(٢) لم تكن السيارات اليابانية والكورية ومثيلاتها قد عرفت واشتهرت في ذلك الزمان.

في ذلك الوقت كانت سيارات اوستن صغيرة الحجم بالنسبة للسيارات الامريكية الضخمة المتداولة بالمنطقة. شعرت بالاكئاب من كلامه، وقبل ان يلمحنى تواريت داخل المحل وانا اقاوم لوعتي من تعليقه السيء. ويشاء الله سبحانه وتعالى، ويكتب لنا التوفيق في تزايد بيع تلك السيارات واشتعارها في البلاد، ويزداد استيرادنا منها شاملا الصغيرة منها للركاب، او اللورية (الشاحنات) العادية والقلابة للنقل والشحن والباصات. اذ ما كادت ثمر ثلاث او اربع سنوات حتى بلغ ما وردناه من سيارات اوستن ولورياتها وباصاتها اكثر من مجموع ما استورد الى البحرين من السيارات الامريكية مجتمعة. مما جعلها تكتسب شهرة واسعة في البحرين والخليج ولم نكتف باستيرادها للبحرين بل شمل استيرادنا لها الى قطر والكويت. وبصورة خاصة اللورية والقلابيات والباصات التى نالت رضا المقاولين ودوائر الحكومة في البحرين وقطر.

في نفس الوقت استورد تاجر بحريني سيارات (استندر)، واستوردت شركة لبنانية لوريات بدفورد الانجليزية ولكني اقول وارجو ان لا يعتبر كلامي هذا مبالغاً فيه، بل هو واقع اكيد، اقول لقد بزت سيارات اوستن ولورياتها جميع السيارات الانجليزية من حيث العدد والعدة. وقد أدى مساندتنا لها بالاستعداد بقطع الغيار والصيانة والخدمة الممتازة الى زيادة الاقبال عليها. فقد استحدثنا كراجا حديثاً للتصليح والصيانة، ووظفنا مديرا انجليزيا له خبرة في تصليح سيارات اوستن - مع العلم انه في ذلك الزمان لم يعتد التجار في البحرين توظيف اوروبيين بل جميع الفنيين كانوا من الهنود او امثالهم.

في ذلك الوقت كانت حكومة البحرين تستعمل سيارات انجليزية من نوع الهمبر والهلين واللورية التابعة لها، وكانت تشتريها عن طريق مكتب شركة في لندن يرأسها شخص انجليزى يحمل لقب (SIR). عز علي بعد ان نجحنا في تسويق سيارات اوستن ان اترك هذه الشركة. تنافسنا في سوق البحرين، فاتصلت بدائرة الكهرباء وكان يرأسها شخص انجليزى. كانت هذه الدائرة

المسئولة في ذلك الوقت عن المواصلات وعن سيارات الحكومة. اتصلت بمديرها عارضا عليه ان يشتري منا ولو بعض لوريات اوستن التى اشتهرت في البلاد، فلم يوافق. على اثرها، سافرت الى لندن واتصلت بالشركة الموردة للحكومة، ولما اجتمعت برئيسها (السر) وعرضت عليه التعاون معه، اجابنى بكل عجرفة وصلف بعدم موافقته التعاون معنا. وقال بكل كبرياء «انصحك ان لا تتدخل في علاقتنا مع حكومة البحرين». لم اياس، عدت الى البحرين وقابلت مستشار حكومة البحرين بلكريف، وألححت عليه في شراء بعض اللورية منا، وكانت حجتى القوية اننا نستورد سيارات انجليزية روجنا لها دعاية كبيرة وهى ناجحة نجاحا كبيرا، فلا بد ان تشجعنا حكومتنا. وبعد الحاح شديد قال سأكلم مدير الكهرباء وفي اليوم الثانى اتصل بى المدير المذكور تلفونيا وقال «سنشترى منكم سيارتي لوري بأمر المستشار».

الحمد لله، لقد فتح باب المعاملة بيننا وبين الحكومة فوثقنا العلاقة مع المهندس مدير الكهرباء فزادت الطلبات وتكررت، وما ان مضى شهران او نحوهما على ذلك، حتى جاء مدير الشركة الانجليزية (السر) الى البحرين، واول عمل قام به الاتصال بمستر بلكريف معترضا على معاملة الحكومة معنا ولما لم يدرك من بلكريف أي تأييد، طلب مقابلتى. في اثناء المقابلة معه، قال لي بالحرف الواحد وبغطرسته المعتادة «لاحظت ان حكومة البحرين اشترت منكم لوريات ثم اردفها بعبارة (The Government is Naughty)، «تعبير انجليزي يقصد به لوم الحكومة بأنها كانت خاطئة، ثم اردف قائلا «ولكن لا بأس دعنا نتفق على ان نورد للحكومة سياراتها المطلوبة من اوستن ومن سياراتنا ونعمل اتفاق». قلت «آسف، فات الاوان» وذكرته بمقابله الناشفة لي في لندن. خرج لا يلوي على شىء بعد ان اكلته الصاع صاعين، كما يقول المثل، لمقابله الخشنة لي في لندن، اما نحن فقد استمرينا في تزويد الحكومة بلوريات اوستن حتى بلغ حجم سياراتها من لوريات اوستن اكبر حجم من أي سيارات اخرى.

مندوب أوستن:

كان أكبر ما يهيم بريطانيا، بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية (عام ١٩٤٥م)، هو تصدير بضائع مصانعها وكسب الأسواق العالمية. وكان لدينا في حينه وكالة سيارات أوستن البريطانية. في إحدى زياراتي إلى شركة أوستن، اقترحت عليهم إرسال مندوب إلى البحرين ليطلع على الأنواع المرغوبة من السيارات في منطقتنا وكانت كلها تقريبا أمريكية - بقصد مضاهاتها ومنافستها - رحبت الشركة باقتراحي وأرسلت مندوبا يدعى «روني أوين» إلى البحرين في شهر أغسطس أي قلب الصيف. وعند وصوله لاحظت أنه قد اكتسب ببذلة صوفية شتوية لا تناسب الجو الحار في هذا الشهر، وكان يتسبب منه العرق بغزارة ويتأفف من شدة الحر. سألته لماذا لم يكتس ببذلة صيفية تناسب هذا الجو الحار؟ أجاب أن الشركة اشترت له هذه البذلة بعد أن طلبت رخصة خاصة من وزارة التموين (حيث أن الألبسة والأطعمة كانت في ذلك الزمان كلها حذر تقنين سلطة التموين). الظاهر أنهم لم يتصوروا أو أنهم يجهلون أن هذه البلاد شديدة الحرارة في فصل الصيف. أرسلت معه أحد الموظفين ليدله على متجر يشتري منه بذلة صيفية، ثم رافقته إلى عين عذاري للسباحة. بقى بضعة أيام في البحرين ثم غادرها شاكرا وذاكرا أنه استفاد كثيرا من رحلته وأنه سيعود ليكمل مهمته في فترة لاحقة. عاد المذكور بعد بضعة أشهر وكان مجيئه هذه المرة في عز الشتاء عن طريق البحر. ولما قابلته وجدته وقد اكتس ببذلة صيفية خفيفة وكان يرتعد من شدة البرد. فاضطر مرة أخرى للذهاب إلى السوق وشراء بذلة شتوية. سبحان الله، هكذا كان عامة الناس في بريطانيا: يجهلون منطقتنا حتى في أئفه الأمور. كانت المواصلات والاتصالات في ذلك الزمان محدودة بخلاف ما هي عليه اليوم. وفي إحدى زياراته اللاحقة قال لي صاحبنا روني أنه أحب الحياة في البحرين رغم بساطتها وأحب معاملة الناس له، وأنه يتمنى أن يتشرف بمقابلة شيخ أو أمير أو حاكم عربي ليسجل ذلك في تقاريره ومذكراته. قلت «أرتب لك ذلك». اتصلت بالديوان الأميري فعين موعدا محددا للمقابلة، وفي طريقنا

الى التشرف بمقابلة صاحب السمو المغفور له الشيخ سلمان قلت لصاحبي «روني أنا أعرف انك يسراوي، تستعمل دائما يدك اليسرى في الكتابة وتناول الأشياء، وعند العرب استعمال اليد اليسرى من الأمور غير المحببة بل ومستنكرة، لذلك أرجوك أن لا تستعملها. وإذا قدمت لك القهوة استلم الفنجان بيدك اليمنى». شكرني على هذه الملاحظة ووعد بالتنفيذ.

تشرفنا بالمقابلة الكريمة وكنت أجلس على يمينه وأقوم بدور الترجمة. وبعد شرب القهوة والشاي ثم الطيب، غادرنا المجلس وكل شيء كان على أحسن ما يرام. وفي طريقي الى السيارة قلت له «روني اني مسرور جدا انك لم تستعمل يدك اليسرى» أجاب: «طبعاً لأني كنت طول المدة جالسا عليها»!

قطر:

بعد البحرين تحول اتجاهنا بلوريات اوستن الناجحة والمتفوقة الى قطر، حيث بدأنا نوردها للحكومة بواسطة الدرويش وبشراكتهم، حتى اصبحت لورياتها اللوريات المفضلة لدى حكومة قطر.

استمر الحال في قطر لبضع سنوات، غير ان المرحوم عبدالله الدرويش، مع الاسف، اراد الاستئثار بوكالة اوستن لنفسه، ومع انني في احدى زياراتي له في الدوحة اطلعته بصورة غير مباشرة على اتفاقنا معه، وكيف ان ذلك الاتفاق كان موثقاً من قبل دائرة الاعتماد في البحرين. (لم يكن بالبحرين في ذلك الوقت دائرة توثيق) الا انه لم يأبه بحديثي معه، بل سافر الى لندن واتصل بشركة اوستن طالبا منها سحب الوكالة القطرية منا واعطائه له. حالما علمت بذلك توجهت الى لندن ولما اتصلت بالاوستن اخبروني بما دار من حديث بينهم وبينه واكدوا لي انهم سوف لا يوافقون على طلبه.

عاد بخفي حنين ولكنه بدأ يضع العراقيل لاجبارنا على التخلي عن حقنا. وفي النهاية جرى خلاف بينه وبين حكومته، أثر تأثيراً كبيراً على عمل سيارات اوستن فتخالصنا معه.

الكويت:

كذلك توجهنا الى الكويت وبعنا عددا من سيارات اوستن فيها. وكان عملنا فيها بالاشتراك مع احد الاخوة الكويتيين غير ان اخانا هذا، مع الاسف، حاول ايضا الاستئثار بالوكالة لنفسه، عندما شاهد نجاحها. فذهب الى شركة اوستن في انجلترا في شهر ديسمبر (قلب الشتاء)، وعرض عليها تقديم طلبات فورية بمليون جنيه استرليني بشرط نزع الوكالة فيها منا وتخصيصها له. كنت في ذلك الوقت في البحرين وقد وصلتها من لندن قبل بضعة ايام، فاذا بتلغراف يصلني من شركة اوستن يطلبون حضوري حالا الى انجلترا للتفاهم حول الوكالة في الكويت، شارحين عرض اخينا الشريك لهم. في واقع الامر لم انم تلك الليلة، ظللت اتقلب في فراشي حتى قرب الصباح. عند طلوع الفجر، صليت ودعوت الله ان يخلصنا من هذه الورطة. شخص يحاربنا بملايينه، ونحن لا نملك منها الا القليل، والشركة تود ان تزيد مبيعاتها ونحن لا نستطيع ان نطلب منها الا عددا محدودا. وبعد التفكير طرأت لي فكرة ارسلت على اثرها الجواب الذي انقذني من هذا المأزق وهي اني مريض بالانفلونزا الشديدة ولا استطيع ركوب الطائرة وانا على هذا الحال، فارجو الانتظار لمدة عشرة ايام او نحوها الى ان اشفى واتوجه اليكم. اني اعرف ان صاحبنا لا يستطيع ان يقيم في انجلترا اكثر من ثلاثة او اربعة ايام. وفعلا حدث ما توقعت، اضطر الى الرجوع الى الكويت وهدأت العاصفة نوعا ما ولكنه، وهو لا يزال شريكا معنا، بدأ يضع العراقيل في طريقنا. فاضطرت للسفر الى الكويت عدة مرات لمقابلته ومحاوله التفاهم معه ولكن دون جدوى. ولما اعيتنا الحيلة والوسيلة للتفاهم معه اضطررنا للمغامرة بفتح محل خاص بنا وباسمنا وحدنا.

كانت الكويت في تلك الايام في بداية نهضتها - شوارع تشق وبيوت تهدم - حركة عمرانية هائلة - ولما اردنا استئجار محل، لم نجد الا حوطة مساحتها ٥٠ × ٥٠ قدما، جدارها لا يزيد ارتفاعه عن خمسة اقدام مبني من الحجارة والطين. علقنا على بابها القدر المتهالك قطعة مكتوبة على استعجال بخط

رديء اسمنا بالعربي والانجليزى «عبدالرحمن الزيانى واولاده»، بعد ان دفعنا لصاحبها ايجارا باهظا وكل غايتنا كانت مجرد اثبات وجودنا.

لم يكن يوجد في ذلك الزمان فنادق حديثة او مريحة في الكويت، فكنت انزل في احدى الغرف الصغيرة التابعة لشريكنا قبل الخلاف معه. وبعد ذلك، ونحن على خلاف معه قررت ان لا انزل في ضيافته، فنزلت في ضيافة المرحوم الشيخ فهد السالم، حيث كانت تربطنى به معرفة وصداقة قديمة ايام كنا طلاباً بالجامعة الامريكية في بيروت.

بقينا في اخذ ورد مع شريكنا الطامع في وكالتنا ثم تحول الامر الى تحد ومشاكسة، مما دعانا كما ذكرت اعلاه الى فتح محل رمزى - لمجرد اثبات وجودنا. واخيرا توصلنا معه الى اعطائه مبلغا معيناً من المال ونخالصنا معه واستقلينا بفتح محلنا في الكويت.

البصرة:

في هذا الوقت عرضت علينا اوستن اخذ الوكالة في البصرة فتفاهمت مع تجار من سكنة البصرة واتفقنا معهم على العمل شراكة، ومع ان الاخوة الذين اشتركنا معهم، السادة عبدالعزيز البسام واولاده، كانوا مثال الصدق والامانة والتعاون، الا اننا مع الاسف لم نوفق تجاريا في عملنا هذا، فاتفقنا على حل الشراكة وديا بيننا.

الإمارات:

لم تكن سيارات اوستن صالحة للإمارات في ذلك الوقت لان الطرق فيها غير معبدة والدارج فيها هو السيارات الرملية ٤ × ٤ فقط. لذلك لم نحاول بيع اوستن فيها بل سعيينا للحصول على وكالة شركة سيارات اللاندروفر لصلاحيتهما للاراضى الرملية وبعد ادراكها باشرنا بتوريدها للإمارات والسعودية.



سمو الشيخ راشد بن سعيد آل مكتوم حاكم امارة دبي
وعن يمينه المؤلف راشد الزياتي

وكالة اللاندروفر

لقد ذكرت آنفا بعض المشاكل والتعرضات التي واجهناها بالنسبة لوكالة وستن في المنطقة. الا ان المشاكل والتعرضات التي واجهناها بالنسبة لسيارات للاندروفر لا تقل عن تلك التي حدثت لنا بالنسبة لاوستن.

في عام ٤٨ - ١٩٤٩م راسلنا شركة روفر وكانت قد بدأت تصنع سيارات لاندروفر فحصلنا على وكالتها لكل الخليج، ما عدا الكويت، حيث كان وكيلها آنذاك شركة يوسف الغانم. عند حصولنا على التوكيل وجهناها في لدرجة الاولى الى الامارات والى دبي بالذات لصلاحياتها لتلك المنطقة.

دبي:

في اوائل الخمسينات اتفقنا مع تاجر كويتي يقطن دبي على تمثيلنا هناك، ولم يكذب بيع عددا محدودا منها حتى تغيرت نيته، مع الاسف، وحاول لاستحواذ على وكالة هذه السيارات لنفسه، ولما اعيتنا الحيلة للتوصل معه الى تفاهم، توجهت الى دبي على اساس إما التفاهم معه او نباشر بفتح محل خاص بنا في دبي.

عند وصولي الى دبي وكانت آنذاك دولة تفتقر الى المال والاصلاح لم يكن بها شوارع مرصوفة، ولا بنايات حديثة عالية، حتى مياه الشرب كانت نستنزف من آبار بدائية تحفر في الرمال الكثيفة حول المدينة التي ما يكاد يستنزف منها كمية قليلة حتى تنشف فيحضر غيرها وطبعاً لم يكتشف النفط فيها آنذاك، ولم تستحدث الكهرباء. ولكن حاكمها آنذاك سمو الشيخ راشد بن سعيد المكتوم كان يسعى بكل جهده لتطويرها بالرغم من امكانياته المحدودة. فكان يشارك بعض التجار في اعمال تجارية محدودة كالسينما مثلاً. والظاهر ان شريكنا اغراه بالاشتراك معه اذا اخذ وكالة لاندروفر، اذ لما وصلت الى دبي لأول مرة والتقيت بسموه، رحب بي ترحيباً طيباً واكرمنى جزاه الله خيراً ولكن لما كلمته عن فتح محل لنا ابدى تردداً! وفي كل مرة ازوره اجد منه للقاء الطيب انما عند فتح موضوع المحل يحاول تحاشي البحث فيه. فأدرت من ذلك ان شريكنا يلعب لعبته.



سمو الشيخ راشد بن سعيد آل مكتوم في لقاء ودي مع المؤلف راشد الزياني



سمو الشيخ راشد بن سعيد آل مكتوم وابنه الشيخ حمدان
مع المؤلف راشد الزياني

كررت الزيارات لدبي ووسطت بعض الشخصيات المهمة في دبي لمخاطبة الشيخ راشد، واعترافا بالجميل اقول هنا اني لقيت من جميع تجار دبي آنذاك كل ترحيب ولطف ومودة، وعلمت ان بعضهم سعى لدى الشيخ راشد من تلقاء نفسه لمساعدتنا. جزاهم الله خيرا واحسن اليهم.

لم يكن بدبي فنادق في تلك الايام فنزلت عند احد التجار وهو السيد محمد عارف شريك ووكيل بيت مصطفى. فكان خير مضياف وخير جليس جزاه الله خيرا. كثر ترددي على دبي، احيانا بمفردي، وحيانا اصطحب معي احد الموظفين البحرينيين لمحاولة فتح محل فيها، والشيخ راشد، رحمه الله، لم يغير موقفه. ونظرا لعدم جدوى الوساطات رأيت رغم مجاملته لي ان افاتحه رأسا واصارحه. اجتمعت به اجتماعا خاصا وصارحته قال «يمكنك ان تفتح محلا لكل البضائع انما السيارات فتؤجل موضوعها». احترت ماذا اعمل شركة الروفر تلح في البيع في تلك المنطقة، والمنطقة مؤهلة لسيارات لاندروفر لكونها رمال غزيرة والسيارات المماثلة لها هي السيارة الجيب الامريكية وكانت بموجب المقاطعة العربية لإسرائيل، ممنوع استيرادها للبلاد العربية. توكلت على الله، واتخذت خط المجازفة، استأجرت دكانا ذا فتحتين وفتحته، واضعا فيه انواعا من بضائعنا الاخرى غير السيارات كنت قد احضرتها من البحرين، ولكنني في نفس الوقت ألصقت على الابواب صور سيارات اللاندروفر بعدد كبير، والمهم ان يكون اسمنا مكتوبا بحروف كبيرة على واجهة المحل. في هذه الاثناء فهمت ان شريكنا ذهب واخبر الشيخ راشد، ولكن المذكور لم يتخذ أي اجراء ضدنا ولما زرته بعد ذلك لم يظهر منه أي تغير في مقابلته لي. فالشيخ راشد، رحمه الله، كان يمه تنمية التجارة في بلاده اكثر مما يمه مصلحته الخاصة لذلك اظنه فضل التغاضي عما عرضه شريكنا الطامع وحبد تشجيعنا للمتاجرة في دبي. وقد لاحظت انه ما كاد يمضي وقت قصير حتى بدأ يشجعني على زيادة المتاجرة والعمل وزاد رحمه الله من ترحيبه بي واكرامي ثم بدأ هو وعائلته شراء سيارات لاندروفر منا.

بدأنا نطلب سيارات لندروفر رأسا باسمنا الى دبی متجاهلين الوكيل الطامع، وبعد ان استمر عملنا لفترة وجيزة تحولنا الى محل اكبر يملكه شقيق الشيخ راشد، وفتحنا كراجا للتصليح. وما كاد يمضي وقت قصير حتى كسبت هذه السيارات سمعة طيبة واصبحت الاولى في المنطقة.

لم تكن تلك السيارات تعرف في دبی والامارات باسم اللاندروفر بل كانت تدعى «جيب الزيانى» او «الجيب الانجليزى» وما يجدر ذكره هنا ان اهالي تلك المنطقة في ذلك الزمان اذا ارادوا مدح انسان لذكائه او مقدرته، وكذلك لغير الانسان يطلقون عليه او يلقبونه بكلمة (ملعون) فقد سمعت مرة احدهم وهو يشاهد سيارة اللاندروفر وهى تشق طريقها في الرمال الكثيفة يقول لزميل يرافقه «شوف الملعون الزيانى شيسوى!».

استمر عملنا في دبی بصورة طبيعية وكنت اتردد على دبی احيانا بمفردى وحيانا بمرافقة عائلتى اقيم فيها اياما وربما عدة اسابيع، في نفس الوقت زادت صلتى بالشيخ راشد وانجالة الكرام ولقيت من الشيخ ومن ذويه ومن الاهالي عامة كل اكرام وترحيب وحسن لقاء جزاهم الله خيرا.

والشيخ راشد، كما هو معلوم للجميع يحب البساطة وعدم التكلف، ويقدر كل شخص مجتهد ومجد وله في مجلسه قفشات ظريفة تسر وتضحك ولكنها لا تخرج عن حدود اللياقة او الاحترام. كنت احضر مجلسه كل يوم في الصباح والمساء، كان، رحمه الله، يحدثنى عن ما يجرى في دبی صغيرا او كبيرا وكانت دوائر الحكومة والبلدية تطلعه على ما يجرى في البلاد اولا بأول. فعلى سبيل المثال حدث في احد الايام وبعد سنتين او اكثر من شروعنا في العمل في دبی، ان زرت البلدية لأطلع على تخطيط المدينة وكنت انوي شراء ارض في دبی. ولما زرتة في مساء ذلك اليوم كعادتى سألتنى اين ذهبت اليوم قلت تجولت في السوق ولم يخطر ببالي ان اذكر زيارة البلدية فقال «وماذا كنت تعمل في البلدية؟» عندها تنبهت وقلت «اطلع على تخطيط جهة (ديرة) من المدينة ربما استحسن شراء ارض فيها كونها مقبلة على العمران ولها مستقبل». لم يعلق على جوابى ولكن لما اردت توديعه قال «سيأتى اليك احد رجالي غدا

لعصر فاذهب معه وأره منطقة الارض المطلوبة وانت مدعو للعشاء عندي
 غد». فعلا جاء خادمه وذهبت معه وعينت له المنطقة. وفي مساء اليوم
 لتالى يوم دعوة العشاء، توجهت الى قصر الشيخ راشد في زعبل فوجدته
 جالسا خارج القصر في الهواء الطلق. وما ان حييته وجلست بقربه حتى أوماً
 لي احد اتباعه الذى نهض وسلمه ورقة قرأها ثم اخرج قلما من جيبه
 وقعها، وسلمها لي فاذا هى تحتوى على الارض التى شاهدتها نهار الامس
 كانت هبة خاصة منه لي وباسمي، جزاه الله خيرا، شكرته على ذلك ثم امر
 العشاء وبعد ذلك ودعته شاكرا حسن وفادته وكرمه.

مع مضي الايام خططت على الارض المذكورة عمارة تحتوي على معرض،
 بن خلفه مخازن وكراج، استفدنا منه لاعمالنا. وكان اول عمل عملته بعد
 انتهاء البناء ان دعوت الشيخ راشد لافتتاح ذلك المعرض ومباركته له. ولم
 نض مدة قصيرة حتى تغطت كل الاراضي المجاورة للبنية ببنائات وعمارات
 مختلفة.

وفي زيارة لاحقة لاحظت ان ساحل الشندقة، وهو الساحل الغربى لمدينة
 دبی، بدأت تدب فيه حياة التعمير. فقد كان ذلك الساحل في الماضى يعتبر
 مصيفا لاهالي دبی ينون فيه عششا من جريد النخيل لسكناهم خلال ايام
 الصيف. ذهبت الى البلدية لاطلع على تخطيط تلك المنطقة. وكنت انوي
 شراء ارض هناك، بل بالفعل اوصيت احد الدالين ليعرض علي بعض
 الاراضي فيها، ولكن عند زيارتي للشيخ راشد في اليوم التالي، سألني عن
 زيارتي للبلدية، فاخبرته بذلك، فلم يعلق على جوابي، ولكنه بعد يومين او
 ثلاثة، اوصى احد رجاله بأنه يود ان يلتقى بي مساء ذلك اليوم في الشندقة،
 حيث كان في ذلك الوقت قد باشر ببناء «مضيف» كبير في تلك المنطقة.
 ذهبت فباركت له بالمحل الجديد، وكان لازال قيد البناء. وبعد ان صلينا
 المغرب، قال «سمعت ان زيارتك هذه المرة قصيرة وانك ستسافر» قلت «نعم،
 هناك امر ضرورى يدعوني للسفر الى البحرين ولكني سأعود ان شاء الله».
 في صباح اليوم التالي، وكعادتي زرت في دائرة الجمارك حيث اعتاد ارتيادها

كل صباح لأسلم عليه وأودعه، وفي اثناء الحديث سلمني ظرفا فتحته، فاذا محتوياته وثيقة ارض في الشندقة هبة كريمة من سموه لي وباسمي، شكرته على ذلك، رحمه الله وجزاه خيرا.

توسعت اعمالنا في دبي، وشملت كافة مناطق ساحل الامارات، واصبحت سيارات لندروفر هي السيارات الوحيدة تقريبا المنتشرة في تلك المنطقة، واضطرت في كثير من المناسبات، ان امكث في المنطقة اياما عديدة، بل وفي بعض الاحيان اصطحب عائلتي معي. وفجأة في صيف ١٩٦٦م اخبرتنى شركة لندروفر، ان رسولا جاء من سمو الشيخ راشد يطلب حضور مدير من مدرائهم لمقابلته في لندن، ولما حضر اخبره الشيخ راشد انه يطلب تحويل وكالة السيارات الى تاجر اسماه في دبي، طبعاً اتصلت الشركة بي فتوجهت مسرعا الى لندن، وبعد ان تحررت عن سكن الشيخ راشد بادرت بزيارته في فندق سكنه. بعد تقديم القهوة ساررتي بقولي «طويل العمر عندي معك رمسة» (١) فأمر الموجودين من حاشيته باخلاء الغرفة. عندها بدأت حديثي وقلت موجهها الكلام لسموه «طول الله عمرك، قبل شهر كنت عندك في دبي وأكرمتني غاية الاكرام، وعلى اثرها كتبت للشركة اشكر واثنى على جميلك وحسن صنيعك، والآن علمت انك طلبت من شركة روفر ابعادي وتحويل وكالة السيارات الى شخص آخر. انك بذلك اخجلتني واحرجتني امام الشركة، ولو انك طلبت مني التخلي عن هذه الوكالة ايام كنت رهن ضيافتك في دبي لمن تريد لما ترددت، فانا رهن فضلك واحسانك». احمر وجهه، رحمه الله، ثم شد على يدي وتفوه بهذه العبارة «بس بس» وصاح بأعلى صوته «يا ولد جيب قهوة». انتهى الحديث بيني وبينه عند هذا الحد اذ جاءت القهوة ودخل الاتباع.

ودعته وخرجت والحيرة تشغل بالي وتفكيري. فالحديث الخاص بيني وبينه انقطع وتوقف دون ان اسمع جوابه او ادرك نواياه. في نفس الوقت شركة روفر كانت بانتظار سماع نتيجة هذا اللقاء والمباحثة، ولما سألوني قلت

(١) رمسة : كلمة تستعمل في الامارات وتعني حديث خاص.

انتظروا». ولكن المصيبة ان الانجليز لا يفهمون عقليتنا، فقد طلب منهم ملبا يجب ان يلبوه او يرفضوه وفي الحال، خاصة اذا كان ذلك من شخصية همة وكبيرة. ظللت احاورهم وأؤجل جوابهم لطلب الشيخ وقد تجاوبوا معي لكن على مضض.

لم يطل مكث الشيخ راشد في لندن وعاد الى دبي، فاضطرت لقطع جازتي والعودة الى منطقتنا والتوجه بصورة خاصة الى دبي. عند وصولي اليها توجهت كعادتي لزيارة الشيخ راشد للسلام، فرحب بي اجمل ترحيب دعاني على العشاء في «مضيفه الكبير في الشنقة» ودعا في تلك الليلة غالبية لتجار، ان لم يكن كلهم. ولما تقدمنا الى مائدة الطعام اصر والح، لا بل اجبرني، على ان اجلس في مكانه. رغم امتناعي واعتراضي دفعني الى كرسيه. اضطرت للجلوس، ويشهد الله اني لم أتناول من ذلك العشاء الفاخر لا قليله - العرق يتصبب من جسمي ولا استطيع ان ارفع بصري لأشاهد المدعوين من الخجل والخرج.

في صباح اليوم التالي زرت الشيخ راشد وبعد الحديث القصير معه، طلبت منه الاجتماع به منفردا فأخذني الى حجرة مجاورة. ولما جلسنا قال «ماذا في خاطرك؟» قلت «يا طويل العمر، انا رهن لطفك واحسانك، وقد خجلتني باكرامك ومودتك، والآن جئت لأعرض عليك ما يجوز بخاطري منتظرا أوامرك. اني على استعداد لأهل امتعتي واغادر البلاد ارضاء لك وانت صاحب الفضل والمنة، مع اني كنت ناويا التوسع في العمل وبناء كراج كبير وجلب وكالات سيارات وبضائع اخرى. ولكن لن اقدم على أي عمل او توسع الا بعد ان اتأكد من صاحب الفضل انه يريد بقائي في بلاده». اسكتني وهو يشد على يدي وقال «توسع في عملك ولك كامل الحرية والتصرف ولن يعارضك احد انت واهلك من اعز الناس علينا وخاصة والدك فلنا معه صلات سابقة لازلنا نذكرها. وعن الكراج تأمر احد رجالك غداً يمر على كاتبنا ليعين له محل الكراج المطلوب!» شكرته وحمدت الله على انفراج هذه الازمة الطارئة وابرقت الى شركة روفر اطمئنهم خشية ان يتسرعوا ويكتبوا جوابهم على ما جاء أنفا.

بعد يومين او ثلاثة، عينت لنا قطعة ارض ممتازة لبناء كراج واستمر عملنا بعدها في امان وراحة. ولم نكتف بسيارات اللاندروفر بل جلبنا سيارات اخرى كالرولزرويس والكريسلر والمتسوبيشي اليابانية خاصة بعد ان عادت الطرق. وبنينا عمارة كبيرة تحتوي على معارض وكراجات وفتحنا فرعاً كبيراً للبضائع العمومية، كما ادخلنا بضائع مختلفة على سبيل المثال مضخات ماء عادية وخاصة. ولما اكتشف الماء في (العوير) سحب غالبيته بواسطة مضخات من مبيعاتنا خاصة من النوع الصالح للاعماق.

اشار الشيخ راشد في حديثه عن الصلات الطيبة مع والدي اني اتذكر ان والدي كان دائماً على اتصال وتواصل مع والد الشيخ راشد واعمامه يزيد من تواصلهم عمل اللؤلؤ وتجارته في ذلك الزمان وان والدي رحمه الله كان لا يتوانى بل يسارع الى زيارتهم اذا قدموا للبحرين في سفنهم الميكانيكية او في مقر اقامتهم عارضاً الاستضافة والتكريم وما الى ذلك.

في واقع الامر، كانت دبي بصورة خاصة والامارات بصورة عامة، لها وقع خاص في نفسي وكنت اشتاق الذهاب اليها والسبب في الدرجة الاولى لطف الشيخ راشد، رحمه الله، وحسن وفادته وايضا حسن اللقاء من الشخصيات الطيبة المعاصرة للمرحوم الشيخ راشد، واذكر منهم هنا آل الغرير وبن فطيم واللواته وغيرهم. فاني وعائلتي لم نجد منهم الا كل لطف ومودة. جزاهم الله خيراً وعلى سبيل المثال لا احصر كنا قد استأجرنا شقة من التاجر المعروف ناصر بن عبداللطيف لسكني فيها وعائلتي اثناء احدى زياراتنا، ومكثنا فيها حوالي شهر. ولما اردنا دفع ايجارها امتنع عن استلام الايجار وقال «ان لك علينا حق الضيافة والاكرام». رحمه الله برحمته الواسعة وأسكنه فسيح جنته.

أبوظبى:

كانت أبوظبى في الخمسينات (اعوام ١٩٥٠م - ١٩٦٠م) صحراء جرداء ذات رمال غزيرة يحكمها الشيخ شخبوط آل نهيان وكان دخل نفطها في اوائله. اما الشيخ زايد آل نهيان، حاكمها الحالى، فكان يقضي معظم اوقاته في مدينة العين، وهى بذاتها كانت مدينة بدائية ليس بها الا مبان قليلة كما كانت طرقها بدائية غير معبدة. وكان اتصال العين بأبوظبى ونواحي الامارات الاخرى لا يأتى الا عن طرق صحراوية رملية معظمها لا يمكن السير فيه الا بسيارات ٤ × ٤ ذات اطارات رملية. في هذه الفترة، توجهت من دى لزيارة أبوظبى بصحبة وكيلنا آنذاك في المنطقة مستعملين سيارة لاندروفر قاطعين طريقا متعرجا شاقا وعرا تغطيه الرمال الكثيفة وفي بعض الاحيان نقطع مستنقعات او مطاين عندما نخرج للسير بمحاذاة الساحل ابتعادا عن الرمال الكثيفة في الداخل. واذكر اننا توقفنا مرة او مرتين لدفع السيارة وتحريرها من التغيريز. وصلنا أبوظبى، وكانت آنذاك عبارة عن جزيرة يربطها بالبر الرئيسى جسر بسيط مكون من حجارة مكدسة بغير ترتيب او تنسيق. اما الجزيرة نفسها فكانت كتلة من الرمال الكثيفة تقع في قلبها قلعة مبنية من الحجارة يحيط بها بعض المباني والمساكن القديمة المتهالكة، اما باقى المساكن فهى عبارة عن عشش من جريد النخيل. وكان سوقها الصغير آنذاك عبارة عن دكانين او ثلاثة مبنية بالحجارة والجص، والباقى عشش من جريد النخيل ايضا. ولم يكن به الا بضائع بسيطة محدودة اغلبها معلبات عفا على بعضها الزمن وفات اوان صلاحيتها. توجهنا الى القلعة، وكان بابها مغلقا. وبعد طرق الباب عدة طرقات، لم يفتح لنا الباب الرئيسى، بل فتحت لنا فتحة صغيرة في الباب نفسه تسمى (خوخة) بالكاد تكفى لدخول شخص واحد متوسط الحجم. بعد دخولنا وقفل الخوخة اخذنا الحارس الى مجلس بداخلها فاذا بالشيخ شخبوط قد تصدر ذلك المجلس يحيط به بعض العائلة والحاشية. رحب بنا وحيانا وسألنى عن والدى وجماعته وبعد تناول القهوة والحديث لبسيط قال «انكم الآن في حاجة للراحة بعد هذه السفرة المتعبة ورجلنا فلان

سيصطحبكم الى المضيف». فعلا واكب سيارتنا رجال الشيخ وواصلنا الى محل قريب من السوق يتكون من دار تعلوها غرفة وسطح بناؤها قديم ومتها لك ، سلمها مبني من الجص ذابت زواياها حتى انك لا تتصور انه سلم ، شبابيكها مفتوحة بعضها نزعت درفات ابوابها وبعضها اتلف الصدأ القضبان الحديدية للشباك فاصبح بدون واق يمنع السقوط منه . اما فرشها فكانت مجرد حصر من نوع (مداد البحرين) يغطيها التراب والملح .

بعد فترة وجيزة جاء احد الخدم ومعه دلة القهوة وابريق وبعض الفحم اشعله وبدأ يعمل قهوة في السطح . ثم جاء خادما آخر وألقى من بعد على ارض الغرفة مرتبتين ومسندين . جلسنا ننظر ما حولنا فلم نر الا البر والبحر والرمال والعشش المتناثرة على هذه الرمال الكثيفة . حان وقت الغداء فاذا بالخادم يحضر سفرة لم يفرشها امامنا بل وهو واقف على عتبة الباب ألقاها طائرة لتحط امامنا ، ثم عاد وهو يحمل صينية بها رز وعليه قطع من اللحم وقال تفضلوا . كنا جياعا ، فالوقت متأخر وكان فطورنا مبكرا ، فلما تقدمنا الى صينية الاكل لم نستطع اكل اللحم لكونه يابسا وغير ناضج . اما الرز فقد خالطه شيء من الرمل . احترنا ماذا نعمل ؟ عندها طلبت من سائق سيارتنا ان يذهب الى السوق ليحضر لنا ما يمكن احضاره من اكل . عاد وليس معه الا علبة بسكويت وقال «هذا كل ما وجدت مما يصلح لكم» . هكذا كان غداؤنا في ذلك اليوم اما العشاء فكانت نفس الصينية ، وبطبيعة الحال لم نلمسها . ولحسن الحظ زرنا بعد الظهر أخاً للشيخ شخبوط فقدم لنا حسب العادة عندهم «فوالة» بعض الحلوى وتوابعه ، اكلنا منها دون استحياء ما يسد رمقنا من الجوع .

كان تخطيطنا ان نبقي لمدة يومين او ثلاثة ، ولكن نظرا للوضع الآنف الذكر اتفقنا على الرجوع الى دبي في اليوم الثاني . فعند زيارتنا لأخ الشيخ شخبوط قال «ان شاء الله انكم باقون عندنا كم يوم؟» قلنا «اننا ننوي الرجوع غدا» . استغرب وقال «لا يمكن - فالشيخ شخبوط - سوف لا يسمح لكم بالمغادرة الا بعد ثلاثة ايام» طلبنا منه ان يعتذر لنا من الشيخ

شخبوط لاننا ملزمون بأمور ضرورية في دبي . وعد بمكالمة الشيخ ولما عدنا اليه في المساء قال « ان الشيخ رفض السماح لكم بالسفر غدا» . ما العمل؟ المعيشة صعبة من جوانبها المختلفة ، كما ان نومنا تلك الليلة لم يكن مريحاً . فاتخذنا قراراً لم يكن لنا بد من اتخاذه : سرنا في سيارتنا كأننا نستطلع نواحي الجزيرة حتى وصلنا الى الجسر الموصل الى البر الرئيسي وهنا اطلقنا العنان لسيارتنا بكل سرعتها الممكنة متوجهين الى دبي (١) .

بعد سنتين او نحوهما من هذا التاريخ توجهت الى ابوظبي للمرة الثانية بصحبة مدير محلنا بدبي والسائق الذي يعرف الطريق الذي لازال بدون تعبید ، وكنت في ضيافة الشيخ شخبوط لعدم وجود فنادق . هذه المرة انزلنا في بيت حديث مصنوع من الخشب من البيوت التي تستورد جاهزة من اوروبا او امريكا وكان بجواره بيت آخر مماثل ، والاثنان مفروشان بفرش مناسب . وحال استقرارني بالبيت المذكور فاجأني الخادم بكأس كبيرة مملوءة بماء كدر غير صاف . قال الخادم وهو يناولني الكأس «تفضل اشرب» ثم أردف قائلاً «أمرني الشيخ شخبوط أن أقدم لك هذا الكأس لتعرف اننا اكتشفنا الماء في منطقتنا» (وكانوا فيما مضى يأتون بالماء من محلات بعيدة او من دبي) . تظاهرت اني شربت من الكأس وامتدحت طعم الماء . ولما زرت الشيخ شخبوط كان اول سؤال سألني «هل ذقت الماء الذي اكتشفناه؟» وكان في غاية السرور والابتهاج بهذا الحدث ، سألته عن موقعه ومكانه وهنأته على هذا الاكتشاف . في هذه الزيارة لاحظت تغيراً في الامارة ، فهناك حركة تعمير وتجارة ونشاط ملحوظ . سألني الشيخ شخبوط عما اذا كنا ننوي فتح فرع في ابوظبي اجبته بالايجاب . بقينا يومين ثم عدنا الى دبي وكنت قد صممت على فتح فرع لنا هناك .

(١) اجل هكذا كانت ابوظبي في ذلك الوقت من الزمان غير ان التطور السريع الذي طرأ عليها في مدة وجيزة والانجازات الهائلة التي اتخذت في عهد صاحب السمو الشيخ زايد غير تلك البقعة الصحراوية الجرداء وجعل منها مدينة حديثة جميلة فهي اليوم بحدائقها الجميلة الواسعة وعماراتها الشاهقة وميادينها الفسيحة تضاهي اجمل المدن المتقدمة في هذه المنطقة بل ومناطق العالم الاخرى ولم يقتصر ذلك التقدم على مدينة ابوظبي بل شمل مدينة العين ونواحي اماره ابوظبي الاخرى .

بعد مدة قصيرة ارسلت مدير محلنا بالمنطقة الى ابوظبي ليخبر الشيخ شخبوط عن عزمنا على فتح الفرع وايضا لاختيار الموقع، فما كان منه، رحمه الله، الا ان قال له «تعال معي». وأخذته في صحبته الى السوق. وكان بها عدد من الدكاكين المستحدثة والمملوكة لسموه وكانت جميعها مشغولة ومؤجرة. وقال له «اختار أياً منها ونحن نأمر بتفريغها لكم». تردد وكيلنا في الاجابة وقال «اترك الامر لسموك». بعدها تقرر احضار البضائع والسيارات ولما صفت في مواضعها واخبر المدير سمو الشيخ بذلك قال سموه «انا الذي سأفتح المحل وأول زبون يكون في دفتركم هو اسمي». فعلاً توجه سمو الشيخ شخبوط وحاشيته الى المحل وبعد تناول المرطبات امر المدير بأن يقيد في دفتره اول طلب ثم تبعه بعض الانجال والحاشية ف سجلوا طلباتهم. مكرمة جميلة من سموه رحمه الله وانجالة وهكذا تم فتح الفرع في ابوظبي.

بعد تدفق النفط انتعشت الحركة التجارية في ابوظبي وزاد اقبال الناس عليها، فالتحذت حكومتها قرارا يفرض على كل تاجر غير ظياني ان يشارك مواطنا ظيانيا باعطائه ٢٥ في المائة من الارباح. فاضطررنا لمشاركة احد المواطنين تمشيا مع النظام الجديد. ورغم اننا التزمنا بالقانون واخذنا شركاء ظيانيين الا ان هذه الشراكات لم تكن موفقة وأدخلتنا في محاكم ومتاعب لانزال نتألم من عواقبها حتى يومنا هذا.

مدينة العين:

اثناء وجودي في الامارات قمت بزيارة مدينة العين بصحبة مدير محلنا بدبي في احدى صيفيات الستينات من (١٩٦٠م). وكان يقطنها آنذاك سمو الشيخ زايد قبل توليه الحكم والرحوم الشيخ محمد بن خليفة آل نهيان. كما التقيت فيها بالرحوم الشيخ سعيد ابن الشيخ شخبوط، كانت الطرق وعرة ورملية في ذلك الزمان، غير معبدة، فمن دبي نسلك الطريق في سيارة صالحة للسير في الرمال الى (ابوظبي) ثم منها نخرج على طريق هو اغزر رملا واصعب عبورا الى العين، وبالرغم ان سيارتنا ٤ × ٤ تصلح للسير فوق الرمال الغزيرة، الا

اننا اضطررنا للتوقف اكثر من مرة لتخليصها من التغريز، عندما شارفنا مدينة العين، او قل قرية العين آنذاك، وجدنا عند مشارفها سرحا من الاغنام خففنا السير لتتحاشى الاصطدام بها، في هذه الاثناء شاهدنا عن بعد عددا من الرجال وعند الوصول اليهم كان من بينهم المرحوم الشيخ محمد بن خليفة آل نهيان نزلنا من السيارة للسلام عليه اذ كانت بينه وبين والدي معرفة قديمة، كما كنت قد التقيت به من قبل في دبي او البحرين، استقبلنا، رحمه الله، استقبالا طيبا ودعانا للنزول في ضيافته.

لم يكن بالعين آنذاك فنادق فتبعناه الى مسكنه في العين ووصلنا المضيف مع غروب الشمس. أمر رحمه الله، ان يعد لنا مكان في الفضاء خارج المجلس اذ كان الوقت صيفا فالجلوس والنوم عادة يكون في الفضاء لعدم وجود مكيفات. وما أعد لاقامتنا عبارة عن عدد من الحصر غطي غالبيتها بالسجاد العجمي، بعد العشاء احضر الينا فراشان لي وللمدير اما السائق فنام على طarf الحصر. اثناء نومنا كان يوقظنا بين فترة واخرى حركات خفيفة في الرمال المحيطة بنا، كانت تلك الحركات الخفيفة حشرات برية اغلبها عقارب. وكنت بلاشك خائفا من لدغة عقرب ولكن خوفي لا يعادله شيء بالنسبة لخوف مدير محل دبي المرافق لي فقد بقى واعيا طوال الليل رغم عناء السفر الشاق الطويل.

في الصباح توجهنا الى (مشبر) جدول متفرع من عين قريبة من القرية لتتوضأ ونغتسل فيها وجدنا ماءها صافيا نظيفا. لم يكن المشبر عميقا ولكن ما يكاد المرء يضع رجله فيه حتى تسارع الاسماك الصغيرة من نوع «العفاطي» المعروفة لدينا بالبحرين لقرص رجله وساقه قرصا موجعا.

شكرنا المرحوم الشيخ محمد بن خليفة على اكرامه ووفادته وتوجهنا لزيارة سمو الشيخ زايد وبقية الامراء.

كان الشيخ زايد قبل اعتلاء عرش ابوظبي يقضى اغلب اوقاته في العين. وكان يهتم بالزراعة وتطويرها. وكنا نورد لمزارع العين مضخات سحب الماء ونجهزها بما تحتاج اليه من ملحقات. وكوننا وصلنا العين رأينا من الواجب

زيارة الشيخ سعيد بن شخبوط ابن الحاكم الاكبر، وكانت بيننا وبينه معرفة سابقة، استقبلنا الشيخ سعيد، رحمه الله، استقبالا حارا وألح مصرّاً على دعوتنا على العشاء تلك الليلة. بعد العشاء استأذناه للمغادرة والرجوع الى دبي، ألح في بداية الامر واصر على بقاءنا والمبيت في كنفه ولكنه بعد التماسنا منه أذن لنا. كان سائقنا من اهالي عمان يدعى «عبود» واشهد بالله انه سائق ماهر «دليل».

تركنا العين حوالى الساعة الثامنة مساء ومضى هذا السائق في تلك الليلة المظلمة يسير في هذه الصحارى المترامية الاطراف مقتحماً تلال الرمال الكثيفة دون توقف او تردد الى ان وصلنا الى دبي في الساعة الثانية والنصف صباحاً، وقد انهكنا التعب من ثقل السيارة واهتزازها ناهيك عن القلق والخوف من صحراء مهلكة.

رأس الخيمة:

في احدى صيفيات (الستينات - ١٩٦٠م) قمت وبصحبتى عائلتى وبعض اولادى بزيارة رأس الخيمة بدعوة من حاكمها سمو الشيخ صقر القاسمي. غادرنا دبي صباح ذلك اليوم في سيارة لندروفير كبيرة مارين في طريقنا بالمشيخات التى في طريقنا واحدة واحدة. ولم يكن الطريق معبداً آنذاك فكنا نسير في الغالب بمحاذاة الساحل وفي كثير من الاحيان تلامس سيارتنا ساحل البحر. وقبل وصول حدود رأس الخيمة تغير اتجاه مسيرنا الساحلي الى السير في الرمال الكثيفة.

استقبلنا الشيخ صقر وحاشيته واهله استقبالا كريماً وأكرمونا غاية الاحرام جزاهم الله خيراً، ولم يكتفوا بذلك بل فرجونا على جميع نواحي الامارة وبالخصوص المزارع والبساتين حولها. وبعد تناول العشاء استأذنا بالرجوع وتوجهنا الى دبي.

لم يكن سائقنا هذه المرة «عبود»، «الدليل» الذى ذكرته في زيارتنا للعين بل شخص آخر.

ففى اثناء سيرنا وقد قطعنا نصف المسافة تقريبا الى دبی لاحظت وانا اطل من نافذة السيارة ان الارض التى تسير عليها سيارتنا غير الارض التى اعتدنا طرقتها . امرت السائق بأن يتوقف وبدأت احاوره عن طريق سيره، اراد ان يقنعنى انه يسير في الاتجاه الصحيح ولكن كان عندي احساس غريب اننا لم نكن كذلك . نزلت من السيارة وكانت الليلة مظلمة وبدأت اتطلع الى السماء الصافية، وبحكم خبرتى بمواقع النجوم من خلال ممارستى السفر بالبحر، لاحظت اننا نسير باتجاه الجنوب أي نحو عمق الصحراء تاركين الساحل خلفنا . ولو واصلنا في هذا الاتجاه لتعرضنا لخطر محقق خاصة وان كمية البنزين الموجودة بخزان السيارة آنذاك محدودة لا تكفى الا لايصالنا الى الشارقة او دبی . عندها امرت السائق بأن يقفل راجعا نحو الشمال باتجاه الساحل وظللت اوجهه بالسير مراقبا نجوم «الياء والفرقد والنعر» في السماء وهى النجوم الشمالية في البوصلة البحرية والتى تسمى بهذه الاسماء في عرف البحرين والخليج . وبعد السير مدة ليست بالقصيرة في هذا الاتجاه اعترضتنا سيارة متجهة نحو الشرق سألنا سائقها عن مكاننا واتجاهنا اجاب انكم الآن متجهون نحو ام القيوين على ساحل البحر . عرجنا الى اليسار حيث وصلنا الى الشارقة وسيارتنا تكاد ترتشف آخر نقطة من البنزين . حمدنا الله ان هدانا لذلك وحمانا من خطر هلاك محقق .

بقى الحال على احسن ما يرام الى ان تمرض المرحوم الشيخ راشد وساءت صحته، وادخلت في تلك الفترة انظمة جديدة في دبی حدث من نشاطنا وتعرضت لمصالحنا ثم تبعها الاستيلاء على وكالاتنا رغم المحاولات المتكررة للتفاهم الودي مع ذوي الشأن او الراغبين في الاستحواذ عليها . وقد سعينا وطرقنا ابوابا مختلفة متعددة حكومية وتجارية للتفاهم وايقاف هذا التيار ولكن مع الاسف لم نفلح .



صاحب السمو الشيخ خليفة بن سلمان آل خليفة
رئيس الوزراء الموقر

يجدر بي هذه المناسبة ان اذكر موقف صاحب السمو الشيخ خليفة بن سلمان آل خليفة رئيس الوزراء - اعزه الله وأيده - واشيد باريحيته الكريمة اذ انه ما كاد يعلم بما يدبر لنا حتى تكرم سموه وبعث مندوبا من مكتب سموه الى ولاية الامور بدبي يناشدهم التفاهم الودي معنا، ثم اتبع ذلك بابتعاث وزير من وزراء الدولة الى ابوظبي لنفس الغرض. ومع ان مسعى المناشدين - ويا للأسف - لم يكمل بالنجاح الا ان تفضل سموه واهتمامه بهذا الامر كان لهما الوقع الجميل في نفوسنا والامتنان العظيم لسموه منا - جزاه الله خيرا واطال عمره.

وهكذا اسدل الستار على تجارتنا الواسعة في الامارات بعد ان مضى عليها اكثر من اربعة عقود من الزمن.

قطر:

بعد اختلافنا مع الدرويش وتفرد به بوكالة اوستن صفحة (١٩٧) التفتنا الى نشر سيارات اللاندروفر في قطر واتفقنا مع احد الشيوخ من آل ثاني اتفاق شراكة في سيارات اللاندروفر والبضائع الاخرى كالثلاجات والمضخات وغيرها.

استمرت شراكتنا عدة سنوات وهي تسير على احسن ما يرام. ولما كانت الادارة هي مسئوليتنا حولنا من البحرين مديرا للمحل ثم اتبعناه بآخر مواصلين المسيرة الموفقة. وقد حصل في هذه المدة بعض التعرض والتدخل من حاسدين او طامعين الا اننا كنا على استعداد لمقابلة ذلك، سيما وان صلتنا مع الشركات المصدرة كانت قوية وراسخة. وانهم بحكم ما جرى من متاجرة بيننا وبينهم ادركوا قوة نشاطنا وجدارتنا لتحمل المسؤولية، كما ان زيارتنا المتكررة لهم والاتصال الشخصي بمدراءهم، عزز هذا الترابط ووثق الصلة معهم ناهيك عن تجارب التدخلات الفاشلة التي مرت بهم في الماضي والتي اخذوا منها دروسا كافية.

نشط عملنا في قطر مع شريكنا وتدرج واضفنا عليه وكالات اخرى وبقي سيره مطردا حسنا حتى جاء الوقت الذي تمرض فيه شريكنا بسبب حادث مروري أدى الى شل حركة اتصالاتنا التجارية معه فتخرجنا من الشراكة معه بصورة تفاهم ودية ولله الحمد والمنة. شاكرين له تعاونه ووفاءه.

الكويت:

ذكرت فيما سبق ان وكيل اللاندروفر في الكويت كان الغانم، اما وكالة اوستن فقد سبق ان تحدثت عنها في مكان آخر (١). يظهر ان الغانم وهم شركة كبيرة تمثل شركة (G.M) العالمية لم تكن تهتم بتسويق اللاندروفر. ونظرا لما قمنا به من تسويق اللاندروفر في مناطق الخليج الاخرى وانتشارها عرضت علي شركة الروفر في عدة مناسبات ضم الكويت الى منطقتنا ولكنني رفضت لما نتمتع به مع جماعة اخواننا الغانم من صداقة ومودة. ولانه ليس من مبدئنا

(١) صفحة (١٩٣) تحت عنوان قصة الحصول على الوكالات الخ

التعرض لما في يد الآخرين . وبعد مدة قصيرة قال لي ممثل شركة الروفر «ان جماعة الغانم قد اظهروا عدم رغبتهم في مواصلة استيراد هذه السيارات» اجبته لا يقنعني كلامه الا اذا احضر الي كتابا من الغانم يثبت ما يقوله . لكنه بعد ايام احضر كتابا بهذا المعنى . عندها قلت له «اسمح لي ان افكر» . اتصلت بأخي قاسم بالكويت تلفونيا واخبرته بما جرى وطلبت منه ان يذهب الي السيد يوسف الغانم يبلغه سلامي وتحياتي ويسأله اذا كان الامر كذلك . فعلاً ذهب وكان جواب الغانم «اننا فعلاً لا نرغب ونفضل ان تكون عندكم بدل ان تكون عند غيركم» . عندها قبلنا بأخذ الوكالة للكويت وباشرنا باستيراد متوجاتها التي لقيت رواجاً كبيراً .

السعودية:

انشأنا فرعنا التجارى في الخبر بالسعودية في الخمسينات (من ١٩٥٠م - ١٩٦٠م) لكونها آنذاك المركز الرئيسي في المنطقة الشرقية . ومع اننا بعنا فيها عدداً من سيارات اللاندروفر وكذلك بضائع مختلفة ، الا ان الهدف الاكبر كان هو البيع على شركة ارامكو . فقد كانت هى المشترية الكبرى في ذلك الزمان في المنطقة . وهنا اوجه القارىء الى بند خاص في هذه الذكريات عن مغامرتنا مع شركة ارامكو ، تحت عنوان ارامكو واللاندروفر ، وما توصلنا اليه من نجاح مرموق ، حمداً لله على ذلك . صفحة (٢١٩)

وما دمت في موضوع السعودية ، اود ان اشير الى واقعة حدثت خلال تلك السنوات : فكما هو معلوم لا يجوز لأي شخص غير سعودي ان يمتلك ملكاً فيها . وفي أحد الايام عرض علي دلال قطعة ارض على شارع الامير خالد بالخبر وجدها تصلح لتكون معرضاً لسياراتنا وبضائعتنا ، كما يمكن ان تشيد عليها بناية ذات طوابق متعددة . تفاهمت مع صاحبها بواسطة الدلال على الثمن وعرضت على والدي ، رحمه الله ، ان نرسل برقية لجلالة الملك فيصل ، طيب الله ثراه ، نستأذنه شراءها . ارسلنا البرقية ، وبعد بضعة ايام . وبينما كان مدير محلنا بالخبر وهو شاب من جماعتنا يباشر عمله المعتاد ، اذ بسيارة «بك اب» تقف امام المحل بالخبر ، نزل منها «فداوي» شرطي مثقل بسلاحه دخل المحل

وقال بلهجته النجدية «انت ولد الزياتي» اجابه المدير مرتبكا بالايجاب فقال الفداوي «تعال معنا في البك اب» اضطرب المدير وسأل عما حدث منه من غلط غير ان الفداوي لم يجبه على استفهامه رغم تكراره السؤال وسار به في البك اب لدار الامارة بالدمام . وهناك وهو في حالة فزع وخوف وجهه الى غرفة معينة في الامارة حيث وجد الموظف المختص محاطا بعدد من المراجعين فلم يتمكن من ان يجد السبيل للوصول اليه وللاستفسار منه عن سبب استدعائه المفاجيء . وبعد ان شق طريقه وتوصل للشخص المختص قال له الموظف هذه العبارة «وصلت الامارة برقية من جلالة الملك تأمر بتسجيل الارض التي طلبتم شراءها في الخبر والمطلوب منك ان تحضر في الحال الاوراق والوثائق الخاصة بها» اجاب المدير «اني لا اعرف شيئا عن ذلك ولا توجد عندي اوراق ووثائق ربما هذا جرى عن طريق البحرين رأساً» فقال الموظف «إذا اذهب للبحرين وأت بها» في الحال توجه المدير الى البحرين، وعند التقائه بي كان اول كلمة قالها لي وهو في حالة فزع وارتباك «انقلوني من الخبر» (قبل ان يخبرني او يحدثني بما جرى له وما هي الاسباب والدواعي لطلبه هذا). حاولت تهدئته وطمأنته واستيضاح الامر منه ولكنه اصر على النقل فاضطررنا لنقله وابداله بشخص آخر يحل محله . اما الارض فسجلت باسمنا ونعتبرها مكرمة من مكارم المغفور له جلالة الملك فيصل طيب الله ثراه .

أرامكو والاندروفر:

عند انتعاش نشاط ارامكو بالسعودية في الخمسينات (١٩٥٠م - ١٩٦٠م) اردت الدخول في التعامل مع هذه الشركة الكبيرة عن طريق بيعها سيارات او معدات، فعرضت عليها سيارات لاندروفر لصلاحياتها للصحاري والمناطق الرملية ولكن الشركة، وهي امريكية متعصبة لامريكيتها، لم تر ان هذه السيارة صالحة لعملهم وبالاقتناع والتقني امكنني التوصل معهم الى ما يلي:

عرضت عليهم ان اسلمهم سيارة لاندروفر لتجربتها واستعمالها لمدة شهر كامل دون أي مقابل ودون ضمان او مسؤولية، وبعد شهر، لهم الخيار في شرائها او ارجاعها لنا او حتى تركها محطمة مرمية في الصحراء .

استغربوا هذا الاقتراح وترددوا في بادئ الامر ولكنهم تحت إلحاحي قبلوا به فأرسلوا الى البحرين مندوبين عنهم يحملون ورقة تعهد منا بعدم مسئوليتهم اذا قبلوا هذا العرض. ولما طلب المندوبان التوقيع على التعهد وقعته بكل اطمئنان. سلمنا على اثر ذلك سيارة لندروفر للشركة للتجربة. بعد مضي شهر على ذلك وصلنا شيك بثمن السيارة. سررت بذلك اتم السرور، ولكن سرورى هذا سرور البداية فهو لا يكفى لان نقف عند هذا الحد. فاتجهت الى مفاحتهم لشراء عدد من هذه السيارات، وبعد المفاوضة معهم توصلنا الى موافقتهم على شراء ١٣ سيارة، بعد ان اشترطوا ادخال بعض التعديلات عليها، واعتبار هذه الطلبية بداية لطلبات كبيرة اذا نجحت. كما اشترطوا توجيه طلبهم هذا عن طريق مكتب مشترياتهم في لندن.

اتصلت بشركة روفر اخبرهم بما توصلنا اليه ثم توجهت الى لندن لمتابعة هذا الموضوع الهام. ولما قدم مكتب مشتريات ارامكو بلندن الطلب الى شركة روفر محتويا التعديلات المطلوبة اتصل بي هاتفيا مدير المبيعات بشركة روفر، وكنت آنذاك في لندن، وكان هذا المدير من الانجليز القدامى المتفاهرين والمتباهين بانجليزيتهم وصناعتهم. وقال «ان شركتنا لا تستطيع ان تجرى هذه التغيرات والتعديلات واننا سنرفض الطلب». رجوته ان لا يفعل واخبرته اني متوجه الى برمنجهام حيث يقع مصنع الروفر لمقابلته والتباحث معه حول هذا الموضوع. اجتمعت بالمذكور في مصنع الروفر ببرمنجهام وبعدما اطلعنى على طلبهم قال لي بالحرف الواحد «ان الذى جاء به هذا الطلب امريكي وانه عندما تسلم الطلب منه، احس ان شعر رأسه قد انتصب واقفا - (تعبير انجليزي) بمعنى انه لا يطيق الامريكيين» جرت هذه الحادثة بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية وكان الحرب قد تركت أثارا نفسية لدى الاوروبيين والانجليز بالذات تجاه امريكا والامريكيين. فقبل الحرب كان لدول اوروبا وخاصة انجلترا مركز عالمي كبير وصوت رفيع مسموع، ولكن دخول امريكا بعديدها وعددها الهائلة وتأثير ذلك على نجاح الحلفاء في الحرب، خلف في نفوس الاوروبيين الحسد والحقد والكراهية لهم. وكيف لا يكون ذلك؟ اذا ادركنا انه

في الوقت الذي يتمتع الموظف او الجندي الامريكى القاطن في القواعد البريطانية بكل انواع الملذات من اكل وشرب وكساء وترويح، يفتقر المواطن الانجليزى للحاجيات الضرورية لمعيشته ومعيشة اولاده. فقد كان سلاح التموين والتقنين مسلطا على رقاب الشعب الانجليزى في ذلك الوقت. فعلى سبيل المثال، يخصص للشخص الواحد بيضة واحدة بالاسبوع واقل من نصف رطل لحم، وتنطبق هذه النسبة كذلك على انواع الاكل الاخرى اما الكماليات والملابس، فكان لا يحق للشخص سنويا شراء غير بدلة واحدة تحتوى على جاكيتة وبنتلون فقط، او بدل ذلك قميص وفانلة وما شابه ذلك. اضحكتنى عبارة المدير، وفهمت لماذا يكره الامريكان. قرأت الطلب وكان مكتوبا على ورقة رسمية طبع خلفها شروط متعددة بعضها مستحيلة التنفيذ ولكنها من الشروط التى عادة تكتب في شهادات التأمين او بوليصة الشحن ثم سألت المدير «كم يقدر تكليف هذه التغيرات» قال «حوالى ٣٠٠ الى ٤٠٠ جنيه»، قلت «حسنا، انا مستعد لدفع هذا المبلغ وارجو قيده علينا». ثم اخذت التلفون واتصلت بمكتب مشتريات ارامكو بلندن طالبا موعدا للالتقاء بمديره.

حدد الموعد وفي اثناء الزيارة وجدت المسؤولين الامريكيين بسطاء متعاونين. ولما استفسرت منهم عن الشروط المشروطة في ظهر طلبهم قالوا «لا تهتم بهذه الشروط فهى مطبوعات لطلباتنا بامريكا ولن نطبقها هنا». عدت الى برمنجهام واوضحت الامر لمدير المبيعات بشركة روفر فقال «اني لازلت غير مطمئن لما يوعد به هؤلاء الامريكان». قلت «اني اتعهد بتحمل المسئولية فاكتب تعهدي هذا في كتاب سأوقعه لك» قال «اني اعتبر وعدك الشخصي كافيا ولا حاجة لكتابته وسنباشر في تنفيذ التغيرات والتعديلات حسب طلبهم للثلاث عشرة سيارة ولو اني غير مقتنع وراض عن اجرائها».

اجريت التعديلات المطلوبة على الثلاث عشرة سيارة وشحنت الى ارامكو بالسعودية، وبعد استعمالها وتجربتها لمدة قصيرة ثبتت لهم صلاحيتها وكفاءتها فقدموا طلبا يبلغ مجموعه ٢٥٠ سيارة ثم أتبعوه بطلب اكبر مقداره ٣٠٠

سيارة، فاصبح مجموع مشترياتهم من سيارات لندروفر ٥١٤ سيارة. ولولا المجازفة في البداية بسيارة واحدة ثم المتابعة الشخصية لما امكن بيع هذا العدد الكبير من سيارات اللاندروفر لأرامكو، علاوة على انتشار بيع هذه السيارات في السعودية. كان تمثيلنا لسيارات الروفر يشمل المنطقة الشرقية فقط بينما يمثلها في المنطقة الغربية تاجر آخر. اكتشفنا ان سلطات الجمارك في المنطقة الشرقية كانت تتقاضى منا رسوما اكبر مما تتقاضى من الوكيل في المنطقة الغربية، فقمنا على اثرها بتقديم احتجاج على هذه التفرقة وبعد ان استغرق النظر في هذا الامر وقتا طويلا، وافقت سلطات الجمارك على تخفيض الرسوم الجمركية على سيارات اللاندروفر في المنطقة الشرقية لتعادل الرسوم التي تستوفي في المنطقة الغربية، ومع اننا طالبنا اعادة ما استوفي منا من زيادة في الماضي إلا اننا مع الاسف لم نوفق لذلك.

مرت الايام فاتخذت الحكومة البريطانية قرارا بدمج الشركات الثلاث اوستن وروفر وليلاند وتحويلها الى شركة واحدة تحت اسم «بريتش ليلاند» كما قررت تولي ادارتها وجعلها تحت اشرافها. في هذه الاثناء اتفقت بعض الدول العربية على انشاء مصنع في مصر لصنع سيارات حربية من طراز الجيب والاندروفر، ولما كان الجيب الامريكى واقعا تحت نظام المقاطعة العربية لاسرائيل، رأيت من المناسب اغتنام هذه الفرصة الذهبية السانحة، وخاصة وان شركة بريتش ليلاند في ذلك الوقت كانت في حالة مالية عسيرة، فاتصلت بالشركة واقنعتها بالاتصال بالحكومة المصرية والتفاوض معها على صنع سيارات اللاندروفر في مصر. وكنت اتابع مجرى المفاوضات. ولما طال الاخذ والرد، توجهت مرة اخرى الى انجلترا لمتابعة الموضوع والاستفسار عن العوائق المحيطة به. فعلمت ان المفاوضات متوقفة بسبب اختلاف بين المفاوضين من الطرفين. فالحكومة المصرية طلبت من الانجليز المشاركة بقسم ولو بسيط في رأسمال المشروع، وبريتش ليلاند، او بعبارة اخرى الحكومة البريطانية، لا تريد المساهمة المالية وتحدد مساهمتها فقط بالتكنولوجيا والادارة. ولما سألت بريتش ليلاند عن مقدار المبلغ المطلوب منهم للمساهمة، اجابوا

حوالي عشرة ملايين جنيه . فبادرت عندها بأن عرضت عليهم امكانية الحصول على قرض لهم من البنوك الخليجية بهذا المبلغ . استحسنوا العرض وطلبوا التمهّل لمراجعة الحكومة البريطانية التي مع الاسف تباطأت في التجاوب مما اتاح الفرصة لوكيل سيارات الجيب الامريكية لان يعرض تصنيع الجيب الامريكي . ومع ان الجيب الامريكي مقاطع الا ان المقاطعة تستثنى طلبات الجيوش العربية اذا لزم الامر فضاعت علينا الفرصة ولكن لم يمض وقت قصير حتى تعثر اتفاق الدول العربية للتصنيع الحربى في مصر بسبب زيارة السادات لاسرائيل ومقاطعة مصر من قبل الدول العربية - عندها سميت الى خطة بديلة لزيادة ترويج سيارات اللاندروفر فعرضت على الشركة تجميعها، وربما تصنيعها كاملة فيما بعد، في منطقتنا بما فيها السعودية . استحسنوا الفكرة فأجريت اتصالا بوزارة الدفاع السعودية، ولما لمست الاستحسان منهم للفكرة، قمت بزيارة السعودية وتشرفت بمقابلة صاحب السمو الامير سلطان وزير الدفاع والمفتش العام وبعض المسؤولين لهذا الغرض، ثم اتصلت ببريتش ليلاند لارسال مندوبين عنها . ومع انهم قدموا دراسات مبدئية الا انهم مع الاسف لم يبدوا اهتماما كبيرا بالمتابعة . ويرجع ذلك أولاً لانشغالهم بالتغيرات الكبيرة التى طرأت على ادارة شركة بريتش ليلاند والتى أدت الى تغيير كلي للموظفين والاداريين الذين شرعوا وباشروا النظر في هذا المشروع، وابداهم باشخاص لم يبدوا اهتماما بالموضوع، وثانيا تدهور وضع الشركة المالي وارتباك اعمالها وعليه خسرنا الفرصة الثانية .

الترويج والدعاية:

ذكرت آنفا بعض الجهود التى بذلناها لترويج سيارات اوستن واللاندروفر في البحرين والخليج . هذه السيارات التى لم تكن معروفة بالمنطقة من قبل ولم يقتصر عملنا على فتح معرض لها او اعداد كراجات لصيانتها بل طرقتنا سبلا اخرى جانبية لزيادة البيع والترويج اذكر منها على سبيل المثال ما يلى :

بالنسبة لسيارات وشاحنات اوستن درجنا بين حين وآخر الى اقامة دعوات تكريم لاصحاب ومستعملى تلك السيارات كما كنا نغتنم فرصة حلول رأس

السنة الميلادية فنوزع على اصحاب تلك السيارات بعض هدايا الدعاية المختلفة. كما انشأنا ورشة خاصة لبناء باصات على هياكل لوريات خاصة استوردناها من شركة اوستن حتى اصبحت غالبية الباصات المستعملة في ذلك الزمان تحمل اسم «اوستن».

وفي يوم من الايام خطرت لي فكرة تساعد على زيادة الترويج والبيع وهي تأجير السيارات على بعض الشركات التي كان عددها محدودا في ذلك الزمان فبدأت الاتصال بشركة نفط البحرين (BAPCO) ولما التقت بمدير نقلاتها - وكان امريكيا - رحب بهذه الفكرة فاتفقنا مع الشركة واجرنا عليها ما يزيد على ١٣٠ سيارة غالبيتها بك اب لندروفر. واستحدثنا ورشة ليلية خاصة لصيانة هذه السيارات واصلاحها خلال الليل لتكون جاهزة للاستعمال صباح اليوم التالي - كما ركنا لهم عددا من السيارات الاحتياطية لتكون تحت تصرفهم والاستفادة من استعمالها عند الحاجة. وقد وفقنا في هذه التجربة توفيقا كبيرا، وهذه كانت بداية وأساسا للتفكير والاضطلاع بفكرة تأجير السيارات للشركات التي لم تكن معروفة او متبعة في المنطقة.

المعرض التجاري الزراعي:

ومن المساعي والنشاطات التي بذلناها للترويج اشتراكنا بنطاق كبير في المعرض التجاري الزراعي الذي كان ينظم في البحرين سنة بعد سنة خلال ثلاث سنوات متتالية في اوائل عام ١٩٥٠م.

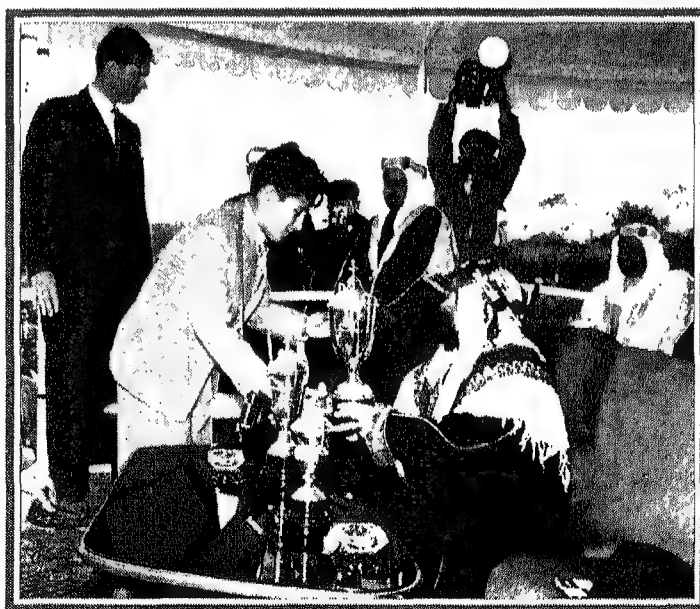
كانت دائرة الاعلام باشراف مستر جيمس بلكريف ابن مستشار حكومة البحرين، هي المسئولة عن التحضير للمعرض المذكور والذي درج على اقامته في حديقة الاندلس بالمنامة، عارضة على التجار والمؤسسات الاشتراك والمساهمة فيه على ان يتكفل كل عارض بتشيد معرضه على حسابه الخاص.

وتشجيعا للمنافسة بين العارضين خصصت جوائز للمتفوقين منهم تحدد درجاتها لجنة حيادية، ونحمد الله ان كان لمعرضنا طيلة الثلاث سنوات قصب السبق فقد احرزنا الجائزة الاولى لستين متاليتين والاوى ايضا للسنة الثالثة بالمشاركة مع معرض آخر.



في الوسط صاحب السمو المغفور له الشيخ سلمان بن حمد آل خليفة وعن يمينه صاحب السمو المغفور له الشيخ عبدالله بن عيسى آل خليفة وعن يساره المؤلف راشد الزياني في جناح شركة عبدالرحمن الزياني وأولاده في معرض البحرين التجاري الزراعي

صاحب السمو المغفور
له الشيخ سلمان بن حمد
يتكرم بتسليم خالد
راشد الزياني كأس
الجائزة الأولى لأفضل
جناح في المعرض
التجاري الزراعي، كما
يظهر في وسط الصورة
صاحب السمو الشيخ
عيسى بن سلمان آل
خليفة وعن يساره
صاحب السمو الشيخ
محمد بن سلمان آل
خليفة وعن يمينه السيد
جيمس بلكريف



وأذكر انه في أحد أيام تكريم الفائزين في المعرض كنت أراقب عن بعد ما يجري على منصة التكريم وإذا بي أفاجأ بولدي خالد وكان عمره آنذاك لا يتجاوز الرابعة عشر عاماً، وهو يتسلم من يدي صاحب السمو الشيخ سلمان بن حمد آل خليفة كأس الجائزة الأولى لأفضل جناح في المعرض التجاري الزراعي، بينما تبدو علامات عدم الارتياح على قسما وجه السيد جيمس بلكريف. فأتضح فيما بعد بأن مكبر الصوت قد تعطل أثناء مناداتهم باسم شركتنا وعندما لم يتقدم أحد لاستلام الجائزة وحيث أن ولدي خالد كان جالساً برفقة عدد من الصبية في الصف الأمامي المقابل للمنصة أوماً إليه صاحب السمو الشيخ سلمان داعياً إياه لاستلام الجائزة.

وكالة رولز رويس

لم تكن سيارات رولز رويس منتشرة في البحرين أو الخليج قبل سنوات الحرب العالمية الثانية. وبطبيعة الحال لم يكن لها وكيل يمثلها في المنطقة. في أوائل عام ١٩٥٠م وكنت عازماً على التوجه الى بريطانيا طلب مني المرحوم الشيخ دعيج بن حمد آل خليفة أن أساعده في الحصول على قطع غيار لسيارة رولز رويس كان قد اقتناها. بعد وصولي الى لندن طلبت تحديد موعد لمقابلة مدير شركة رولز رويس للاستفهام منه عن كيفية الحصول على قطع الغيار المطلوبة. وعند الالتقاء به وجدته منفعلاً ينتقد بشدة البحرين والخليج ويظهر عدم رضاه من زيارة قام بها مؤخراً للبحرين. استغربت انفعاله وتحامله هذا فالانجليز خاصة وكبار المقام والسن منهم يتصفون بحسن الخلق والمجاملة. طلبت منه أن يفصح لي عن السبب الذي دعاه الى هذا التهجم والانتقاد فقال «قبل اسبوعين زرت البحرين بغرض تسويق سياراتنا في المنطقة وتعيين وكيل يمثلنا فيها. زرت عدداً من وكلاء السيارات عارضاً عليهم الوكالة فاذا بهم يعتذرون عن قبولها وقد علل بعضهم اعتذاره بقوله «كم أبيع من هذه السيارات في السنة - واحدة - اثنتان - لا أرى جدوى من ذلك» سألته عن أسماء الوكلاء الذين زارهم فلم يكن اسماً من بينهم، عندها قلت له لماذا لم تزرنّا وتعرض علينا الوكالة شأننا شأن الآخرين. فنحن وكلاء

سيارات أوستن وروفر وحجم مبيعاتنا من هذه السيارات كبير. أجب اني لم أكن أعرف ذلك ولما شرحت له نشاطنا في عمل السيارات وتفوقنا فيها غير لهجته وانفعاله وبدا لطيفا متواضعا وقال هل يعني هذا أنكم ترغبون في تسويق سياراتنا. أجب: «قد يكون ذلك ولكن بشرط التجربة أولاً وذلك ان نورد منها سيارة واحدة أو اثنتين ونرى مدى رواجها في أسواقنا». قال: «أوافق على ذلك وأرجوك أن تتفضل وتقبل دعوتي لك للغداء بضيافتي هذا اليوم لنواصل الحديث». وصلت السيارتان المقترحتان الى البحرين. ومن فضل الله وفقنا في بيعهما في الحال. فقمنا بإبرام عقد الوكالة مع رولزرويس من ذلك التاريخ ووفقنا في مبيعاتنا منها في البحرين والخليج. وكما يقال أن لكل شيء سبباً، انه لم يكن يدور في خلدنا في ذلك الوقت اقتناء وكالة رولزرويس وأنه لولا بركة المرحوم الشيخ دعيج طيب الله ثراه وتكليفه لي بالحصول على قطع غيار لسيارته لما فتح المجال للحصول على هذه الوكالة.

عند وصول السيارتين الأنفتي الذكر لاحظت ان موديلاتها انجليزية تقليدية قديمة لا تتماشى مع الموديلات الأمريكية التي اعتاد أبناء منطقنا عليها سواء من حيث منظرها الخارجي أو ديكورها الداخلي وحتى المكيف رغم انه كبير الحجم غالي الثمن فهو من طراز قديم برودته غير كافية في المناطق الحارة فاقترحت على مدير المبيعات والتسويق في شركة رولزرويس وهو نفس الشخص الذي بدأت الحديث معه سابقا ان يزورنا بالبحرين ليطلع ويقارن بين سياراتهم والسيارات الأمريكية التي اعتاد الناس على استعمالها في منطقنا. عند قدومه أحضرت له سيارة كديلك واطلعت على التحسينات المطلوبة والمحبة لدى أبناء المنطقة والتي لها دور كبير في إغرائهم لاقتناء السيارة حتى اني لمجرد المبالغة قلت له ان المشتري هنا لا يهتم لما حوته السيارة من ماكينة قوية أو مكابح متطورة بقدر ما يهتم الشكل والمنظر الخارجي والأناقة والبهجة الداخلية وان بعضهم لا يفكر حتى في فتح غطاء الماكينة ليطلع على وجودها أو عدمه. دون هذه الملاحظات، ولاحظنا فيما بعد ان العديد من التحسينات أدخل على موديلاتهم الجديدة التي لقيت رواجاً كبيراً في منطقنا بصورة عامة والبحرين بصورة خاصة.

وكالة كرايسلر

في الخمسينيات (١٩٥٠م) كان الوكيل المعين لشركة كرايسلر بجميع أقسامها (كرايسلر - امبريال - دوج بليموث) المرحوم الحاج عبدالرحمن القصيبي. ومع ان شركة كرايسلر تصنع أيضا سيارات «ديسوتو» في ذلك الزمان إلا انها احتفظت بوكالتها لوكيل مستقل غير وكيل كرايسلر العام. عرضت الشركة علينا وكالة الديسوتو ونظرا للعلاقة الأخوية الطيبة والصداقة الحميمة التي كانت ولا زالت تربطنا بال القصيبي ترددت بالموافقة وقمت بزيارة المرحوم الحاج عبدالرحمن القصيبي في مكتبه التجاري بالمنامة لعرض الأمر عليه واستشارته فأخبرني ان وكالة الديسوتو ليست تابعة لهم وانهم لا يمانعون من أخذها بل يفضلون ان تكون عندنا بدل الغير. . على اثر ذلك قبلنا العرض وبدأنا بطلب عشر سيارات وبالرغم انها كانت من موديل سابق الا انها لقت رواجاً واقبالاً.

مع مرور الأيام ونظرا لنشاط الأعمال التجارية في السعودية تحولت أعمال جماعة القصيبي الى السعودية والظاهر انهم أظهروا عدم رغبتهم في التعامل في السيارات فعرضت علينا شركة كرايسلر أخذ الوكالة بكاملها فأخذناها وجعلناها تحت اسم مختلف عن اسمنا التجاري المعروف هو شركة الخليج للتجارة والهندسة. ولم يقتصر توكيلنا لها على البحرين فقط بل شمل الامارات وقطر وعمان ونحمد الله أن وفقنا في تسويقها وانتشارها.

لقد ذكرت تفاصيل حصولنا على وكالة الرولرزويس وكرايسلر بالاضافة الى وكالة الاوستن والروفر كل هذا حدث قبل إنهاء دراسة أولادنا وتخرجهم من المدارس والجامعات ولما كانت أعمالنا قد اتسعت وتشعبت عهدنا الى من التحق منهم بعملنا للقيام بالاشراف على بعض الأقسام فعهدنا الى ولدي الأكبر خالد الإشراف على السيارات بعد ان دربته واختبرته وقد أثبت كفاءة ساعدت كثيرا على زيادة المبيعات وساهمت في التنظيمات المتعلقة بمعارض السيارات والكراجات وغيرها. كما انه بفتنته ومجهوده الخاص تمكن من الحصول للشركة على وكالتي الـ بي ام دبليو BMW الألمانية، والميتسوبيشي اليابانية وأترك له هنا يروي كيف أمكنه الحصول على هاتين الوكالتين الهامتين:



خالد راشد عبدالرحمن الزياتي

بي ام دبليو - BMW

يقول ولدي خالد:

في بداية السبعينات (١٩٧٠م) زرت في لندن معرض الرزكورت للسيارات، وهذا طريق مشى فيه والدي أطال الله عمره، وبعد زيارة من كان لنا علاقة بهم من الشركات وزيارة الذين نشترى منهم معدات الكراجات وقطع الغيار توجهت الى معرض سيارات الـ (بي. إم. دبليو). كانت هذه الشركة صغيرة في ذلك الوقت انتاجها محدود في عدد الموديلات. قابلت مستر هانز هلتن المدير الاقليمي للشركة وأبدت له رغبتنا في أخذ الوكالة وبعد البحث المستفيض ودراسة الأسعار والموديلات تقرر ان أزورهم بعد المعرض في مصنعهم الكائن بمدينة ميونخ الألمانية لمزيد من البحث. رجعت للسيد الوالد في لندن لأخبره عن هذه الشركة الفتية بعد أن عرضت عليه كتلوجاتها، وطلبت منه السماح بالذهاب لزيارة مصنعهم لمواصلة البحث

معهم فسمح لي بذلك . توجهت على اثرها الى ميونخ حيث قدمت أول طلبية احتوت على ما كان لديهم من موديلات وهي ١٥٠٠ س س حتى ٢٠٠٠ س س . ومع ان سياراتهم آنذاك لم تكن تحتوي على مكيف أو أي تحسينات مطلوبة ، إلا انه كان لدي العلم والاطلاع بأن ما سيأتي ورأيته في المصنع تحت التطوير سيفي بحاجة السوق وطلب المشتريين . عند وصول الدفعة الأولى من السيارات عرضناها حول حمام السباحة بفندق دلمون حيث لاقت إقبالا واستحسانا كبيرين من المشاهدين . بدأ البيع المحدود من هذه الموديلات غير المتطورة ثم زاد الإقبال والبيع عليها بعد ان جرى تطويرها وادخال التحسينات عليها واستحداث موديلات كبيرة منها تحتوي على مكيفات ومعدات الالكترونية حديثة متطورة .

وكالة ميتسوبوشي

يقول ولدي خالد أيضا في عام ١٩٧٠م كنت أقضي شهر العسل في اليابان وكانت شركة كرايسلر قد اشترت ٣٠ في المائة من أسهم شركة ميتسوبوشي للسيارات والشاحنات وكان لهم مندوب دائم في اليابان يمثل مصالحهم على مستوى مجلس الادارة اسمه السيد ليرمان . وكوننا وكلاء لشركة كرايسلر اتصلت به وعرفته على نفسي وعن علاقتنا بالكرايسلر فدعاني لزيارته في مكتبه وعند زيارتي له حصل بيني وبينه تقارب وتفاهم فعين لي مرافقا من الشركة وأعطاني سيارة بسائق لي ولزوجتي وفي احدى الليالي دعاني مع زوجتي وزوجته اليابانية للعشاء ، في أثناء الحديث معه قلت له هل بإمكانه أن يعرفني على شركة ميتسوبوشي . أجاب قائلا انه سيجتمع غدا برئيس الشركة المستر KOBE ويدعوني للذهاب معه . عند مقابلة رئيس شركة الميتسوبوشي في صباح اليوم التالي لاحظت ان مكتبه يحتوي على الكثير من الآثار اليابانية والأوروبية ومن مجرى الحديث علمت بأنه يعشق التنقيب عن الآثار ويدرس التاريخ والحضارات غير اليابانية بشغف واهتمام كبيرين ، وكوني أحد مؤسسي جمعية تاريخ وآثار البحرين ومن المهتمين اهتماما خاصا بمتابعة أخبارها واني وجدته يبدي نفس الاهتمام أخبرته اني وزملائي بالجمعية قد دعينا مؤتمر الآثار العالمي الثالث للآثار الآسيوية ليعقد مؤتمره في البحرين

حيث عرضنا على المؤتمرين فيه نتائج التنقيب الذي قامت به بعثة دنماركية والذي ثبت خلاله ان دلمون المذكورة في العديد من المخطوطات المكتشفة في بلاد السند والرافدين هي جزر البحرين، فكان يصغي لكلامي باهتمام وتفهم وأصر على أن يدعوني للغداء معه حيث أخذ يسألني الكثير من الأسئلة عن هذه البحوث والتنقيبات وكان لدي بعض الصور والمعلومات في الفندق أعطيتهم إياها. ودعوته ليزور البحرين ليشاهد المناطق الأثرية وليطلع على هذه التنقيبات فوعد بتلبية الدعوة.

اغتنمت فرصة التفاهم والحديث ففتحت معه موضوع تمثيلنا لمنتوجاتهم من سيارات ميتسوبيشي في الخارج فقال بأنهم في الوقت الحاضر لا يصدرون إلا موديل واحد هو «أجلالنت» وكل تصديرهم للولايات المتحدة الأمريكية فقط ولكنه وعدني بأنه لن ينسأنا عندما يبدأ تصديرهم للمناطق الأخرى في العالم. في اليوم التالي اتصل بي وقال أود أن أدعوك لتزور مصانع الشركة، ونظرا لكون بعضها يقع في مناطق أثرية في اليابان أعددت لك برنامجا لزيارة تلك المناطق والتعرف عليها. شكرته على ذلك وأخذني وزوجتي الى عاصمة اليابان القديمة «كيوتو» حيث يوجد مصنعهم لمحركات السيارات. وجدت المدينة وكأنها متحف فضلا عن كونها في منتهى الجمال والروعة ومنها زرت المصانع الثانية والمدن التاريخية الأخرى «كنارا» وغيرها.

بعد مضي سنة تقريبا زارني في البحرين رئيس شركة الميتسوبيشي نفسه وكنت إذ ذاك قد أصبحت رئيسا لجمعية تاريخ وأثار البحرين. وبعد أن قضى في ربوع البحرين يومين كاملين اطلع على ما أمكن الاطلاع عليه من الآثار والاكتشافات الأثرية غادرها وهو يلهج بالشكر والثناء على ما قمت به نحوه من واجب اللقاء والضيافة تم على أثرها ترشيحنا للحصول على وكالة الميتسوبيشي فأعطينا التوكيل لكل مناطق الخليج ماعدا الكويت لكونهم قد سبق وتعهدوا لجماعة الملا بإعطائهم الوكالة للكويت.

مع مرور الأيام توسعت الشركة وتجددت موديلاتها وأصبح لها أسطول من الانتاج متعدد الأحجام والأنواع يضاهي مثيلاتها من الشركات الكبيرة المرموقة. وقد عملنا بجد ونشاط لتسويقها وإسنادها بالصيانة وقطع الغيار بما أكسبها سمعة طيبة وساعد كثيرا على نجاحها.



AN APPRECIATION

Messrs. A. A. Zayani & Sons

It is with a profound sense of gratitude that we, Mitsubishi Motors Corporation, recognize the outstanding achievement you have made in the promotion of sale of Mitsubishi motor vehicles in your important market through assiduity and high professional capabilities for many years, particularly since the change-over made in November, 1979 from the old arrangement of having to go through Chrysler International S.A. to the new, direct transaction method between us.

This plaque is being presented to you as an expression of our appreciation and our best wishes for your continued success and prosperity.

Sincerely,

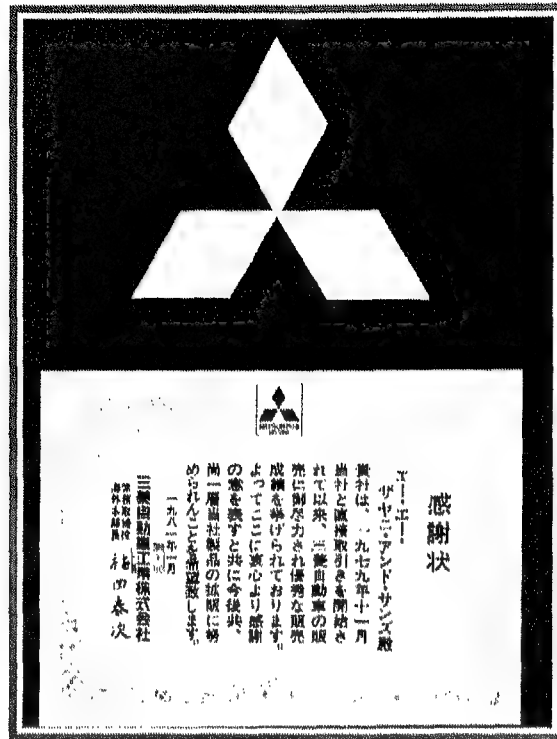
MITSUBISHI MOTORS CORPORATION

Taiji Fukuda

Managing Director-International

January, 1981
Tokyo, Japan

وقد حزننا على شهادة تقديرية من شركة ميتسوبيشي اليابانية لإنجازنا المتميز في تسويق سياراتها كما هو موضح أعلاه وفي الصفحة التالية .



تقدير

السادة عبدالرحمن الزياتي وأولاده

بمزيد من الامتنان نحن، شركة ميتسوبيشي للسيارات، نقدر انجازكم المتميز في ترويج مبيعات سيارات ميتسوبيشي موتورز في سوقكم المهمة من خلال اجتهادكم وقدراتكم الفنية الرفيعة المستوى ولعدة سنوات وخصوصاً منذ التغيير الذي أجري في نوفمبر ١٩٧٩م، من الترتيب المسبق للتعامل من خلال كرايسلر العالمية س.أ. الى الترتيب الجديد للتعامل المباشر بيننا نقدم لكم هذه اللوحة التذكارية تعبيراً لتقديرنا وأطيب تمنياتنا باستمرار نجاحكم وازدهاركم.

المخلصون

شركة ميتسوبيشي موتورز

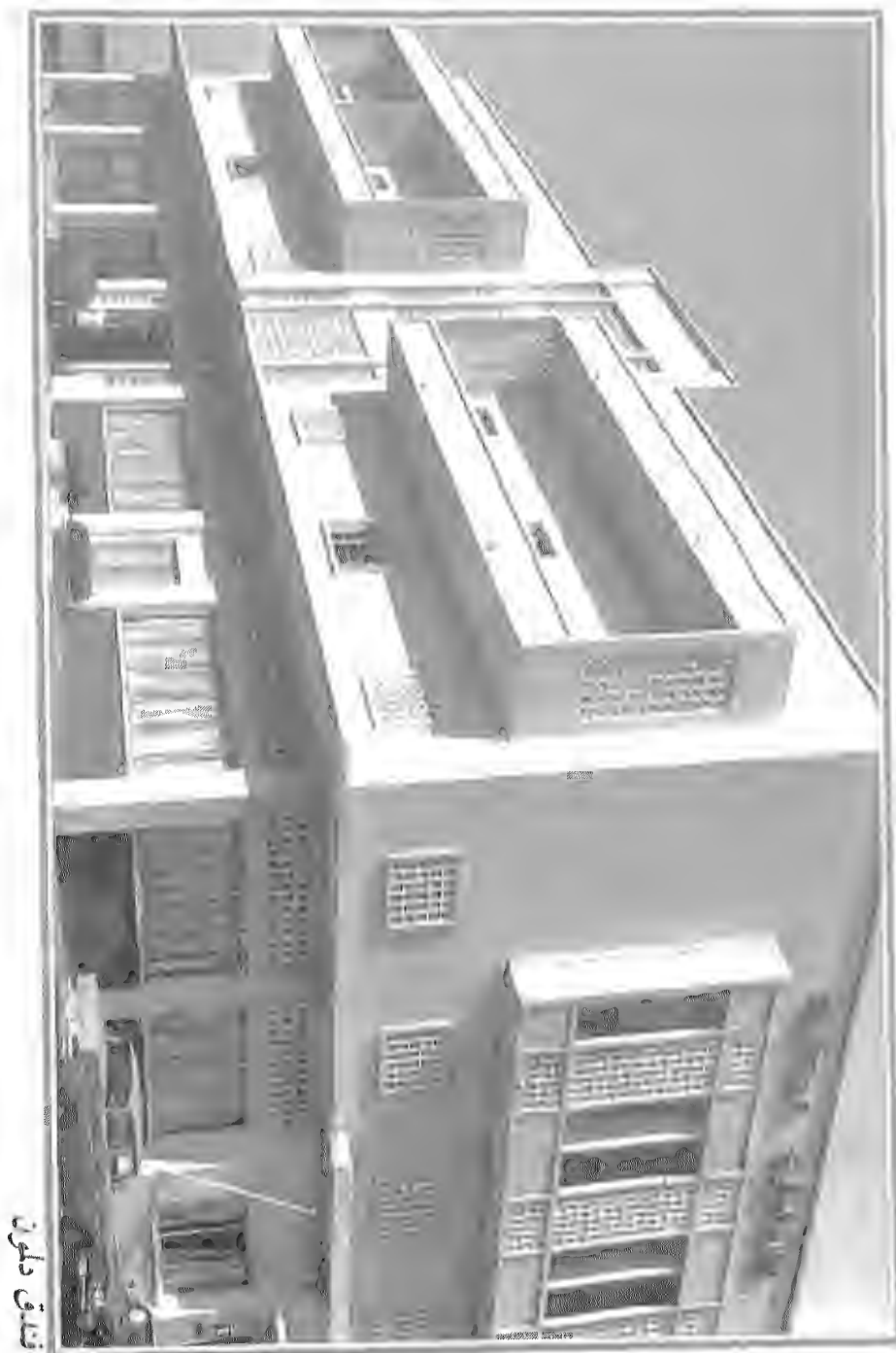
تياجي فوكودا

العضو المنتدب - العالمي

طوكيو - اليابان

(الفصل الرابع)

مشاريع وأعمال تجارية أخرى



مشاريع وأعمال تجارية أخرى

لم يكن نشاطنا التجاري مقتصرًا على أعمال السيارات بل شملت بضائع ومشاريع أخرى فقد تمكنا من اقتناء ما يزيد على ٤٠ وكالة لمصنوعات ومنتجات مختلفة أذكر منها على سبيل المثال - الشلاجات والمكيفات - المعدات والآلات المطلوبة للكراجات وتصلح السيارات - الراديوات والتلفزيونات - مضخات الماء العادية والخاصة بالأعماق - إطارات السيارات - الآلات الحاسبة - المصاعد - الأصباغ والكيماويات - ومن فضل الله كلها كانت دارجة وناجحة .

علاوة على هذا قمنا بمشاريع تجارية رائدة كتشديد فندق دلمون وإنشاء مصنع الخليج للبلاستيك كما سيأتي أدناه .

فندق دلمون:

في أوائل الستينات (١٩٦٠م) كانت البحرين مفتقرة الى فندق لائق لاستضافة الشخصيات المهمة، وكان الحديث يدور بين الجميع عن الحاجة الملحة لإيجاد فندق درجة أولى حتى بلغ الأمر بنا في الغرفة التجارية للنظر بجدية وأهتمام الى هذا الموضوع عدة مرات ثم اتخذ قرار بإنشاء شركة للفنادق والطلب من الحكومة منحنا امتيازًا لمدة ١٥ سنة . أبدت الحكومة تشجيعها لنا ووافقت على ذلك ، ولكن بعض التجار قرروا الشروع في فندق لحسابهم مما عرقل مشروع الغرفة . ولما رأينا ان عقد مشروع الغرفة قد انفرط بادرنا الى إنشاء فندق درجة أولى ممتاز خاص بنا وبالصدفة وجدنا بنائيتين شرع في بنائهما حديثا تحتوي احدهما على ٤٥ غرفة لفندق صغير بسيط كما تحتوي الأخرى على شقق . استأجرنا البنائيتين وباشرنا بدمجها وتحويلهما الى فندق لائق ممتاز يتكون من ١٢٠ غرفة يحتوى على قاعات فسيحة مختلفة وحمام سباحة ومرافق اخرى لازمة للفندق المذكور الذى اطلقنا عليه اسم «دلمون» .

كان فندق دلمون باكورة فنادق البحرين الممتازة لعدة سنوات قبل الشروع في بناء فنادق أخرى ممتازة، وقد لعب دوراً رائداً في مطلع نهضة البحرين الحديثة حيث احتضن عدداً من مؤتمرات وولائم الدولة الرسمية وقدم لجمهور البحرين ولأول مرة خدمات الدرجة الأولى الممتازة للاعراس والولائم وما شاكل ذلك من خدمات.

مصانع بلاستيك الخليج:

في الستينات (١٩٦٠م) لاحظت انه لا يوجد في المنطقة بأجمعها مصنع للبلاستيك رغم الحاجة والطلب على المنتجات البلاستيكية من أوان وأنايب وغيرها فتقدمنا للحكومة طالبين امتيازاً لمدة لا تقل عن سنة لنقوم بإنشاء مصنع بلاستيك. وافقت الحكومة مشكورة على ذلك فأنشأناه في المنطقة الحرة في المنامة. كان القسم الأكبر من انتاجه يصدر للسعودية وبقية الامارات بالخليج. وقد حرصنا على جودة صناعته ليضارع وينافس ما يستورد من البلدان الأوروبية وكان أهم منتوجاته أنايب الماء والكهرباء. في هذه الأثناء لاحظت ان دائرة التليفونات في البحرين التابعة لشركة البرق واللاسلكي البريطانية آنذاك تستورد أنايبها من بريطانيا. عرضت عليها بإلحاح أن تشجع المنتج المحلي وتشترى حاجتها من مصنعنا وذلك بواسطة ولدي المرحوم ماجد (١) الذي أقنع مديرها بعد تردد بالموافقة بشرط تجربة صناعة مصنعنا ومقارنتها بما يستوردونه من بريطانيا. قبلنا بشرطهم واتفقنا على تحديد موعد معين للتجربة المطلوبة. في اليوم المحدد حضر في مصنعنا المشار اليه أنفا مدير شركة التليفونات يصحبه ثلاثة أشخاص فنيين وأحضروا معهم أنبوبة بلاستيكية طولها حوالي ١٠ أقدام من صنع الشركة البريطانية وطلبوا منا أن نحضر أنبوبة ماثلة لها من صنع مصنعنا وذلك لإجراء التجربة على الأنبوبتين لمقارنة الجودة وقوة الاحتمال. اما طريقة التجربة فهي وضع جزء من الأنبوبة طوله قدم ونصف على قاعدة صلبة ثم إسقاط كرة حديدية تزن كيلو تقريباً

(١) انظر باب وقفة وفاء صفحة (٤٧٥)

من علو ٧ أو ٨ أقدام عليها والنتيجة اما تحطم القطعة وتناثر أجزائها أو عدم تحطمها وبقائها صامدة مع وجود ترصع وشقوق بها . عند إجراء التجربة الأولى تهشم نموذجهم وتناثرت أجزاؤه بينما صمد نموذجنا . ولم يقنعهم ذلك فأعادوا التجربة ثلاث مرات على نماذج الطرفين فكان الفوز لصناعتنا والله الحمد على اثرها فتح المجال بيننا وبينهم لشراء منتج بلادنا وبقى كذلك . ظل هذا المصنع يزاول عمله وحيدا في المنطقة لعدة سنوات ، حتى تبعته مصانع مماثلة في منطقة الخليج .

كلمة أخيرة:

لم يكن عملنا التجاري ونجاحنا فيه بالأمر الهين السهل كما قد يتصوره البعض بل كانت تعترضنا بين الحين والآخر صعوبات كثيرة كما مررنا بعراقيل وعقبات متكررة كاد بعضها يوصلنا الى حالة من اليأس والفشل ، غير ان اتكالنا على المولى سبحانه وتعالى وتصميمنا ومثابرتنا على مواصلة السعي كان لهم أكبر الأثر في نجاحنا . والذي يقرأ هذه الصفحات يجد أمثلة عديدة توضح ما مررنا به من صعوبات وعراقيل وكيف أمكن التغلب عليها وافي أذكر انه إذا ما حدث وتعسرت بعض مساعيها في الأمور التجارية مع اقتناعي بجدواها الاقتصادي وفائدتها من جراء تدخل أحد المنافسين أو الطامعين أو الحاسدين أو لأسباب أخرى ، يعتريني نوع من القلق والكدر وتظهر علي علامات ضيق الصدر من جراء ذلك . وعندما كان يلاحظ والدي ، رحمه الله ، علي ذلك يسألني عن السبب ، وبعد شرح الموضوع له كان يتفوه بالعبارة التالية «اني يا ابني دائما أشعر اننا نأخذ رزقنا من حلق أسد . . ولكن يا ولدي اتكل على الله وثابر وجاهد ويأذن الله تنجح» فكان هذا التشجيع الأبوي الحنون خير دافع لي للمثابرة والتصميم .

الباب التاسع

اسهامات في نهضة البحرين الحديثة

اسهامات في نهضة البحرين الحديثة

مقدمة

كان لي شرف المشاركة باسهامات متعددة في نهضة البحرين الحديثة، فقد ساهمت في مجالسها المختلفة أذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

مجلس التجارة والغوص
غرفة البحرين التجارية
مجلس المعارف (التربية والتعليم)
مجلس الهجرة والجوازات
مجلس بلدية المنامة
مجلس أمناء مدرسة الحكمة النموذجية
كما ساهمت في مجلس وضع الدستور وحالياً في مجلس الشورى
وقمت بمساهمات اجتماعية خيرية منها:
إنشاء نادي البحرين، ونزع فتيل فتنة بين السنة والشيعة.
وفيما يلي نبذة عن هذه المجالس والاسهامات المتعددة:

(الفصل الأول)
مجلس التجارة والفوض

مجلس التجارة والغوص

كنت أحد أعضاء هذا المجلس التابع لمحاكم البحرين والمكون من عدد من الأعيان والتجار يختارهم أمير البلاد ويرأسهم قاض من المحكمة ويتولى تدوين المحاضر أحد كتابها.

كانت مهمة هذا المجلس النظر في القضايا التجارية المحالة عليه من المحاكم وإبداء الرأي فيها مما يساعد إلى حد كبير في حل القضايا التجارية التي ترد للمحاكم فيخفف بذلك العبء عنها ويساعد على سرعة إنهاء هذه القضايا سيما وأن الكثير من هذه القضايا تحسم وتنتهى بالتصالح بين المتخاصمين في هذا المجلس على أساس معرفة التجار لبعضهم البعض واقتناع المتخاصمين وثقتهم في حكم زملائهم.

في نفس الوقت يضاف إلى هؤلاء التجار عدد محدود من خبراء عمل الغوص (١) مهمتهم إبداء الرأي والمشورة حول القضايا المتعلقة بهذه التجارة والصناعة التقليدية الأولى في ذلك الزمان.

كما كان أيضاً من مهام المجلس تحديد مواعيد بدء موسم الغوص وانتهائه وتحديد مقدار السلفيات (القروض) التي تدفع مقدماً لعمال الغوص. حيث كانت تدفع إلى هؤلاء العمال في ثلاث فترات مختلفة من السنة. الفترة الأولى ويطلق عليها فترة «السلف» وكانت تدفع خلال فصل الشتاء. . . والثانية ويطلق عليها فترة «التسقام» وكانت تدفع في أوائل أيام موسم الغوص أي بداية فصل الصيف. . . والثالثة ويطلق عليها «الخرجية» وكانت تدفع في نصف الموسم.

تشكل هذا المجلس في عهد أمير البلاد المغفور له صاحب السمو الشيخ حمد بن عيسى آل خليفة وواصل مسيرته في عهد أمير البلاد المغفور له صاحب السمو الشيخ سلمان بن حمد آل خليفة. . . وتوقف العمل به بعد ذلك.

(١) عمل الغوص كنية لصيد المحار المحتوي على اللؤلؤ الطبيعي

(الفصل الثاني)
الغرفة التجارية بالبحرين

الغرفة التجارية بالبحرين

حتى عام ١٩٤٥م لم تكن في البحرين غرفة تجارية، بل كانت جمعية مؤلفة من عدد من التجار غالييتهم هنود تدعى جمعية التجار العمومية.

تأسست هذه الجمعية في ١٩٤٢م برئاسة أشرف أحمد صابح متاجر أشرف المعروف، وبعد فترة انتخب السيد حسين يتيتم ليتولى رئاستها والسيد محمد حسن الحسن ليتولى السكرتارية. وكانت مداولة الحديث في الجلسات تدار باللغة الانجليزية وبها كذلك تكتب محاضر جلساتها.

كان متجرونا في ذلك الزمان في بدايته صغيرا بالنسبة للآخرين، مع هذا بادرنا بالاشتراك في الجمعية المذكورة. وقد حز في نفسي ونفس بعض الاخوة العرب المشتركين أن نكون تابعين للهنود في تجارتنا واقتصادنا، فسينا للاتصال ببعض التجار العرب من البحرينيين وغير البحرينيين وإقناعهم بالالتحاق بالجمعية، فاشترك بعضهم أمثال المرحوم الحاج عبدالرحمن القصيبي والرحوم الحاج عبدالعزيز البسام وعند ازدياد المشاركين العرب سعينا لتعريب الجمعية ثم فكرنا في تحويلها الى غرفة تجارية لعل هذا الاسم يغري من تردد من التجار العرب بالاشتراك فيها.

لقيت الفكرة كامل الترحيب من الأعضاء العرب، وكلفوني بالاتصال بالحكومة وعلى رأسها المستشار بلكريف، بحكم علاقتي الشخصية به، وأخذ موافقته على ذلك. حددت موعدا مع المستشار وقدمت له الاقتراح مكتوبا شارحا له أهمية البحرين التجارية وأن إنشاء غرفة تجارية فيها سيعزز من مكانتها التجارية ويعطيها طابعا تجاريا مرموقا لدى الغرب. تردد المستشار بلكريف وطلب مني تأجيل الموضوع لوقت آخر، بعد مدة عدت وطلبت مقابله وفي هذه المقابلة ألححت عليه بل وجادلته في الموضوع. أمسك بلكريف عن الكلام برهة من الزمن ثم قال «ربما الحكومة توافق بشرط أن تشترك في الغرفة جميع الشركات الانجليزية» وكان يقصد طبعاً الشركتين البريطانيتين الموجودتين في البحرين آنذاك شركة كري مكنزي والشركة الافريقية. قلت لا أظن أن هناك مانعا من ذلك.

بعدها انضمت للجمعية شركة كري مكنزي وربما الافريقية وتحولت الجمعية الى غرفة تجارية. وعند عقد أول اجتماع للجمعية العمومية وفقنا الى انتخاب المرحوم الحاج عبدالرحمن القصيبي رئيسا للغرفة، والأخ محمد حسن

الحسن سكرتيرا لها وعند استقالة الأخ محمد انتخبت لأتولى منصب السكرتارية .

مقر الغرفة:

كان مقر الجمعية ثم الغرفة غرفة أو شقة صغيرة فوق مخازن كاليفورنيا هاوس التجارية، ملك جماعة مصطفى عبداللطيف، لاحظنا ان المحل صغير وغير مناسب فاتفقنا على إبداله بمحل أكبر وأفضل فوقع الاختيار على شقة ذات غرفتين وصالة فوق مخازن الحكومة التجارية المبنية محل مخازن الجمارك سابقا . وبصفتي سكرتير الغرفة تقدمت للحكومة بطلب منحها لنا مجانا أو استئجارها بايجار بسيط فوافق المستشار بلكريف على ذلك وتحولت الغرفة الى ذلك الموقع، انما بعد مدة طلبت منا الحكومة إخلاء هذه الشقة . هنا أسقط في يدنا، فمالية الغرفة ضعيفة لا تتحمل استئجار محلات غالية، وبعد تفكير طرأت لي فكرة وهي ان الغرفة تعتبر لحد ما شبه دائرة حكومية وبناءً عليه لا يسعنا الا الالتجاء الى الحكومة . طلبت مقابلة المستشار بلكريف وعرضت عليه الأمر وأقنعتة ان نتحول الى الطابق الأول من بناية باب البحرين إذ كان ذلك الطابق المكون من جناحين شرقي وغربي تفصلهما في الوسط قاعة كبيرة قلما تستعملها الحكومة، انما اعتاد المغفور له صاحب السمو الشيخ سلمان تشريف هذه القاعة صباح كل يوم أربعاء والجلوس فيها بضع ساعات لاستقبال الوافدين، اما الجناحان فكانا خاليين، وافق المستشار بلكريف على إعطائنا الجناح الغربي فقط مجانا، رحبنا بذلك وتحولت مكاتب الغرفة الى ذلك المكان الممتاز، بعد مدة عز علينا أن نمر يوميا من هذه القاعة الفسيحة الى جناح الغرفة وأغراني تسامح المستشار بلكريف معنا كما أغراني امكانية اتصالي به والتفاهم معه فطلبت مقابلته وشرحت له ما توصلت اليه الغرفة من تقدم ونجاح كما شكرته على السماح لنا بالجناح الغربي وطلبت منه أن يسمح لنا باستعمال القاعة الكبيرة موعدا إياه اننا سوف لا نستعملها الا للاجتماعات الكبيرة لأن الجناح المخصص للغرفة لا يسع عندما يكون الاجتماع لعدد كبير من الأعضاء، وافق بشرط عدم استعمالها في النهار، شكرته على ذلك فأصبحت للغرفة قاعة اجتماعات كبرى وكانت العادة الجارية آنذاك ان الاجتماعات سواء مجلس الادارة أو غيره لا تعقد إلا في المساء باعتبار ان التجار مشغولون في أعمالهم في النهار.

خلال عام ١٩٥٤م بدر لي أن أسافر الى الهند لزيارة أخي أحمد وزيارة محلنا هناك فتم الاتفاق والاختيار بيننا على أن يقوم كاتب الغرفة عبدالرحمن عاشر بأعمال السكرتارية أثناء غيابي. بعد عودتي من الهند سلمني عبدالرحمن المذكور كتابا من المستشار بلكريف يطلب منا تفريغ الجناح بأسرع ما يمكن، طبعاً كان الكتاب المذكور بمثابة صدمة قوية لي خاصة وأنه لم يذكر في الكتاب أي سبب لطلب الاخلاء. طلبت موعداً من المستشار ولما قابلته لاحظت ان مقابلته لي يشوبها الفتور خلافاً لمقابلاته السابقة وكان في نفس الوقت يصبر على الاخلاء ويتهرب من الاجابة عن الأسباب ولكني بحكم معرفتي الشخصية به ألححت في معرفة السبب وبعد أخذ ورد قال: الحكومة أعطتكم هذه الشقة مساعدة للغرفة ولكنكم استغلتم هذا السماح بأن علقتم على ظهر البناية الذي يطل على ميدان باب البحرين لوحة كبيرة باسم الغرفة التجارية فالذي يشاهد بناية باب البحرين يتصور انها بناية الغرفة. قلت أهذا كل الذي أزعجك!! (واقع الأمر اني لم ألاحظ هذه القطعة، فأثناء سفري اجتهداً عفويّاً من المسؤولين بالغرفة رأوا تعليق اسم الغرفة من الشباك المطل على ساحة باب البحرين - شاهدها بلكريف أثناء مروره فحرر لنا كتاب الاخلاء) قلت للمستشار بلكريف كلامك صحيح ونحن أخطأنا واني أعتذر لك وسأمر برفع هذه القطعة في الحال فأرجو أن تسمح لنا بالبقاء - أجاب على مضض بالموافقة وحالاً ذهبت الى الغرفة ورفعنا القطعة ارضاء «للمصاحب» وحبا في توفير محل مجاني للغرفة.

بقيت سكرتيراً للغرفة الى تاريخ ١٠ - ١٠ - ١٩٥٦م حققنا خلالها عدة أشياء مهمة:

- ١- تحويلها الى غرفة تجارية بدل جمعية تجارية.
 - ٢- زاد عدد أعضائها من التجار العرب زيادة كبيرة.
 - ٣- حصلنا على مساندة الحكومة واعتبارها أشبه بدائرة حكومية.
 - ٤- أسسنا فيها أول بنك وطني في البحرين هو بنك البحرين الوطني.
- بعد هذه المدة استقلت من سكرتارية الغرفة لانشغالي بأعمالنا التجارية صفحة (٣٠٥) مكتفياً بعضوية مجلس الادارة وانتخب المرحوم علي الوزان سكرتيراً لها.

(الفصل الثالث)
مجلس المعارف (التربية والتعليم)

مجلس المعارف

يجدر بي أن أذكر شيئاً عن التعليم في البحرين بأن أتطرق الى مجلس المعارف (التربية والتعليم). ففي أوائل الخمسينات (١٩٥٠م) وفي عهد صاحب السمو الشيخ سلمان الميمون شكل هذا المجلس من ثمانية أعضاء نصفهم بالانتخاب والنصف الآخر بالتعيين. وكان يرأس مجلس المعارف آنذاك صاحب السمو الشيخ خليفة بن سلمان آل خليفة ثم خلفه في الرئاسة صاحب السمو الشيخ محمد بن سلمان آل خليفة. اما ادارة المعارف فكانت تحت إشراف الأستاذ الكبير أحمد العمران. كنت عضواً في هذا المجلس منذ انشائه وحتى حله بعد بضع سنوات. في هذه الفترة من وجوده أبدى المجلس نشاطاً ملحوظاً وحقق منجزات عادت بالنفع والفائدة على المدارس والطلاب والمناهج. أذكر منها ما يلي:

١- لاحظ المجلس ان الصفوف مزدحمة بالطلاب لقلة عدد المدارس وتزايد عدد الطلاب سنة بعد سنة.

٢- كما لاحظ ان جميع المدارس كانت خالية من أبسط وسائل الراحة والضروريات، فلا توجد بها تليفونات ولا مكيفات هواء بل ولا توجد في صفوفها المكتظة بالطلاب حتى مراوح كهربائية.

٣- لا يوجد ماء بارد لشرب الطلاب والمعلمين مما يضطرهم لأن يطفئوا عطشهم من أنابيب الماء الحارة الممتدة من العيون الارتوازية.

كل هذه النواقص كانت بسبب التقشف اللازم لعدم وجود الإمكانيات المالية. تداول المجلس في هذه الأمور الضرورية عدة مرات محاولاً معالجتها ولكن كيف؟ والميزانية تقف له بالمرصاد!

كان المستشار بلكريف هو القائم على وضع ميزانية الدولة ومن جملتها، بطبيعة الحال، ميزانية المعارف. عندما أعيت المجلس الحيلة والوسيلة لزيادة مخصصات الميزانية التفت لمراجعة بنود الميزانية خاصة جهة المصروفات منها، ولاحظ انه بتعديل بعض بنود المصروفات يتمكن المجلس من توفير مبلغ

معين يساعد على تحسين الوسائل الضرورية المطلوبة لراحة التلاميذ وسلامتهم . انما لكي يتخذ هذا الإجراء كان عليه أن يستأذن الحكومة ويطلب موافقتها على التعديل المقترح؟ . اتخذ المجلس قرارا بالكتابة الى المستشار بلكريف طالبا منه الموافقة على ذلك ، فكان الجواب ايجابيا ، انما يشترط الالتزام بمجموع الميزانية وعدم تجاوزه .

على اثرها قام المجلس بهذه المهمة بكل جد ونشاط فكانت النتيجة ما

يلي :

١- أدخلت التلغونات في كل المدارس .

٢- زودت المدارس ببرادات تسقي الطلاب والمدرسين ماء باردا .

٣- ركبت مراوح كهربائية في صفوف المدارس .

كل هذا جاء من تعديل بعض بنود نفس الميزانية المقررة وعدم الخروج عن مجموعها . وفوق هذا وذاك قام المجلس مما وفره من الميزانية ببناء مدرسة كاملة في قلب مدينة المنامة لتخفيف الضغط على المدارس الأخرى التي ازدحمت صفوفها بالطلاب بشكل لا يعقل أو يطاق حيث وصل العدد أحيانا في قاعة الصف العادي الى ستين تلميذا!

كذلك اتخذ قرارا حدد بموجبه حفظ مساحات المدارس وما حولها من ملاعب وساحات ، وذلك باستخراج وثائق رسمية من دائرة التسجيل العقاري تقرر تلك المساحات .

وكان من أبرز ما نظر فيه المجلس مناهج التعليم وملاءمتها لما تحتاجه البحرين من خريجين مناسبين لتولي الوظائف والمراكز والأعمال التي تحتاج إليها البلاد .

كانت دائرة المعارف تتبع مناهج التعليم المطبقة في مصر . وكانت الصفوف العليا الثانوية في مدارس البحرين مفتوحة لقبول أي طالب أراد الالتحاق بها ، حتى لو كانت علاماته متدنية لا تؤهله للالتحاق بالصفوف العلمية العليا . ولم يكن هناك أي تخطيط لتطوير القسم التجاري ورفع مستواه بما يتلاءم وحاجة البلاد الماسة لخريجي تجارة بمستوى رفيع . كذلك كان القسم الصناعي بدائيا ولا يتلاءم وحاجة البلاد الماسة للصناعيين .

- بعد البحث في هذه الأمور قرر المجلس دعوة خبيرين احدهما من بريطانيا والآخر من الجامعة الأمريكية في بيروت لدراسة المناهج وإبداء رأيهما فيها: في واقع الأمر كان تقريرهما مستوفيا ومفيدا اتخذ المجلس على اثره القرارات التالية:
- ١- تحديد مستوى علامات الطالب بحيث لا يسمح لمن كانت علاماته متدنية بالالتحاق بالصفوف العليا.
 - ٢- توجيه الطالب المتدني في مستوى علاماته الى القسم التجاري أو الصناعي.
 - ٣- تطوير القسم التجاري ورفع مستواه.
 - ٤- رفع مستوى المدرسة الصناعية، وتحويلها الى ثانوية، باتخاذ هذه الاجراءات خف الضغط على الصفوف العليا الثانوية واستفادت البلاد من خريجي التجارة والصناعة إذ كانت الحاجة ماسة لتوظيفهم.

(الفصل الرابع)
مجلس الهجرة والجوازات

مجلس الهجرة والجوازات

أنشئ هذا المجلس في عهد المغفور له صاحب السمو الشيخ سلمان بن حمد آل خليفة برئاسة المرحوم الشيخ خالد بن محمد آل خليفة رئيس الهجرة والجوازات آنذاك وعضوية عدد محدود من التجار كنت أحدهم. كانت مهمة هذا المجلس استشارية بحتة للنظر في طلبات طالبي الجنسية البحرينية من قبل اشخاص طالت اقامتهم في البحرين لعدة سنوات او ولدوا فيها من قبل اجانب او قدموا اليها حديثا.

وقد تبين من التدقيق والنظر في هذه الطلبات ان عدداً من هؤلاء قدموا الى البحرين من بلدان مجاورة قبل اصدار قوانين الهجرة والتجنس واصبح بعضهم فاقد الجنسية او الاتصال بموطنه الاصلي.

كانت المهمة شاقة ومتعبة ولكن امكننا ولله الحمد ان نؤدي دوراً كبيراً ساعد في تخفيف العبء عن الحكومة والمتجنسين.

(الفصل الخامس) بلدية المنامة

بلدية المنامة

تعتبر مجالس البلديات في البحرين من أقدم المجالس التي تشكلت فيها فقد ابتدأ تشكيلها في عهد المغفور له الشيخ عيسى بن علي آل خليفة وبالتحديد بتاريخ ١٩١٩م.

ابتدأت هذه المجالس بمجلس بلدية المنامة ثم المحرق والحد والرفاع وجدحفص وبعض القرى وسارت على هذا النحو مستقلة عن بعضها البعض من حيث تشكيل كل مجلس من مجالسها، الذي ينتخب نصف أعضائه في بادئ الأمر ثم يعين النصف الآخر، أو من حيث ميزانياتها وإداراتها ولكنها في ٢٢ - ٨ - ١٩٧٣م حلت وأدجت مع بعضها البعض حيث شكل منها مجلس واحد مقره مدينة المنامة عين فيه عدد من الأعضاء لمدة محدودة ثم حل هذا المجلس أيضاً وبقيت البلدية بدون مجلس حتى كتابة هذه السطور.

كان يرأس أول مجلس للبلدية المغفور له الشيخ حمد بن عيسى آل خليفة ثم المغفور له الشيخ محمد بن عيسى آل خليفة ثم المغفور له الشيخ عبدالله بن عيسى آل خليفة ثم المغفور له الشيخ سلمان بن حمد آل خليفة وخلفه نجله صاحب السمو الشيخ عيسى ثم نجله صاحب السمو الشيخ خليفة ثم سعادة الشيخ عبدالله بن خالد آل خليفة حيث اختتم تشكيل المجلس كما ذكرت آنفاً.

لقد ساهم والدي المرحوم الشيخ عبدالرحمن الزباني كعضو في مجالس البلدية أثناء الثلاثينيات والاربعينيات من هذا القرن. كما ساهمت بدوري في أعمال بلدية المنامة بصفتي عضواً في مجالسها المشكلة ابتداءً من أوائل عام ١٩٥٠م وحتى عام ١٩٧٣م. لقد كان المجلس، في واقع الأمر، نموذجاً حياً للديمقراطية المتوازنة وكنا كأعضاء نهتم ونلتزم آنذاك بالمواظبة على حضور جلسات المجلس أو جلسات لجانه وكان جهاز الحكومة آنذاك المكون من حاكم البلاد ومن مستشار حكومته المستر بلكريف يتابعون باهتمام بالغ ما يبحث من مواضيع في المجلس وما يقر من قرارات فكان في كل جلسة نجلس فيها نجد رسائل من ديوان الحاكم أو من المستشار تتطرق الى موضوع أو

بعض اعضاء مجلس بلدية المشامة ويظهر في الصورة في الصف الاول من اليسار الشيخ عبدالرحمن بن عبدالرهاب الزياتي
ثم الحاج خليل كانو ثم الحاج خليل المؤيد ثم الحاج عبدالعزيز العلي البسام ثم الشيخ اسحاق بن عبدالرحمن الخان .
الصف الثاني من اليسار الحاج عبدالرحمن محمد طاهر خنجي ثم الحاج جاسم كانو . . رحيم الله جميعا



مواضيع عرضت أو ستعرض على المجلس فكان المجلس يدرسها بدقة وتمعن ويتخذ قراراته بشأنها أو يحيلها الى احدى لجانه وأهم لجانه: لجنة المالية والميزانية ولجنة الطرق والعقارات .

علاوة على كوني عضوا في المجلس وقع الاختيار عليّ لأكون أحد أعضاء اللجنة المالية طيلة مدة عضويتي .

أهم الأعمال التي قام بها المجلس أثناء وجودي فيه، بناء بناية البلدية الحالية وتعديل أنظمتها وقوانينها القديمة بما يتناسب مع مجريات الأمور، وقد كلفت لجنة المالية والميزانية بهذين الأمرين، فكنا كما أذكر نجتمع ليلا أثناء شهر رمضان لندرس القوانين والأنظمة القديمة ونجري التعديلات اللازمة عليها، ومن طريف ما وجدنا في تلك الأنظمة ان النظام القديم مثلاً يقول «يجلس الأعضاء المعينون على يمين كرسي رئيس المجلس بينما يجلس الأعضاء المنتخبون على يساره» وانه إذا قدمت القهوة فتقدم للأعضاء المعينين أولاً. وفي فصل آخر يقول إذا أقيم احتفال فيجلس الأعضاء المعينون على المنصة الرئيسية بينما يجلس الأعضاء المنتخبون مع المدعوين مقابل المنصة» (طبعا ألغينا كل هذه التفرقة) وأصبح الجلوس مفتوحاً دونما تفرقة أو تمييز.

اما البناية التي عملنا بكل جد ونشاط لإبرازها الى حيز الوجود، رغم ضعف ميزانية البلدية وقلة مواردها، فقد بنيت على أحدث طراز وكانت ولازالت تعتبر من أحدث البنايات عملياً في البحرين، فعندما أرادت الحكومة تأسيس مجلس وطني في ١٩٧٣م لم تجد بناية مناسبة لعقد جلسات المجلس في ذلك الوقت إلا هذه البناية .

أثناء عضويتي كان يتولى سكرتارية المجلس المرحوم (محمد صالح الشتر) الذي كان ذا شخصية محبوبة، فكان مرحاً لطيفاً في حديثه مع أصدقائه ومعارفه . بيد أنه كان بينه وبين عضوين من أعضاء المجلس نوع من الفتور وعدم التجاوب لا بل والمشاحنة والانتقاد فهو لا يستسيغ اقتراحاتهما وهما بالمقابل يعترضان على اقتراحاته وتوصياته . فكان العضوان المذكوران دائماً يتحاملان عليه وينتقدانه وهو بدوره لا يلاطفهما ولا يتفاهم معهما بالحسن بل يكيل لهما الصاع صاعين مما يدعو الى تدخل الرئيس في بعض الأحيان



المرحوم محمد صالح الشتر سكرتير البلدية وكان يطلق عليه (معاون البلدية)

وكان من عادته أن يعمل كما يقال «لوبي» قبل كل جلسة من جلسات المجلس خاصة اذا كان في المنهج أمر هام ويحتاج الى تأييد وموافقة سريعة لأنه يدرك ان العضوين السالفي الذكر سيعترضان فيقوم مسبقا بزيارة من يثق في تأييده من أعضاء المجلس طالبا التأييد.

وأذكر مرة انه زارني في احدى الأمسيات في مكتبي طالبا مني تأييده ومساندته في موضوع سيطرح على المجلس غدا فوعده بذلك خاصة وان الموضوع الذي سيطرح سبق وان اقررنه في لجنة الميزانية والمالية، وقبل أن ينصرف من مكتبي قال سأذهب الى علي الوزان، وهو أيضا عضو في لجنة المالية والميزانية، لأطلب مساندته، بعد تركه مكتبي اتصلت بعلي الوزان تلفونيا وأخبرته بما جرى بيني وبين محمد صالح من حديث واتفقنا على أن نعمل مقلبا فكاهيا مع محمد صالح وذلك بأن نخبره بأننا سنؤيده بكل قوة ولكن عند عرض الموضوع على المجلس سنلتزم الصمت لمدة ما لنرى ماذا سيحدث!

في اليوم التالي وعندما كان محمد صالح يقرأ المحضر وتطرق الى الموضوع المشار اليه، ارتفع صوت المعارضين المذكورين أنفا مبدئين الاعتراض، مما جعل محمد صالح يدخل معهما في جدل مرير أما أنا والوزان فتظاهرننا بعدم الاهتمام وأطرق كل منا برأسه ينظر في الأوراق الموضوعة أمامه أو يعبث بشيء تافه لديه، طال النقاش والجدال بين الطرفين ولا نصير لمحمد صالح فما كان منه ومقعدا أنا والوزان بالقرب منه إلا أن بدأ يقول بصوت منخفض «راشد.. علي ما التحجون» أي تتكلمون، تظاهرننا بعدم السماع وعدم الاهتمام وردد عبارته ومناشدته الهادئة لنا عدة مرات ولما يئس نادى بأعلى صوته «راشد.. علي ما التحجون» عندها تدخلنا وناقشنا الموضوع موضحين الأمر للمعارضين، ولما خرجنا من المجلس عتب علينا ولاننا لعدم مناصرته منذ البداية.

وأذكر انه في احدى الاحتفالات الكبيرة في البحرين وكان يحضر ذلك الاحتفال الأمراء والأعيان وكبار الأجانب من غربيين وشرقيين وكان من بين برنامج الاحتفال كلمة يلقيها محمد صالح عن البلدية. كان الجو حارا مما

استدعى وضع مراوح دوارة على طاولات فوق المنصة التي يجلس عليها الأمراء وعلية القوم. وفي أثناء إلقاء محمد صالح كلمة البلدية، وكان واقفا على المنصة شعر بشيء يجره بقوة للخلف مما أفرعه وأربكه وجعله يلقي الكلام على عواهنه. الذي حدث هو ان المروحة الموضوعة خلفه سحبت عباءته الخفيفة المتخصر فيها وطوتها بين ريشها فاعتراه الفزع والارتباك حتى تنبه أحد العمال وسارع لإنقاذ صاحبنا بقطع التيار الكهربائي عن المروحة المعتدية.

وأذكر انه في إحدى جلسات المجلس انتقد أحد العضوين المشاكسين نظافة المدينة واتهم محمد صالح بالتقصير والإهمال وبعد الجدل الطويل طلب محمد صالح من المجلس بكامل أعضائه أن يكشف على وسائل التنظيف التي تستعملها البلدية، وتلبية لطلبه وإلحاحه توجه موكب المجلس الى حوطة تقع في وسط المدينة فاذا هي تحتوي على ثلاثين أو أربعين حمارا ربطت في صف طويل وصف بجانبها عربات تعادل عددها من نوع عربات ما يسمى بالكارو، كل ذلك ليثبت للمجلس كفاءة البلدية في تنظيف المدينة ويفند انتقاد العضو المعاكس أو المشاكس والجدير بالذكر هنا هو انه هكذا كان جهاز جمع القمامة في المدينة في ذلك الزمان.

وفي جلسة أخرى أشار بعض الأعضاء الى كثرة الخراب الموجودة في المدينة مما يشوه منظر شوارعها وفرقائها فضلا عن كونها مرتعا للفئران والحشرات وما شاكل ذلك، فاقترح المجلس تكليف محمد صالح بإجراء إحصاء لهذه الخراب، ولمن تؤول له وعند إبراز لائحة الإحصاء في جلسة قادمة تبين ان حوالى ستين في المائة من هذه الخراب تعود الى أحد الأثرياء من أعضاء المجلس ومن الذين شاركوا وأبدوا استيائهم من كثرة وجودها وكان ذلك نصرا لمحمد صالح أطربه وسره لأنه أخرس احتجاج منتقديه.

في عام ١٩٤٦ سافر محمد صالح خارج البحرين ليقضي عطلة التي قال انه اختار أن يقضيها في بعض البلدان العربية القريبة: العراق - الشام - فلسطين (وكانت آنذاك تحت الانتداب البريطاني) وأخيرا مصر، وعندما مر ببغداد وكنت يومها متواجدا فيها اتصل بي والتقينا وتحدثنا عن أمور عدة ولما سأله أين سيتوجه قال سأمّر بالشام ثم لبنان ثم فلسطين ومنها سأطير الى

القاهرة ولما قال سأطير الى القاهرة قلت: تطير؟ قال: نعم بطائرات شركة طيران مصر الحديثة، هنا تدخل أحد الحاضرين في الحديث وقال موجهًا كلامه لمحمد صالح «قل إن شاء الله» ولم يجب محمد صالح أو يعلق على ذلك. وعلى سبيل المزاح والتفكه قلت «يا بوحيد هذه الطائرات صغيرة وبدائية والذي أعرف عنك انك حذر وخواف فكيف تجازف أما تخاف ان يصيبها حادث؟». أجاب بالجواب المعتاد «فال الله ولا فالك» وانتقل حديثنا الى مواضيع أخرى، بعد أيام توجهت الى الشام ولبنان لقضاء عطلة الصيف مع عائلتي وفي أثناء وجودنا بالشام صادف ان كان محمد صالح موجودا فيها في طريق عودته للبحرين وسمعت انه نازل في فندق أمية. توجهت للفندق المذكور لزيارته ولما علمت انه موجود في غرفته كلمته من تلفون الفندق لأخبره بوجودي في الفندق وهل أصعد للقائه في غرفته أم انه سينزل لمقابلتي في هو الفندق، غير انه ما كاد يفتح الخط بيني وبينه حتى استشاط غضبا وأبدى كلاما غريبا تجاهي وقفل السكة في وجهي، استغربت من فعلته هذه وصعدت الى غرفته ولما فتح الباب ورآني قال «أنت! أنا لا أريد أن أراك» سألته لماذا وماذا حدث مني تجاهك ولما جلسنا قص علي ما حدث له، قال «تذكر لما كنا في بغداد وحذرتني من ركوب الطائرة» قلت «كان مزاحا عفويا» قال «صابتني عينك ولكن الله سلم» ضحكت وسألته ما الحكاية؟ فقال: «ركبنا الطائرة من فلسطين وهي طائرة صغيرة ذات محرك واحد يبلغ عدد ركابها ٨ أشخاص وعندما عبرنا القناة متجهين للقاهرة انفجر سقف الطائرة الأمامي الذي كان مصنوعا من القماش المضغوط وفوجئنا بعامل اللاسلكي يتدحرج من قوة تيار الهواء أمامنا، أما قائد الطائرة فقد لازم مكانه محافظا على قيادة الطائرة.

لا تسأل عن حالنا فقد شاهدنا الموت بأعيننا وبدأ كل منا يصرخ ويستنجد ولكن قائد الطائرة برباطة جأشه صاح بنا استعدوا لإلقاء أنفسكم من الطائرة بأسرع ما يمكن لأنه سيحط بها بعد لحظات، كان أمامي شخصان رجل وامرأة وأظن انهما من يهود فلسطين، كانت المرأة ضخمة الجثة

عريضة المنكين والغريب وأنا في هذه الحالة المفزعة طرأت لي فكرة وهي انه عندما تلقي المرأة اليهودية بنفسها سألقي بنفسي خلفها لأتقي بها الاصطدام بالأرض ، وهذه الفكرة في الواقع هي التي شجعتني ودفعتني لألقي بنفسي غير اني لا أذكر ولا أتذكر ما حدث لي بعد ذلك وكيف وصلت الى الأرض فالظاهر اني صرت في غيبوبة ولما أفقت وجدت نفسي ملقياً على أرض رملية غطى رملها أجزاء كبيرة من جسمي ، لم أصدق في بادئ الأمر اني نجوت بل تصورت اني في حلم وبعد ان اطمأنت على سلامتي وبعد ان تفقدت جسمي واطمأنت اني لم أصب بأذى تلفت يمناً ويسرة لأتعرف على موقعي فاذا بي أشاهد بقية الركاب وقد تناثروا على مسافات متفاوتة حولي هنا وهناك . رفعت يدي للسماء وحمدت الله على إنقاذي وسلامتي ، وتذكرت في نفس الوقت رباطة جأش قائد الطائرة واختياره هذا الموقع الرملي لسقوطنا إذ لو كان سقوطنا في أرض صلبة لكنا اليوم في عداد الأموات .

لم تكن مهمة البلدية في ذلك الزمان تنظيف المدينة وتجميلها بل كانت تقوم بمهام أخرى بالاضافة لذلك . كان من مهماتها تخطيط الشوارع والمدن والقيام بأعباء إطفاء الحرائق والإشراف على ادارتها . كما كانت تشرف على دار المجانين - كما كان يطلق عليها آنذاك - وتتولى رعايتهم وتدير أمورهم وبمناسبة ذكر المجانين أروي هنا واقعة طريفة : كانت المنافسة بين بلدية المنامة وبلدية المحرق شديدة خاصة بين سكرتيري البلدية في ذلك الزمان علي بن حسين الخلفان سكرتير بلدية المنامة (قبل محمد صالح الشتر المشار اليه آنفاً) ومحمد صالح خنجي سكرتير بلدية المحرق ، وكان كل منهما ينتقد الآخر علناً أمام المسؤولين ، وفي أحد الأيام وصل الى المستشار بلكريف كتاب من سكرتير بلدية المنامة (علي بن حسين) يقول فيه «ان بلدية المنامة مرهقة بمصاريف وأعباء دار المجانين ولا تساهم بلدية المحرق بشيء من هذه المصاريف بالرغم بأن غالبية المجانين الموجودين في الدار جاءوا من المحرق» . عندما قرأت هذا الكتاب على المستشار بلكريف انفجر ضاحكاً واستمر ضحكاً وقهقهته مدة طويلة .

بيوت أم الحصم:

عندما كان سعادة الشيخ عبدالله بن خالد آل خليفة رئيسا لبلدية المنامة وكنت عضوا فيها زار البحرين السيد الرفاعي رئيس بلدية الكويت آنذاك ربما بدعوة من الشيخ عبدالله وفي اثناء تجواله في نواحي البلاد وزيارته لمنطقة ام الحصم شاهد بعض البيوت المبنية من سعف النخيل على الطريقة القديمة ولما سأل عنها اجيب انها لأناس فقراء فاستغرب وجود بيوت كهذه في منطقة مهمة كأم الحصم ولكنه اخبر ان الوضع المالي في ذلك الوقت لا يساعد على ابدائها بيوت حديثة. فاقترح على سعادة الشيخ عبدالله بعد ان دعاه لزيارة الكويت ان يطلب قرضه حسنة من حكومة الكويت تكفي لبناء هذه البيوت. استحسن الشيخ عبدالله الفكرة ولما عرضها على المسؤولين بالحكومة رحبوا بها فاختر ان يصطحبه وفد مكون من اثنين من اعضاء مجلس البلدية لرد الزيارة للكويت واختارني، جزاه الله خيرا، كأحد اعضائها. توجهنا الى الكويت وكان سمو الشيخ جابر الاحمد في ذلك الوقت لا يزال ولياً للعهد ويتولى رئاسة الوزارة.

قام الوفد بزيارة سمو الشيخ جابر وشرح لسموه ما ستقدم عليه البحرين من تطور عمراني ثم قام كذلك بزيارة البلدية للاطلاع على ما خططته من مشاريع عمرانية بالكويت. وفي نفس الوقت قدم الوفد طلب القرض المطلوب لسمو رئيس الوزراء عن طريق رئيس بلدية الكويت. في مساء ذلك اليوم دعانا سمو الشيخ جابر الى مأدبة عشاء في قصره وبعد تناول العشاء فتح سموه موضوع القرض المطلوب عارضا تخصيص منحة بدل القرض مقدارها مليون دينار تدفع على دفعتين كل سنة خمسمائة الف دينار، تردد الشيخ عبدالله وقال اننا جئنا لطلب قرض، ولما ألح الشيخ جابر برز اقتراح بالموافقة بشرط عرض الامر على المسؤولين بحكومة البحرين وعند العودة الى البحرين وافق المسئولون على قبول هذه المنحة الكريمة وبهذا المبلغ ازيلت العشش وبنيت مكانها بنايات حديثة سلمت لمستحقيها من الفقراء والمحتاجين.

(الفصل السادس)

مجلس أمناء مدرسة الحكمة النموذجية



صاحب السمو الشيخ حمد بن عيسى آل خليفة
ولي العهد القائد العام لقوة دفاع البحرين



سمو الشيخ سلمان بن حمد آل خليفة يفتتح مقر مدرسة الحكمة النموذجية
ويظهر عن يمينه المؤلف راشد الزباني.
كما يظهر في الخلف من اليمين: الدكتورة منى راشد الزباني،
الشيخ عيسى بن عبدالله آل خليفة، السيد يوسف نجم والسيد عبدالرحمن كانوا.

مجلس أمناء مدرسة الحكمة النموذجية

أعربت ابنتي الكبرى منى عام ١٩٧٩م عن رغبتها في تأسيس مدرسة خاصة تكون لها مناهج متميزة باللغتين العربية والانجليزية، ومنذ ذلك الحين عمدت الى اكمال دراستها العليا في الولايات المتحدة الامريكية .

بعد عودتها عام ١٩٨٥م وحصولها على شهادة الدكتوراه في المناهج وطرق التدريس عملت في جامعة الخليج العربي بالبحرين لبضع سنوات، بادرت أثناءها في الحصول على ترخيص بفتح مركز البحرين للقراءة والكمبيوتر من قبل وزارة التربية والتعليم عام ١٩٨٦م . ثم فتحت روضة افتتح يا سمسام عام ١٩٨٧م ومركزاً لتقويم النطق ثم توجت عملها بانشاء مدرسة الحكمة النموذجية عام ١٩٨٨م .

أيدت خطواتها وباركتها وساندت مسيرتها وبادرت بالانضمام الى مجلس أمناء مدرسة الحكمة النموذجية المكون من عشر شخصيات بارزة من البحرين والسعودية . وقد أجمع الأعضاء على انتخابي رئيساً للمجلس . والمجلس تطوعي استشاري يوجه سير المدرسة ويرشدها في جميع المجالات .

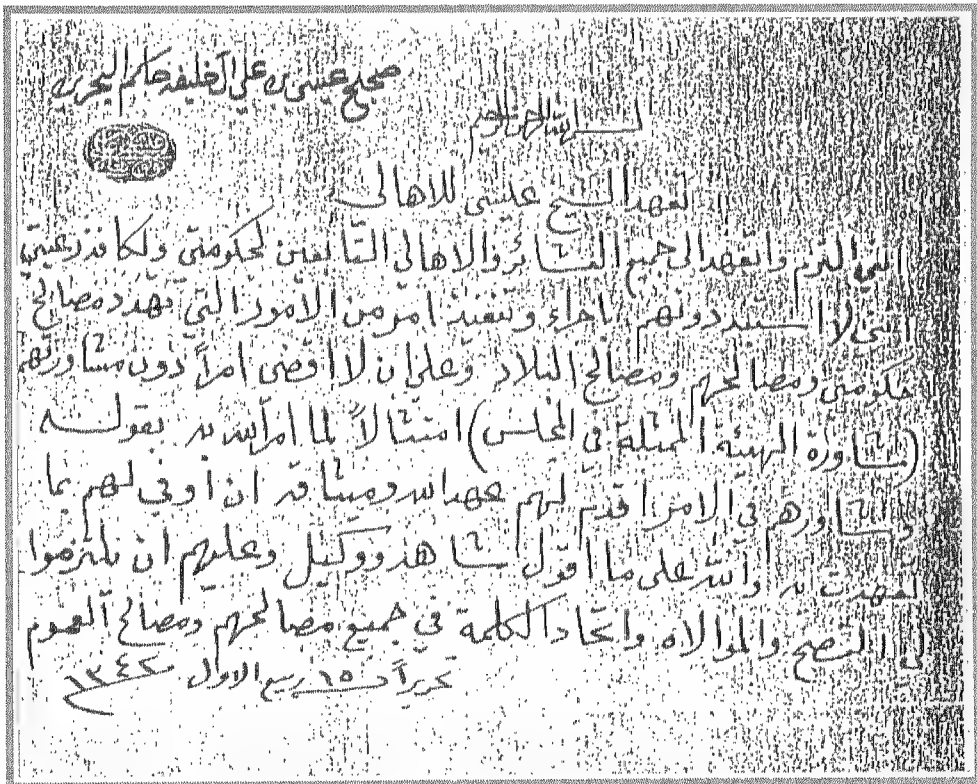
ومن فضل الله كان الاقبال كبيراً على الالتحاق بالمدرسة مما أوجب التوسع في مساحتها وزيادة عدد صفوفها فاتفق على بناء مقر لائق وواسع للمدرسة على ارض تكرم بها مولانا صاحب السمو الشيخ عيسى بن سلمان آل خليفة أطيال الله عمره، وقد قمت بتقديم المشورة والاشراف على تنظيم الميزانية ودراسة التصاميم وبوشر في العمل في مايو عام ١٩٩٣م .

انتقلت المدرسة الى المرحلة الاولى من مقرها في عام ١٩٩٣/١٢/١١م بينما اكتملت جميع مرافق المبنى ومراحله في نهاية العام الدراسي ٩٣ - ١٩٩٤م وفي ١٩٩٤/١٢/٢٥م تكرم صاحب السمو الشيخ حمد بن عيسى آل خليفة ولي العهد، القائد العام لدفاع البحرين اطيال الله عمره برعاية الافتتاح الرسمي منيباً سموه نجله سمو الشيخ سلمان بن حمد آل خليفة حضور حفل الافتتاح، والحمد لله على ذلك .

(الفصل السابع) مجلس الشورى

مجلس الشورى

أشرت في صفحة (٣٩ - ٤١) الى ان المغفور له الشيخ عيسى بن علي آل خليفة في عام ١٣٤٢ هجرية قد استحسن ونادى بتشكيل مجلس شورى من الأهالي، كما جاء في الوثيقة أدناه ولكن الميجر ديلي المعتمد البريطاني آنذاك عارض خطته هذه وعرقل مسعاها الحميد.





صاحب السمو الشيخ عيسى بن سلمان آل خليفة
امير البلاد المفدى

فاذا كان الشيخ عيسى بن علي آل خليفة، طيب الله ثراه، قد نادى بتشكيل مجلس شورى قبل أكثر من سبعين سنة مضت، كما تشير الوثيقة الآنفة الذكر، وان ذلك المجلس لم يتشكل للأسباب المذكورة سالفا فان حفيده عيسى بن سلمان، أطال الله عمره، قد حقق لأهالي البحرين ما أراد جده أن يحققه إذ أمر في ١٦ يناير ١٩٩٣م بتشكيل مجلس الشورى المشار اليه. فتحية إجلال وإكبار للأمير المفدى صاحب السمو الشيخ عيسى بن سلمان آل خليفة وهنيئاً لأهالي البحرين هذه اللفتة السامية.

(الفصل الثامن)

اسهامات اجتماعية خيرية

أولاً: نادي البحرين وكيف أنشئ

في سنة ١٩٣٦م وكنا نسكن المحرق زارني المرحوم جاسم العمران وقال «ارتأيت أنا وبعض الشباب إنشاء ناد ثقافي واجتماعي وربما رياضي فيما بعد والمهم فوق هذا وذاك هو تجمعنا أثناء فراغنا» ثم أضاف قائلاً «ذهبت الى عمي الأستاذ أحمد العمران أستشيريه في الأمر فقال لي الفكرة ممتازة وأنا أشجعكم على ذلك ولكن أقترح أن تذهب الى راشد الزياني تفاتحه في الأمر وتطلب منه أن يتولى المهمة فهو خير من اختار للقيام بها وبتحقيقها، لذلك أنا جئت اليك فما رأيك؟» انتهى حديث المرحوم جاسم. رحبت بالفكرة بعد أن سألته عن الأشخاص المشاركين وكانوا كلهم من المحرق أذكر منهم بالحاضر أحمد جعان - ابراهيم حسن فخرو - عيسى الحادي - يوسف الساعي - محمد جلال - يوسف العمران - حسن العمران - محمد الغرير - محمد حسن الحسن - ابراهيم المحميد ثم حسبما أتذكر انضم الينا المرحوم عبدالعزيز الشمالان، اجتمعنا وكان العدد ١٩ شخصاً واتفقنا على تنفيذ الفكرة وقررنا رسم اشتراك العضو الشهري روية واحدة (١٠٠ فلس بحريني) كما اتفقنا على اختيار مجلس الادارة فاقترحت ان يتولى الرئاسة المرحوم عبدالعزيز الشمالان بحكم انه زميل عزيز علينا وانه أكبر مني سناً، استأجرنا غرفتين صغيرتين قديمتين تقعان قرب مركز الشرطة بالمحرق يفصل بينهما سطح خصصنا واحدة للألعاب (دامة - دومنة - كيرم) والأخرى عبارة عن مكتبة واجتماعات ادارية.

بعد مرور سنة أو ما شابهها طلب مني الاخوة ان أتولى الرئاسة لأن المرحوم الشمالان يسكن في أم الحصم ومرتبطة بعمل مع شركة نفط قطر، استلمت الرئاسة وبدأت أفكر وأفكر مع الاخوة الأعضاء في طريقة تمكنا من ايجاد دخل مجز للنادي، فالنادي بدخله البسيط بالكاد يستطيع أن يسد مصاريفه وبعد تفكير طويل خطرت لنا فكرة قد تساعد على تحسين حالة النادي المالية، والفكرة عبارة عن القيام بتمثيل رواية مسرحية يقوم بأدوارها بعض الأعضاء. وان ندعو الجمهور لمشاهدتها مقابل رسم دخول معقول.



مدخل نادي الجهرية

تبلورت الفكرة ووضحت فوائدها فاخترنا رواية مجنون ليلى الشعرية للشاعر الكبير أحمد شوقي ووزعنا أدوارها بين الأعضاء . ولكن هنا اعترضتنا مشكلة القيام بدور «ليلى» فاشتراك النساء في ذلك الزمان في التمثيل غير وارد، وبعد تفكير اتفقنا على ان يقوم المرحوم حسن العمران بدور ليلى ويقوم أخوه يوسف العمران بدور قيس وكنت بمساعدة بعض الاخوة أقوم بدور المخرج . وبمرور الأيام والليالي حفظنا الرواية الشعرية عن ظهر قلب من كثرة ما رددنا تمثيلها، ولما وجدنا اننا أجدنا أدوارها، بدأنا نفكر في إيجاد مسرح لمباشرة عرض المسرحية على الجمهور فتكرم علينا المحسن الكبير المرحوم سلمان بن مطر (١) بأن سمح لنا بتشبيد مسرح في إحدى عماراته القريبة من مقر النادي .

قام بتصميم المسرح وتشبيده أحمد جمعان بمشاركة بعض الأعضاء ولما اكتمل تشييده أعلننا الافتتاح بعد أن وجهنا دعوات خاصة الى بعض الشيوخ وعلى رأسهم المغفور له سمو الشيخ عبدالله بن عيسى آل خليفة والمغفور له سمو الشيخ سلمان بن حمد آل خليفة الذي كان آنذاك ولياً للعهد، اما اجرة الدخول فكانت روية واحدة .

كان الاقبال كبيرا أكثر مما توقعنا، رغم الحالة المالية الضعيفة في البلاد آنذاك، وكان نجاح الرواية منقطع النظير وقد خصصنا قسماً من دخلها للأعمال الخيرية . كانت حصيلة تمثيل الرواية تتراوح بين ألف وخمسمائة وألفين روية، ولما وجدنا انه قد توفر لنا مبلغ محترم نسبياً فكرنا في الحصول على مقر أكبر وأوسع فاستأجرنا بيتاً قديماً بشمال المحرق بدل الغرفتين الصغيرتين وبقينا فيه الى ان بني نادي البحرين الحالي .

في عام ١٩٥٢م علمنا ان شخصا إيرانياً من بحارة القوارب التي تجلب الأغذية والخراف من إيران يستطيع أن يقوم بحركات وألعاب هبلوانية من حمل أثقال ومرور سيارة على جسمه أو جر لوري بأسنانه فاعتدنا فرصة وجوده بالبحرين وتقدمنا للحكومة نطلب رخصة لاستضافته بالنادي للقيام بتلك

(١) صورته ونبذة عن أعماله الخيرية صفحة (٢٧)



خليل عقاب وعرض رياضي في نادي البحرين

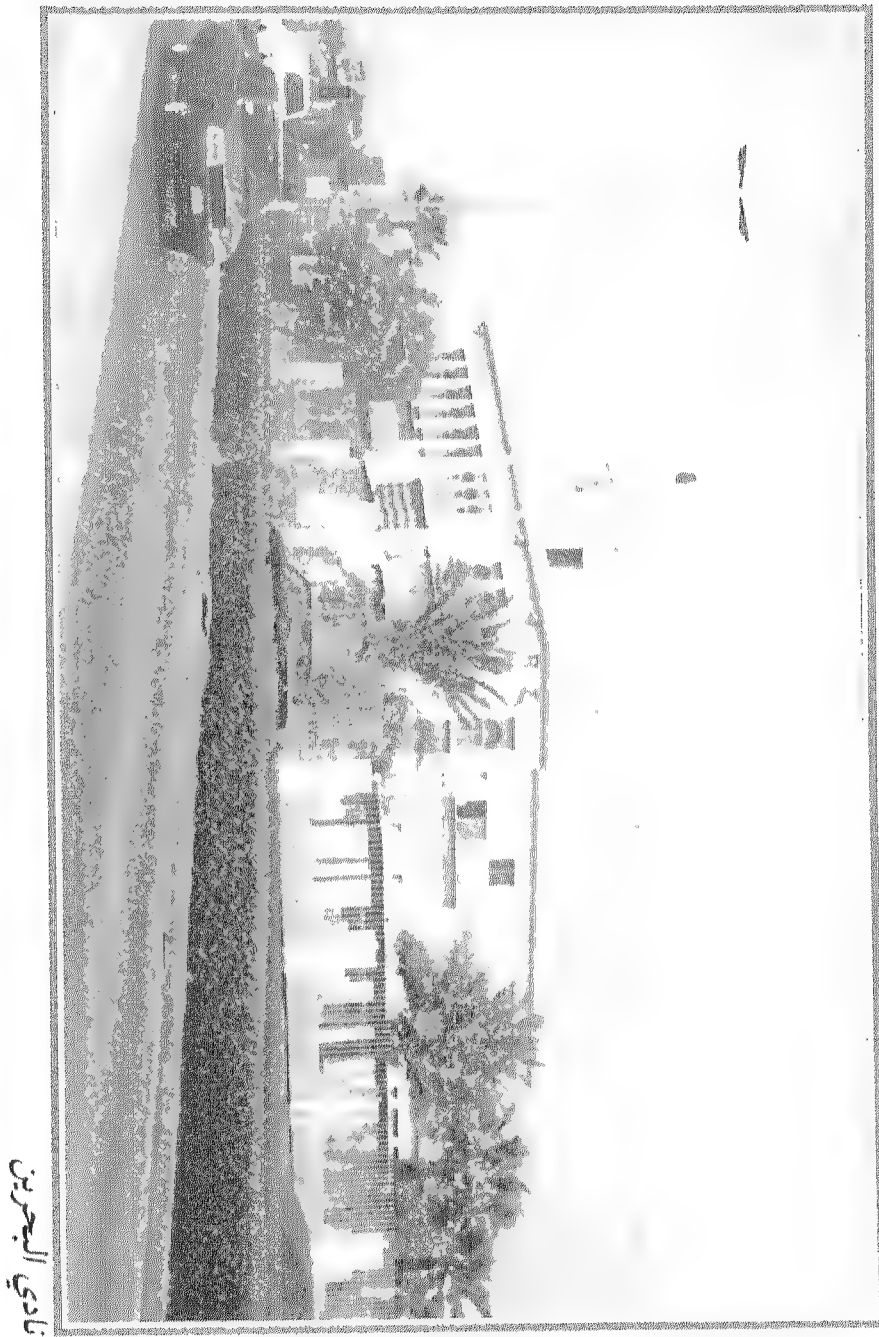


مشهد من عروض خليل عقاب في نادي البحرين

الحركات مقابل مبلغ يتفق عليه . انتظرنا الجواب ولما طال انتظارنا ذهبنا لمقابلة المستشار بلكريف في مكتبه بدار الحكومة ، بصفته مستشار الحكومة ومدير الشرطة بالنيابة ، وبمجرد ان فاتحته في الموضوع مد يده وفتح احدى مجرات درج مكتبه وأخرج منه عريضتين بهما من التوقيعات ما يزيد على ١٥٠ توقيعاً سلمني العريضتين لقراءتهما ، كان فحواهما متشابهاً وخلاصته تحذير بعدم السماح لهذا البحار واسمه خليل عقاب أن ينزل في البحرين فبنزوله ربما تحدث فتنة وان نزوله يهدد الأمن . . وما الى ذلك من كلام غريب - بعد قراءة العريضتين ابتسمت وقلت لمستر بلكريف «أمرك غريب انت مستشار حكومة البحرين وقمندان بوليسها ، يخيفك صعلوك مثل هذا . . أنا مستعد أن أعطي تعهداً على نفسي بأن أتولى استلام الشخص المذكور من سفينته الى النادي وان ارجعه الى السفينة بعد الانتهاء من عمله وأتحمل مسؤولية ما يحدث - نظر الى المستشار نظرة استغراب وبعد فترة تفكير وتردد انحنى على الطاولة ووقع موافقته على طلبنا .

اتفقنا مع خليل عقاب ليقوم بحركاته البهلوانية في ساحة النادي لمدة عشر ليال وكانت اجرة الدخول كما أذكر عشر روبيات . كان الإقبال كبيراً على مقر النادي لمشاهدة حركات وألعاب البهلوان وقبل آخر يوم زرت المستشار بلكريف في مكتبه ووجهت اليه دعوة لزيارتنا ومشاهدة ما يقوم به خليل عقاب من حركات بهلوانية ، رحب بذلك وحضر . بعد انتهاء الحفل والاستعراض وعند توديعه ومصافحته عند الباب وضع في يدي عشر روبيات حاولت أن أثنيه عن ذلك بحجة انه مدعو فلم يقبل ، وأصر على دفعها فلم يسعني إلا القبول .

أحصينا دخل العشر ليال فاذا به يبلغ حوالى ثلاثين ألف روبية ، ما شاء الله ، قفزة مالية كبيرة تحققت للنادي . بعد يومين أو ثلاثة من انتهاء عرض خليل عقاب في نادينا سمعنا ان أحد الأندية بالمنامة يسعى للاتفاق معه فأغرانا الطمع وقمنا باحتجاج ومناورة تمكنا فيها من الاتفاق مع النادي المذكور على المشاركة معه مناصفة في الدخل ، فأدى خليل عقاب دوراً جديداً استمر خمس



نادي البحرين

ليال في نادي المنامة المشار اليه آنفا، حقق لنادينا حصة تبلغ خمسة آلاف روية. هنا كما يقال «كبر رأسنا» من غير المعقول ان يكون مقرنا تافها في ذلك البيت المتهالك الحقير ونحن نملك ٣٥ ألف روية او ما يفوقها قليلا بل لابد لنا من بناء ناد محترم يفتخر به، ولكن أين وكيف؟ بعد اجتماعات متواصلة اخترنا الموقع وهو موقع نادي البحرين الحالي وكان آنذاك عبارة عن أرض صحراوية خالية واتفقنا على ان نطلب من الحكومة منحنا أرضا مساحتها حوالى ٢٥٠ × ٢٥٠ قدما من هذه الأرض الخالية.

تقدمنا للمستشار بلكريف نطلب منحنا تلك الأرض وترك لي شخصيا متابعة الحصول على الموافقة. مرت أيام بل أسابيع على تقديم طلبنا دون أن ندرك جوابا. طلبت مقابلة المستشار للاستفسار عن تأخير الجواب فكان اعتذاره عن التأخير انه لا بد ان يعرض الموضوع على صاحب السمو الشيخ سلمان وأخذ موافقته، وأخيرا لما استلمت كتاب الموافقة أخذته الى الاخوة أعضاء مجلس الادارة وأنا أكاد أطير من الفرح بهذه الهبة السخية ولكن فرحتي مع الأسف لم تتم إذ رأيت من الاخوة بعد أن بشرتهم وقرأت عليهم كتاب الهبة رأيت منهم فتورا وتلملا ولما استوضحت منهم قالوا ان الأرض بحجمها هذا لا تكفي ونفضل ان تكون أكبر، هنا كاد يطير صوابي وقلت لماذا في بادئ الأمر لم تطلبوا مساحة أكبر، خاصة وان طلب هذه المساحة كان بالاتفاق بيننا، وبعد تفكير قلت لا بأس سأحاول وأمري لله. طلبت مقابلة المستشار بلكريف مرة أخرى وشكرته على مسعاه شكرا جزيلا منا جميعا ثم أوضحت له ان المساحة غير كافية للنادي وتوسعته وملاعبه فترجو زيادتها قال «يا راشد أنت تعرف اني أخذت موافقة الشيخ سلمان وأرى من الصعب الآن أن أعيد الموضوع على سموه».

مرت فترة صمت وتفكير بيني وبين المستشار الذي كان مستلقيا بكرسيه الى الخلف ساندأ رأسه على حافته يفكر وينفخ دخان سيجاره الكبير بحدة وكنت أشعر ان الدخان يكاد يخنقني، مرت هذه الفترة فلا أنا ألححت ولا هو أظهر لي انتهاء المقابلة، اعتدل على اثرها بكرسيه ووضع سيجاره في

المنفضة وقال بتمتته المعتادة، التي كنت قد تعودت عليها أثناء اشتغالي معه سنوات عديدة في ديوان الحكومة، قال «يمكن أن نؤجركم قطعة أرض اضافية بموجب ما نؤجر للـ (RAF) (الطيران البريطاني) أي بأجر اسمي أظنه في ذلك الوقت ربع روبية في السنة (أي ٢٥ فلسا) ولمدة ٩٩ سنة، انفرجت أسارير وجهي بعد ذلك الصمت الرهيب وحمدت الله على وجود الحل، وهكذا حصلنا على الزيادة بهذه الصيغة، ولما بلغت الاخوة بذلك سروا بها فتوكلنا على الله وشرعنا في بناء نادي البحرين القائم الآن جنوبي مقبرة المحرق.

بالمناسبة أود أن أقول ان المستشار بلكريف كان في كل الأوقات لطيفا معي ويقدر مجهودي وعملي أثناء اشتغالي معه في ديوان الحكومة.

ثانياً: نزع فتيل فتنة بين السنة والشيعية

يعيش شعب البحرين بعقيدتيه السنية والشيعية عيشة اخوية غير انه لا يروق لبعض المفتنين ان يروا هذا الصفاء والمودة بينهم فيسعون الى خلق سبب للفتنة وكثيرا ما يكون هذا السبب تافها ولكن بعضهم يذكي نارها ففي عام ١٩٥٣م قامت فتنة من هذا النوع تجمهر اثناءها كل من الطرفين في ناحية او في فريق وأخذ يهدد الآخر بالهجوم والمشاجرة.

بطبيعة الحال خلق هذا التهديد حالة من التوتر والقلق كما اشاع الاشاعات المفرقة بين الشعب بأكمله.

مضى على هذا التوتر عدة ايام ومستر بلكريف مستشار الحكومة وهو في نفس الوقت قمندان شرطتها لا يكاد يفعل شيئا لمعالجة الوضع وانهاء هذا التوتر والقلق، اتصلت تلفونيا بالمرحوم الحاج احمد يوسف فخرو في متجره المجاور لمتجرنا وتبادلنا الحديث حول السعي لانهاء هذا الوضع غير المستحب من الجميع كما اتصلت ايضا بالمرحوم الحاج خليل كانو لنفس الغاية والغرض وبشخص آخر رابع لا اذكره الآن وعرضت عليهم ان نتوجه الى دائرة الحكومة لنقابل المستشار بلكريف ونطلب منه العمل على انهاء هذا الوضع المتوتر بالسرعة، ابدى الجميع موافقتهم واهتمامهم بالامر فذهبنا جميعا الى ديوان الحكومة فلم نجد المستشار موجودا فيها بل وجدنا سكرتيه «نارين» الذي اخبرنا ان المستشار بالقلعة (١) وربما لا يعود الا بعد الثانية ظهرا. طلبنا منه الاتصال به تلفونيا واخباره بحضورنا لملاقاته فكان جوابه انه مشغول ولا يستطيع الحضور فوجهنا اليه كلمة شديدة طلبنا من نارين ابلاغها اليه تلفونيا، وهي اننا جئنا لاسكات هذه الفتنة وبما انه لم يبد أي تعاون معنا فائننا نحمله المسؤولية لما سيحدث. عندها ارتبك نارين وسمعته يقول للمستشار الافضل ان تسعى الى مقابلتهم فهم منزعجون جدا «اجاب المستشار سألقاهم بعد الساعة الثانية عندما أرجع».

(١) القلعة : مركز القيادة العامة للشرطة

خرجنا من غرفة نارين على امل ان نعود في الساعة الثانية كما وعدنا بلكريف واذا بنا نلتقى في ممر الدائرة باربعة من كبار اخواننا الشيعة - المرحوم منصور العريض والسيد محمود العلوي والسيد حسن المديقع وآخر لا اتذكر اسمه الآن. تبادلنا معهم اطراف الحديث فاخبرونا انهم جاءوا لنفس الغرض ولقابلة المستشار بلكريف لنفس المسعى الذى نسعى اليه، اخبرناهم بما جرى مع نارين والمستشار وتواعدنا معهم ان نجتمع في دائرة الحكومة في الساعة الثانية.

اجتمعنا في الوقت المحدد وقبل ان يحضر بلكريف تطرقنا لموضوع هذه الفتنة واذا الكل منا يستنكر حدوثها. حضر بلكريف وابدينا اليه استياءنا من عدم مبالاة الحكومة واهتمامها باخمادها واننا قررنا الاتصال بالطرفين والعمل على اسدال الستار على هذه الفتنة، لم يعلق بلكريف على مسعانا بل ردد كلمة آسف وقال انه ايضا سوف يحاول. اتفقنا على خطة هى: ان اذهب انا والمرحوم احمد فخرو الى المحرق في ذلك المساء لنهدىء من حماس المتجمهرين امام دائرة الشرطة بالمحرق وان يذهب السيد محمود العلوي في نفس الوقت ومعه شخص آخر الى جماعة المتجمهرين في فريق المخارقة في المنامة ليهدئهم وبعد المغرب نذهب انا والمرحوم فخرو الى الرفاع الشرقى حيث يوجد تجمع كبير يهدد بالهجوم في اليوم التالى على المنامة ويذهب السيد وزميله الى بعض القرى لنفس الغرض ثم نجتمع في اليوم الثانى لنستعرض نتائج هذه الزيارات.

توجهت والمرحوم احمد فخرو الى المحرق عصر ذلك اليوم لالتقاء بالمتجمهرين فيها وعند وصولنا الى محل تجمعهم احاطوا بسيارتنا وهم يهددون ويتوعدون، اراد المرحوم احمد فخرو ان يلقي فيهم كلمة ولكن ضجيجهم وصراخهم الواصل الى عنان السماء منع كلمته من ان تصل الى اقرب القريب منهم عندها صعدت على ظهر السيارة وصرخت بأعلى صوتي عدة مرات قائلاً «اسكتوا - اسكتوا - واسمعوا ما سنقوله لكم» هدأت اصواتهم نوعاً ما وقلت «ان هذه الفتنة ليست في صالح احد ونحن قبل لحظات اجتمعنا مع اخواننا جماعة الشيعة وكلنا استنكرنا هذه الفتنة وجئنا لنطمئنكم ان كل شىء سيعود الى طبيعته وترجع الاخوة اقوى مما كانت عليه

بين الطرفين، وقع كلامي هذا موقع الحيرة والريبة والتشكك بين البعض (ولا يلامون في ذلك فالاشاعات المفرضة قد تفشت بينهم) وبدأوا يسألون سوالات مختلفة اطمأنوا كما يظهر بعدها بأن الامور ستسير سيرا حسنا، بعد المغرب توجهنا الى الرفاع وكانت تلك الليلة ليلة مقمرة كما اذكر وما ان وصلنا مكان التجمع حتى احاط بنا عدد كبير من المتجمهرين وكإخوانهم كذلك يتوعدون ولكنهم كانوا نوعاً ما اهدأ من المحرقين جلسوا اليينا واخبرناهم بما جرى وكانوا قد صمموا في اليوم التالي الزحف على المنامة لمساعدة اخوانهم كما يدعون، فسروا بهذه البادرة.

التقينا ببقية الجماعة في اليوم التالي كما اتفقنا وتبادلنا نتائج الزيارات التي ولله الحمد والمنة هذأت الوضع واعادت الامور الى نصابها وحمدنا الله جل جلاله ان هدانا الى اسكات فتنة مفتعلة لا داعي لها والى التفاهم الاخوي بيننا.

بهذه المناسبة اذكر هنا حادثة طريفة حدثت للمستشار بلكريف خلال تلك الايام. كان المستشار بلكريف عائداً من المحرق الى المنامة في سيارته التي كان يقودها بنفسه وكان يصاحبه خادمه (حمود) الذي كان يجلس في المقعد الخلفي من السيارة وكانت الباصات التي تنقل الركاب بين المحرق والمنامة متوقفة بسبب هذه الحوادث.

في اثناء مرور المستشار بلكريف بموقف الباصات بالمحرق شاهد رجلاً اعمى يتوق للذهاب الى المنامة ولا يجد السبيل الى ذلك فأوقف سيارته وأمر خادمه (حمود) ان يدعوه ليوصله الى المنامة، ركب الاعمى السيارة وجلس بجانب حمود في المقعد الخلفي.

وبينما كان بلكريف منطلقاً بسيارته تجاه المنامة بدأ الرجل الاعمى يلقي الكلام على عواهنه بصوت عال مسموع قال «الله يلعن هذا المستشار جلب لنا البلوى والأذى في هذا البلد، الله يخلصنا منه».

يقول حمود الذي روى لي هذه الحادثة الطريفة حاولت اسكاته بأن قرصته عدة قرصات في فخذه ولكنه لم يفهم قصدي وواصل مسبته للمستشار الذي يتكلم العربية وقد سمع ما فاه به الاعمى من مسبة وتجريح فلم يعلق او يعترض لأن البرود الانجليزي كان بطبيعة الحال غالباً عليه.

الباب العاشر

اسهامات في نهضة البحرين الاقتصادية

اسهامات اقتصادية في نهضة البحرين الحديثة

مقدمة

لقد قمت بمساهمات في نهضة البحرين الاقتصادية اذكر منها على سبيل المثال ما يلي :

- تأسيس شركة عبدالرحمن الزباني واولاده صفحة (١٩٣).
- تأسيس شركة الخليج للتجارة والهندسة صفحة (١٩٣).
- بناء فندق دلمون، أول فندق درجة اولى في البحرين صفحة (٢٣٧).
- انشاء مصانع بلاستيك الخليج، أول مصنع للبلاستيك في البحرين والمنطقة صفحة (٢٣٨).
- تأسيس بنك البحرين والكويت ش. م. ب.
- تأسيس بنك اليوباف العربي الدولي ش. م. ع (اوفشور).
- تأسيس شركة التسهيلات التجارية ش. م. ب.
- تأسيس بورصة البحرين.
- استثمارات الزباني ذ. م. م.
- تأسيس مستشفى البحرين التخصصي ش. م. ب.

(الفصل الأول)
بنك البحرين والكويت

بنك البحرين والكويت

في مكان آخر من هذه الذكريات كتبت ما أذكره عن الغرفة التجارية صفحة (٢٤٩) واني كنت سكرتيرها مدة خمس سنوات حتى عام ١٩٥٦م. في السنتين الأخيرتين توسعت أعمالنا التجارية أي «عبدالرحمن الزياتي وأولاده» توسعا كبيرا وزادت مسئولياتي بالنسبة لعملنا التجاري ولم يكن أحد من اخوي يشاركني المهمة في البحرين والفروع الخليجية الأخرى (عدا الكويت) فأحدهما كان يتولى فرع الهند والآخر فرع الكويت فرأيت انه لابد لي من التخلي عن سكرتارية الغرفة والتفرغ لأعمالنا التجارية المتشعبة خاصة وان أعمال الغرفة قد زادت وتوسعت وأصبحت تحتاج الى تفرغ لمقابلة المسئوليات الملقاة على عاتقها فتولى أخي المرحوم علي الوزان منصب السكرتارية اما أنا فقد بقيت عضوا من أعضاء مجلس الغرفة وبعد مضي بضع سنوات اختير الأخ المرحوم الوزان ليتولى رئاسة الغرفة.

في هذه الحقبة من الزمن نشط العمل التجاري في منطقة الخليج بصورة عامة فكان هذا النشاط حافزا لنا في الغرفة لأن نتطلع الى تكثيف النشاط التجاري بيننا وبين اخوتنا من أبناء الخليج والتعاون معهم في سبيل إنشاء مشاريع أو مؤسسات تجارية مشتركة. بدأنا بالاتصال باخواننا تجار الكويت حيث تدارسنا معهم إنشاء شركات مشتركة كشركة بواخر خليجية مثلاً، واستقر رأينا معهم أخيراً على إنشاء بنك مشترك تشمل فروعه منطقة الخليج وربما نواحي أخرى من العالم فيما بعد. كان مبدأ تعاوننا معهم المساواة في الشراكة دون امتياز أو تفضيل لأحد الطرفين وعلى هذا الأساس ومن هذا المنطلق برز للوجود بنك البحرين والكويت في عام ١٩٧٢م برأسمال قدره مليون دينار بحريني نصف رأسماله مساهمة من أبناء البحرين والنصف الآخر مساهمة من بنوك ومؤسسات مالية كويتية.

عند تشكيل المجلس المكون من عشرة أعضاء نصفهم من البحرين والنصف الآخر من الكويت انتخب الأخ المرحوم علي الوزان رئيساً وانتخبت



صاحب السمو الشيخ خليفة بن سلمان آل خليفة يقص الشريط ايدانا بافتتاح بنك البحرين والكويت وعن يمينه المؤلف راشد الزياني رئيس مجلس الادارة وعن يساره سعادة وزير التجارة الكويتي آنذاك السيد خالد العدساني



أحد محالس ادارة بنك البحرين والكويت الأوائل ويظهر من بين أعضائه المرحوم سعود العبدالرزاق على يمين رئيس مجلس الادارة السيد راشد الزياني (المؤلف) والسيد ابراهيم اسحاق على يسار الرئيس ثم السيد جاسم الصقتر والسيد صادق البحارنة، كما يظهر في الصورة السيدان عبدالله بوهندي وغازي الموسوي وسكرتير المجلس سعد الحوطي

أنا نائبا للرئيس وانتخب السيد جاسم فخرو عضوا منتدبا كما انتخب المرحوم سعود العبد الرزاق نائبا ثانيا للرئيس والسيد بدر الداوود عضوا منتدبا ثانيا .
 شرعنا في التحضير لافتتاح البنك رسميا بعد أن استأجرنا محلا صغيرا يفي بحاجته آنذاك في شارع التجار بالمنامة إلا ان قدر الله ، ولا راد لقضائه سبحانه وتعالى ، اختار المرحوم الوزان الى جواره مما أفجع الجميع فقد كانت له ، رحمه الله ، منزلة ومحبة من الجميع وبحكم منصبي كنائب للرئيس توليت الإشراف والمتابعة لافتتاح البنك الذي تم بحمد الله برعاية وتفضل صاحب السمو الشيخ خليفة بن سلمان آل خليفة رئيس الوزراء . وذلك في ١٦ فبراير ١٩٧٢م بعدها أعيد تشكيل المجلس من جديد فانتخبت رئيسا للمجلس وظل الاخوة أعضاء المجلس يعيدون انتخابي للرئاسة طيلة السنوات التالية وحتى الآن ، ولاشك اني مدين لهم بهذه الثقة الغالية وشاكرا لهم ثقتهم بي .
 كان عدد البنوك المحلية آنذاك لا يتجاوز أحد عشر بنكا وكانت الحكومة قد وضعت نظاما خاصا للبنوك التي تدعى (أوفشور) (١) . لم يكن هدفنا اقتصار نشاطنا على البحرين والكويت بل كما ذكرت آنفا التوسع وطرق أبواب البلدان الأخرى ابتداء من بلدان الخليج .

فرع سلطنة عمان:

ابتدأنا بسلطنة عمان وبعد الدراسة والتحري ، توجهت على رئاسة وفد من مجلس البنك مكون من أربعة أعضاء الى سلطنة عمان حيث قابلنا سكرتير جلالة السلطان قابوس بن سعيد وعند طرح الفكرة عليه قال انه سيوصي بإعطائنا رخصة فتح فرع للبنك ، طلبنا التشرف بمقابلة جلالة السلطان فكان لنا مع جلالته خير لقاء وفرصة سانحة حيث شرحت لجلالته أهداف البنك ومشاريعه وقد لقينا من جلالته كل اهتمام وتشجيع كما حدثنا بجلالته بحديث الواعي المتفهم لأمر المنطقة الاقتصادية ، في اليوم التالي وصلنا كتاب من

(١) أوفشور: كلمة انجليزية تعبر عن البنوك التي يكون مركزها في البحرين ولكن معاملاتها تكون مع الخارج فقط فلا تزامم البنوك المحلية في معاملاتها الداخلية.

سكرتير جلالة السلطان يأذن لنا بفتح فرع للبنك في السلطنة ولكن كما ذكرت سابقا انه ليس من مبدئنا فتح فرع في السلطنة بل المشاركة كما فعلنا مع اخواننا الكويتيين لذلك بدأنا الاتصال بتجار مسقط وكان عددهم في ذلك الوقت لا يتجاوز الخمسة عشر تاجرا وكانت تربطني ببعضهم علاقة صداقة وتعامل تجاري.

كانت الغاية من الاتصال والزيارة لهم في محلاتهم شرح الغاية من زيارتنا وفي نفس الوقت دعوتهم للمشاركة معنا. بعدها قررنا دعوتهم الى اجتماع عام في قاعة فندق الفليج حيث ألقى فيهم كلمة أوضحت فيها فكرة تأسيس بنك البحرين والكويت وأخبرتهم اننا قد حصلنا على رخصة لفتح فرع للبنك في سلطنة عمان ولكننا نفضل المشاركة معهم بدل ذلك على أساس المساواة منصفة. كما اني أفضل ان يكون رئيس مجلس ادارة هذا البنك من أبناء السلطنة. رحب الجميع بذلك مبدئين استعدادهم للمشاركة.

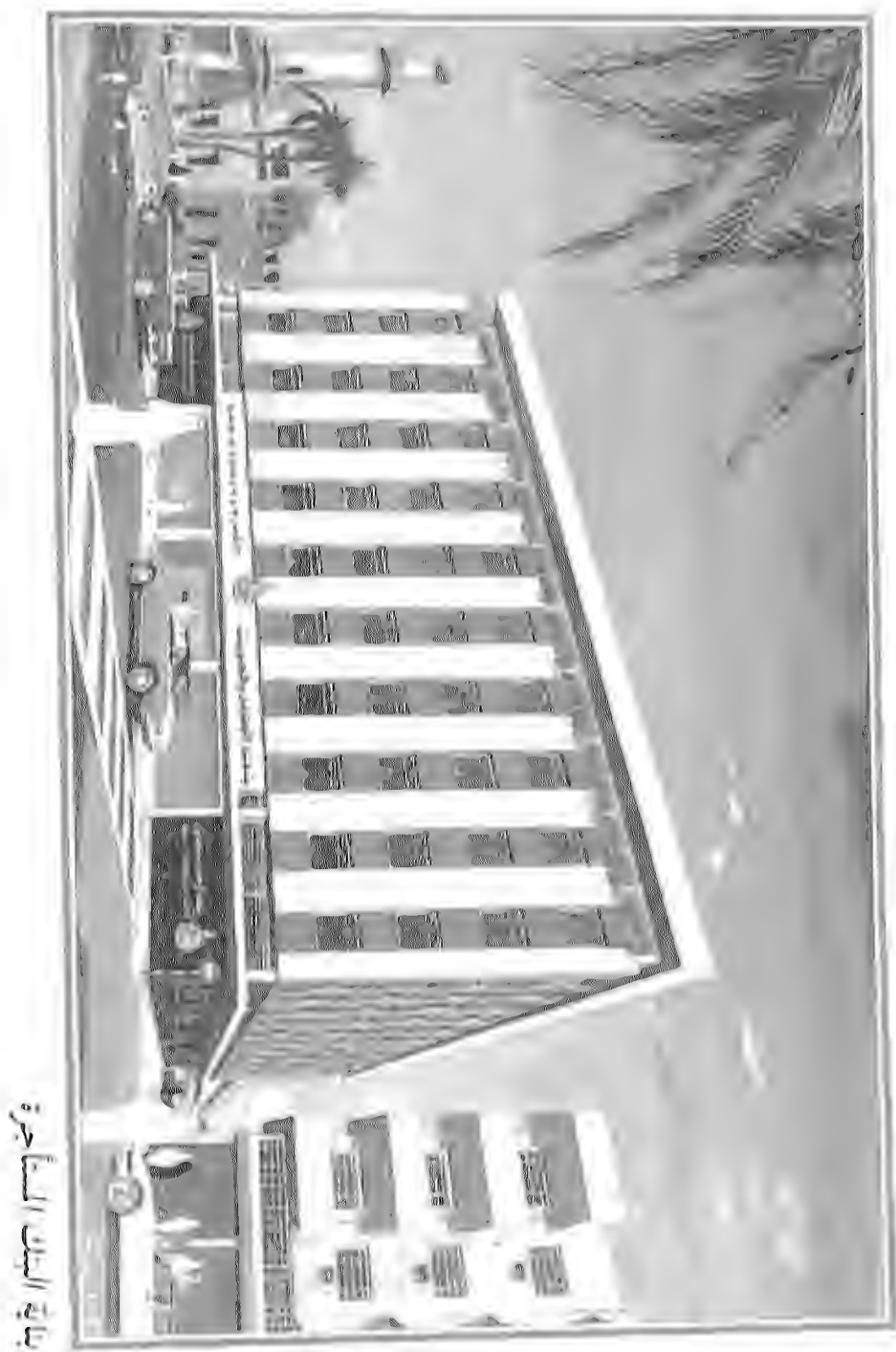
تقدمنا للحكومة نطلب تأسيس البنك على أساس المشاركة باسم بنك البحرين والكويت وعمان فجاءتنا الموافقة من الحكومة مع اقتراح بأن يكون الاسم بنك عمان والبحرين والكويت قبلنا بذلك فتأسس البنك بتاريخ ١ يوليو ١٩٧٣م وانتخب نصف أعضاء مجلسه من مواطني عمان والنصف الآخر من أعضاء مجلس بنك البحرين والكويت.

توجهنا بعدها الى الامارات العربية المتحدة حيث زرتها بمفردتي واجتمعت بالمسؤولين فيها عارضا عليهم الفكرة فلم أجد منهم التشجيع ولكن أثناء حديثي مع الشيخ راشد بن سعيد آل مكتوم حاكم دبي، رحمه الله، قال في بادىء الأمر لقد سمحنا لعدد كبير من البنوك ونرى التريث في الوقت الحاضر ولكن بحكم علاقتي الشخصية مع سموه، رحمه الله، أخبرني في اليوم التالي انه سوف لا يمانع بفتح فرع للبنك في دبي.

رجعت الى البحرين وعرضت الموضوع على مجلس الادارة فرأى المجلس التريث وتأجيل الموضوع لوقت آخر ففادت علينا فرصة ليتنا كنا اغتنامها.

فرع الكويت:

كانت الخطوة التالية فتح فرع للبنك في الكويت ولما تقدمنا بالطلب اعترض طلبنا نظام تأسيس البنوك في الكويت. فالكويت لا تسمح بفتح بنوك غير كويتية فيها ولكن وضعنا كمشاركين بالنصف مع اخواننا الكويتيين عن طريق بنوكهم وبعض مؤسساتهم المالية له وضع مختلف فهو ليس بنكا أجنبيا ولا هو بنك محلي بالكامل ظل هذا الموضوع يتأرجح مدة سنتين تقريبا قابلت فيها المسؤولين في الحكومة الكويتية وعلى رأسهم صاحب السمو الشيخ جابر يوم ان كان وليا للعهد ووزيرا للمالية أكثر من مرة، وفي النهاية توصلت حكومة دولة الكويت كما فهمنا الى تعديل نظام فتح البنوك وإدخال مواد خاصة عليه بحيث ذكر في هذا التعديل انه يسمح للمتقدم بفتح فرع إذا كان شركاؤه جميع البنوك الكويتية، وبما اننا نشترك مع جميع البنوك ماعدا بنك برقان الذي كان قد افتتح مؤخراً عملنا على إدخال بنك برقان في الشراكة على أساس تنازل زملائه من البنوك والمؤسسات الكويتية من بعض حصصهم وزدنا في نفس الوقت عدد أعضاء المجلس بعضوين فصار العدد الكامل اثنا عشر عضوا ستة من البحرين وستة من الكويت وتم افتتاح فرع الكويت بتاريخ ١٦ ابريل ١٩٧٨ م.



تطورات البنك في البحرين:

ذكرت آنفا ان البنك افتتح في ١٦ فبراير ١٩٧٢م في محل صغير داخل سوق المنامة وبعد مضي مدة قصيرة اضطررنا للتحويل الى محل أكبر فاستأجرنا بناية ذات ست طوابق في شارع الحكومة.

تمكن البنك منذ افتتاحه، بفضل المولى سبحانه وتعالى، وبرأسمال قدره مليون دينار بحريني من التقدم والسير الحثيث مستقطبا عددا كبيرا من الزبائن من خيرة التجار والمؤسسات والمقاولين ومحققا أرباحا مجزية أجزلت العطاء للمساهمين طيلة اثنتي عشرة سنة كما تشير الى ذلك اللائحة التالية:

لائحة الأرباح الموزعة من عام ١٩٧٢م الى عام ١٩٨٤م مع العلم ان البنك ابتداء برأسمال قدره مليون دينار بحريني

السنة	الأرباح الموزعة نقدا (دينار بحريني)	الأسهم المتحة (القيمة الاسمية - ١/ دينار بحريني)
١٩٧٣م	١٦٠,٠٠٠	—
١٩٧٤م	٢٤٠,٠٠٠	—
١٩٧٥م	٤٠٠,٠٠٠	—
١٩٧٦م	٦٠٠,٠٠٠	—
١٩٧٧م	١,٠٠٠,٠٠٠	—
١٩٧٨م	١,٠٠٠,٠٠٠	—
١٩٧٩م	٥٠٠,٠٠٠	—
١٩٨٠م	٧٥٠,٠٠٠	٢,٥٠٠,٠٠٠
١٩٨١م	١,٣٠٠,٠٠٠	٢,٥٠٠,٠٠٠
١٩٨٢م	٤,١١٧,٣٣٣	٤,٣٣٣,٣٣٣
١٩٨٣م	١٠,٨٠٦,٠٠٠	١٠,٢٩١,٦٦٦
١٩٨٤م	٦,١٧٥,٠٠٠	—
المجموع	٢٧,٠٤٨,٠٠٠	١٩,٦٢٤,٩٩٩

بلغ رأسمال البنك في عام ١٩٨٤م	٣٠,٩٠٠,٠٠٠ دينار
وبلغت احتياطاته	٦٣,٣٠٠,٠٠٠ دينار
اما حقوق مساهميه فقد بلغت	٩٤,٢٠٠,٠٠٠ دينار

ومع ان درجة تصنيف البنك عند تأسيسه وافتتاحه بين البنوك المحلية الحادى عشر الا انه تمكن بعد مضي بضع سنوات على افتتاحه من ان يتقدم الى الصف الاول من حيث ميزانيته وارباحه ، وقد سار على هذا المنوال سنين عديدة حتى عام ١٩٨٤م حيث اعترضته بعد ذلك كبوات ومشاكل لا داعي لذكرها هنا وصادف ان يكون ذلك في سنين الكساد التى مرت على الخليج (١٩٨٥م - ١٩٨٩م) تمكن بعدها من التغلب على مشاكله وعاد يتعش و يتقدم من جديد .

وفيما هو سائر في التقدم والانتعاش حدث غزو الكويت المشؤوم فأوقع البنك في ازمة جديدة عرقلة انتعاشه وتقدمه ، مع هذا تمكن البنك من الصمود ومواصلة مسيرته الموفقة حتى تغلب على مشاكله واصبح الآن يسير سيرا طبيعيا .

يجدر بي هنا ان اكتب فصلا عما حدث للبنك اثناء الغزو المشؤوم للعلم والاطلاع . ففي صباح الخميس ٢ اغسطس ١٩٩٠م غزا العراق دولة الكويت بجيشه الجرار مما أدى الى انقطاع الاتصال بين دولة الكويت والعالم الخارجى . وبطبيعة الحال ، لم يكن هناك مجال للاتصال بفرع بنكنا بالكويت . اما في البحرين فقد تهافت الناس على البنوك مطالبين استرجاع اموالهم سواء الودائع منها او الحسابات الجارية ولما كان اسم بنكنا مقترنا باسم الكويت كان الضغط علينا اشد واقسى غير ان البنك والقائمين عليه من ابناء البحرين وقفوا وقفة الرجل الشجاع الواحد فلبوا الطلبات دون تلكؤ او تردد بخلاف غالبية الموظفين الأجانب الذين تغيبوا عن الحضور . ومما يجدر ذكره هنا اننا بعد مرور الأزمة وفي اجتماع للمجلس اتخذنا قرارا بتوجيه شكر وتقدير لاولئك الموظفين المخلصين البواسل الذين صمدوا وواصلوا المسيرة ، دامت ازمة تهافت الناس على المطالبة باسترجاع اموالهم من البنوك بضعة ايام . قامت كل البنوك خلالها بواجبها بفضل جهودها الخاصة والمساندة المشكورة من مؤسسة نقد البحرين ، ثم لم يكد يمضي وقت قصير حتى عاد الاطمئنان الى الزبائن وعادوا الى ما كانوا عليه قبل الغزو المشؤوم . علاوة على ما تقدم وفي هذه الاثناء اعترضت بنكنا ايضا مشكلة اخرى بذلنا جهدا كبيرا لحلها . فكما

هو معلوم عند حدوث الغزو جمدت اموال الكويت ومنعت حكومات العالم بما فيها الولايات المتحدة التعامل مع كل ما يرتبط او يسمى باسم الكويت . ولكون اسم بنكنا «بنك البحرين والكويت» جمد تعاملنا مع البنوك الاجنبية ولم يسمح لنا بمواصلة ذلك الا بعد التوقيع على استمارات طويلة عريضة اخذت منا وقتا وجهدا لفك هذا التجميد .

هذا بالنسبة للبحرين ، اما فرع الكويت فكما ذكرت سابقا انقطعت الاتصالات معه حتى نهاية الغزو وانسحاب العراق وهنا اروي ما حدث لهذا الفرع كما رواه لنا القائمون على شئونه ابتداءً من يوم الغزو وحتى نهايته .

في اليوم الاول لم يفتح الفرع ابوابه ولكون الاتصال مقطوع بينه وبين المركز الرئيسي رأى المدير وهو كويتي الجنسية وبعض زملائه الاتصال بسفير البحرين في الكويت ، ومناشدته الاتصال بالمركز الرئيسي اذا كان ذلك ممكنا غير ان السفير اخبرهم عند زيارتهم له انه هو ايضا ليس لديه أي مجال للاتصال ، ولما استشاروه ، في امر فتح الفرع او تركه مغلقا لم يستطع اجابتهم الا بجملة واحدة «حافظوا على البنك وامواله» . وحرصاً من ادارة البنك على تلبية احتياجات المودعين قررت الادارة فتح ابوابه لتقديم الخدمات للزبائن رغم ظروف الاحتلال العنيفة شأنه شأن الآخرين .

الفروع الاخرى:

ذكرت فيما مضى ان من مبادئ انشاء بنك البحرين والكويت هو عدم التوقف في البحرين والكويت والخليج انما التوسع وطرق ابواب خارجية عالمية ومن هذا المنطلق بدأنا بدراسة فتح فرع للبنك في بريطانيا واوكلنا امر دراسة جدواه للاقتصادية الى المختصين .

اثناء وضع الدراسة وعندما كنت متواجدا في بريطانيا زرت بنك انجلترا الرئيسي للاستفسار وجس النبض اكد لي الموظف المختص بالبنك ان طلبنا سيحظى بالتأييد والقبول . شكرته على ذلك ولما عدت الى البحرين واخبرت المجلس عما جرى من حديث مع بنك انجلترا سر من ذلك وبعد اطلاعه على الدراسة رأى التمهّل والتأجيل .



أعضاء مجلس الادارة الحالي لبنك البحرين والكويت . .
الصف الاول من اليمين: علي الصالح، حسن الجلاهمة، (رئيس مجلس الادارة)
المؤلف راشد الزياتي، صالح الفلاح وهشام العيسى.
الصف الثاني من اليمين: ابراهيم الحمير، محمد اليحيى، ابراهيم اسحاق،
بدر السميط، محمد صلاح الدين، يعقوب الفليج ومسعود حياة.



البنك المتنقل

فرع تركيا:

التفتنا الى منطقة الشرق الاوسط فوق الاختيار على مصر وتركيا وبعد المفاضلة قرر المجلس فتح فرع في تركيا على ان يكون في عاصمتها اسطنبول فانخذت الاجراءات اللازمة وبعد الحصول على الرخصة افتتح الفرع بتاريخ ٢٠/١١/١٩٨٦م وكان سيره عاديا الا انه اعترضت البنك مسألة الليرة التركية التي كانت تسير من سيىء الى اسوأ فما نربحه من تجارة نخسره تقريبا في نزول العملة. فانخذ المجلس قرارا بالتخلص من الفرع وفعلا بيع لأحد البنوك، وكانت نتائجه الاجمالية مربحة وغير خاسرة.

فرع بومبي:

كان من بين البلدان التي تدارسنا فتح فروع فيها الهند وباكستان، بدأنا بالهند واستغرقت المراسلة مع حكومة الهند وبنكها الرئيسي حوالي سنتين استعنا خلالها بسفيرهم في البحرين وزرنا الهند للاطلاع والاستكشاف ناهيك عن المحادثات التلفونية المتكررة مع رئيس بنك الهند الرئيسى (بنك الاحتياط) (Reserve Bank) بدلهي حتى تمكنا من الحصول على رخصة لفتح فرع رئيسي في بومبي وفروع اخرى في جميع انحاء الهند وقد باشر اعماله في نوفمبر ١٩٨٥م وبتاريخ ١٩/٢/١٩٨٧م توجهت والمجلس بكامل عدده تقريبا الى بومبي حيث اقمنا حفلا كبيرا في أحد فنادقها الكبرى معلنين افتتاح الفرع رسميا وفي نفس الوقت قمت مع بعض الاعضاء بزيارة بعض البنوك الرئيسية فيها ومنذ ذلك التاريخ والفرع يسير سيرا حسنا ويؤدى ارباحا محترمة رغم صغره مما دعانا لتوسعته وزيادة فعاليتها. وقد اقر المجلس مؤخرا فتح فرع آخر في شبه القارة الهندية.



البنية الحديثة لبنك البحرين والكويت المولقة من ١٣ دورا

اما باكستان:

فقد اعطينا ايضا رخصة لفتح فرع فيها بعد تردد بسيط من سلطاتها والعمل جار على متابعة ذلك بالحاضر.
وفي البحرين:

افتتح البنك ٢٠ فرعا في انحاءها المختلفة وبتاريخ ١٨/١١/١٩٨٩م استحدث البنك فرعا متنقلا هو الاول من نوعه في المنطقة لقي صدى كبيرا في البحرين وهو عبارة عن سيارة مجهزة بكل ما يحتاجه الفرع من معدات كمبيوتر وتلفون وخزانة حديدية ويدير هذا الفرع المتنقل اثنان احدهما سائق السيارة والآخر موظف فيها. تقوم هذه السيارة بزيارة مناطق مختلفة من البلاد خاصة الارياف حسب جدول معد ومعروف مسبقاً. وعند وصولها مواقعها المحددة يقوم السائق والموظف الآخر بمهمة مباشرة التعامل مع الزبائن وهي فضلا عن ادائها خدمة للجمهور كانت خير دعاية للبنك.

ممتلكات البنك:

عمل البنك منذ انشائه على تملك منشآته بدلا من استئجارها فقد تملك عددا من المباني حولها الى فروع له كما اشترى ارضين احدهما في المنطقة الدبلوماسية واخرى في وسط المنامة مقابل دار الحكومة بني على الاخرة منها بناية شاهقة ذات ١٣ طابقا وكان تصميمها وبنائها على احدث طراز يختلف في طابعه وشكله عن أي بناية حديثة او قديمة في البحرين كما استحدث بعض المساكن لبعض الموظفين الاجانب وحول بعضها الى ناد للموظفين، اما في مسقط فقد تملك بنياته وبنائة اخرى مجاورة لسكن موظفيه.

(الفصل الثاني)
بنك اليوباف العربي الدولي
بنك (أوفشور) بالبحرين



أعضاء مجلس إدارة بنك الكويت العربي الدولي
في الوسط الخلف السيد راشد الزباني رئيس مجلس الإدارة وعن يساره نائب الرئيس السيد محمد عبد الجواد

بنك اليوباف العربي الدولي بنك (أوفشور) بالبحرين

خلال عام ١٩٧٢م اشترك بنك البحرين والكويت في بنك «يوباف» (UBAF) (١)، فاقترضى اشتراك بنكنا حضوري اجتماعات بنك (UBAF) بصفتي ممثلاً لبنك البحرين والكويت.

وبنك (UBAF) «يوباف» الذي يساهم العرب فيه بنسبة ٦٠٪ ويساهم الفرنسيون بنسبة ٤٠٪ اسس قبل بضع سنوات بناء على توصية من مجلس الجامعة العربية واتفق على ان يكون مقره الرئيسي مدينة باريس عاصمة فرنسا. وان ينشئ له فروعاً في المناطق المهمة من العالم. وقد قام بذلك خير قيام غير ان مجلسه الاداري قرر في سنة ١٩٨١م استحداث بنك خارجي معفى من الضرائب بصفة ما يدعى ببنك قابض (هولدنك بنك)، اطلق عليه اسم بنك اليوباك (UBAC) على ان يكون مقره جزر الانتيل المعفية من الضرائب.

بعد مدة من استحداث بنك اليوباك انسحب الفرنسيون من هذا البنك فاتفق المساهمون العرب على ابقائه بكامله لحسابهم. كما اتفقوا على تأسيس بنك عربي آخر اسموه بنك اليوباف العربي الدولي يساهم بنك اليوباك المشار اليه آنفاً فيه بمقدار ٦٠٪ من رأسماله ويساهم من اراد من المساهمين العرب بالباقي، وقد اتفق على ان يكون رأسماله الصادر ٢٠٠ مليون دولار والمدفوع ٥٠ مليون دولار.

بدأ تأسيس بنك اليوباف العربي الدولي في باريس عام ١٩٨٢م. في بادىء الامر اختلف مؤسسوه حول مقره الرئيسي الدائم فبعضهم اقترح جنيف وبعضهم لكسمبرغ اما انا وبعض الاعضاء فقد اقترحنا ان يكون مقره البحرين بحيث يكون من جملة البنوك الخارجية (أوفشور)، واخيراً لما توصلوا

(١) اختصار يرمز الى اتحاد البنوك العربية الفرنسية.

الى ان يكون مقره البحرين كلفت من قبل المجلس بالحصول على الرخصة المطلوبة وتسجيله لدى مؤسسة النقد بالبحرين .

عند اتمام ذلك عقد المساهمون اول جلسة لهم في فندق الشيراتون بالبحرين برئاسة الدكتور محمد ابو شادي رئيس اتحاد البنوك العربية والفرنسية ورئيس اليوباك وبعد المداولة ووضع اللمسات الاخيرة اجمع الاعضاء الحاضرون على اختياري رئيسا لهذا البنك ، فشكرت لهم ثقتهم الغالية وباشرت مع زملائي من اعضاء المجلس اعداد ما يلزم لسير البنك الجديد .

سار البنك منذ ذلك التاريخ سيرا معتدلا اذ صادف بعد انشائه ان حل الكساد في المنطقة مما قلص الكثير من اعمال البنوك ، مع هذا كانت نتائجه جيدة رغم صغر حجم رأسماله البالغ ٥٠ مليون دولار .

في بداية عام ١٩٩٠م بدأ البنك يتقدم وينتعش وتوقع المجلس والادارة ان تكون نتائج ذلك العام نتائج ممتازة وان يحقق ارباحا صافية لا تقل عن عشرة ملايين دولار ولكن لسوء الحظ حدثت واقعة العراق وغزوها للكويت في ٢ اغسطس ١٩٩٠م فانقلبت الموازين بسبب هذا الامر غير المتوقع مما اثر على البنوك عامة وعلى البنك الفتى بصورة خاصة سيما وان العراق كان من أهم زبائن البنك وعملائه وكان له منذ انشائه معاملات واسعة ومربحة معه .

ومع ان البنك طيلة هذه السنين الكاسدة لم يطلب من مساهميه اموالا لزيادة رأسماله الا انه والحالة هذه اضطر الى ان يلجأ اليهم ويطلب منهم زيادة رأسماله ليغطي العجز الناتج من غزو العراق للكويت .

بعد اجتماعات متعددة في البحرين وباريس ولندن وبعد التداول مع مؤسسة نقد البحرين وافق المساهمون على زيادة رأسمال البنك بمقدار ٤٠ مليون دولار غير انه مع الاسف الشديد لم يساهم بالزيادة المطلوبة الا بنك ليبيا الخارجي والبنك المركزي المصري وبنك اليمن والاردن بينما تخلى الباقيون من المساهمين عن المساهمة الفعلية رغم كل المحاولات والمحاورات والسبب لغالبيتهم هو تورط بنوكهم او مؤسساتهم بالتزامات مالية او قصور في مواردها او عجز في ميزانيتها .

الفروع:

كان من مبادئ هذا البنك فتح فروع له في انحاء مختلفة من العالم بدأها بفتح فرع تونس الذي افتتح في عام ١٩٨٥م وقد قام هذا الفرع بنشاط ملحوظ وتقدم مطرد.

بعد مرور ازمة الخليج والاطمئنان الى عودة البنك الى مساره المعتاد حدثت ازمة جديدة شلت حركته وعرقلت مساره. فقد اتهمت امريكا وبريطانيا شخصين من مواطني ليبيا بتفجير طائرة البان امريكان في لوكربي باسكتلنده وطلبت من حكومة ليبيا تسليمهما لمحاكمتها في بريطانيا او امريكا. نفت ليبيا هذه التهمة وامتنعت عن تسليمهما كما هو معلوم، مما حمل الدولتين الغربيتين الى توقيع عقوبات اقتصادية على ليبيا بينها ايقاف التعامل مع هذا البنك، لأن بنك ليبيا الخارجي المملوك للحكومة الليبية يمتلك الغالبية العظمى من أسهمه كما جهدت الدولتان وخاصة امريكا امواله في امريكا وأوصت الشركات والحكومات بعدم التعامل معه فتوقفت اعماله في البحرين واضطر مع الأسف الى الاستغناء عن خدمات غالبية موظفيه. اما فرعه في تونس فقد تقلصت اعماله ايضا وانحصرت معاملاته في نطاق محدود.

(الفصل الثالث)

شركة التسهيلات التجارية



سماعة وزير التجارة السيد حبيب أحمد قاسم يقص الشريط إيدانا بافتتاح شركة التسهيلات التجارية
وعن يمينه المؤلف السيد راشد الزباني رئيس مجلس الإدارة .
ويظهر في الخلف من اليسار السيد جاسم مراد والسيد حسن زين العابدين

شركة التسهيلات التجارية

في أواخر السبعينات فهمت من سعادة وزير المالية السيد ابراهيم عبدالكريم ان احد البنوك الاجنبية تقدم بطلب لممارسة نظام التسهيلات التجارية في البحرين أي اعطاء قروض مقابل بضائع استهلاكية كالسيارات والاثاث وما شاكل ذلك على ان يكون دفع ثمنها مسهلا ومقسطا .

كان هذا البنك قد باشر هذا النوع من التسهيلات في الامارات العربية المتحدة منذ بضع سنوات وكان محلنا التجاري في دبي قد تعامل مع البنك المذكور على هذا الاساس، فطلبت من سعادة الوزير تأجيل الموافقة على ذلك واعطاء البنوك المحلية الفرصة في هذا المجال ورغبة منه في تشجيعنا وافق مشكورا على التأجيل . على اثر ذلك تقدمت الى مجلس ادارة بنك البحرين والكويت عارضا المشروع بعد ان ادرجته على جدول اعمال المجلس وقد تردد بعض الاعضاء في قبوله وطلبوا التأجيل للدراسة واعادة النظر، وفي جلسة لاحقة وافق المجلس على تبني المشروع بعد ان قدمت اليه الدراسة المستفيضة عنه .

كانت الفكرة تكوين شركة من البنوك الوطنية الثلاثة بنك البحرين والكويت، بنك البحرين الوطني، والبنك الاهلي التجاري يضاف اليها عدد من التجار والشركات التي تتعامل في البضائع الاستهلاكية وتبيعها بالتقسيط .

بدأنا بمفاتيحة بنك البحرين الوطني شفها في بداية الامر فلم يظهروا حماسا للفكرة، فطلبت من مدير بنك البحرين والكويت ان يبعث اليهم كتابا يعرض عليهم المشاركة فكان الجواب ايضا سلبيا، ولكني لم أياس وواصلت الاتصال والتوضيح للفكرة حتى تبلورت ووافق البنكان - الوطني والاهلي على الاشتراك، بالاضافة الى عدد محدود من التجار الراغبين في تبني المشروع .

عند اكتمال العدد المطلوب اسسنا مجلسا تأسيسيا باشر جلساته المتعددة في قاعة الاجتماعات ببنك البحرين والكويت تحت رئاستي . ثم تقدمنا بطلبنا للحكومة لأخذ موافقتها على تأسيس الشركة، غير انه حدث ان سعى احد



جانب من حفل افتتاح شركة التسهيلات التجارية . . . الصف الأمامي من اليسار : غازي الموسوي - إبراهيم اسحاق - المؤلف راشد الزباني رئيس مجلس الإدارة - سماعة فريتر التجارة والزراعة السيد حبيب احمد قاسم - قاسم مراد

الاشخاص لعرقلة المشروع بأن اوحى الى صاحب السمو الشيخ خليفة رئيس الوزراء الموقر بأن هذا المشروع سيكون ضارا بالمستهلكين وانه مجرد احتكار ومصلحة خاصة للبنوك فأبدى سموه تحفظا على الموافقة عليه مما دعاني والاخ محمد جلال ان نطلب المثول بين يديه حيث اوضحنا لسموه جدوى المشروع وفائدته للمستهلك وساعدنا في توضيح ذلك سعادة وزير المالية السيد ابراهيم عبدالكريم فتكرم سموه بالموافقة النهائية التي على اثرها اجتمعنا لانتخاب اعضاء مجلس ادارة الشركة بمن فيهم الرئيس والسكرتير، وكوني مرتبطا بأعمال اخرى متفرعة اخبرت المساهمين اني لا ارجب ان اشرح نفسي لرئاسة مجلس ادارة الشركة كما لا أود ان اكون عضوا في مجلسها .

فاتفق على ترشيح احد المشاركين للرئاسة وتحدد اليوم المعين لاجراء انتخاب مجلس الادارة وتسليمه هذه المهمة الا انه جد قبل الاجتماع للانتخاب المشار اليه أنفا ببضع ساعات امر غير متوقع اذ تقدم شخص من خارج المؤسسين ورشح نفسه لرئاسة المجلس مما احدث ارتباكا بين الاعضاء وجعلهم يطلبون مني ان ارجع عن قراري بعدم ترشيح نفسي ويصرون على ترشيحي للرئاسة، وعبثا حاولت ثنيهم عن طلبهم ولكنهم اصرروا وفي نفس الوقت اصر الشخص الذي رشحنه للرئاسة بأنه لن يرشح نفسه ولن يقبل بذلك كما انه لن يشترك حتى في عضوية المجلس إلا اذا قبلت ترشيح نفسي للرئاسة، ورغبة من المساهمين، جزاهم الله خيرا، وتقديرا لحسن ثقتهم نزلت عند ارادتهم ووافقت على ترشيح نفسي للرئاسة، وبعد مرور سنة على ذلك اعيد انتخابي لسنة اخرى ولكنني بعد ذلك لم اجدد ترشيح نفسي فاسحاً المجال للآخرين .

في واقع الامر اني اشعر بالسرور والسعادة لابرار هذا المشروع الناجح الى حيز الوجود وأعتقد انه لولا المشاورة والتصميم لما برز المشروع وتحقق، لاسباب التي شرحتها آنفا، فالحمد لله على ذلك وشكرا ثم الف شكر للمؤازرين والمؤيدين .

(الفصل الرابع)

بورصة البحرين

بورصة البحرين

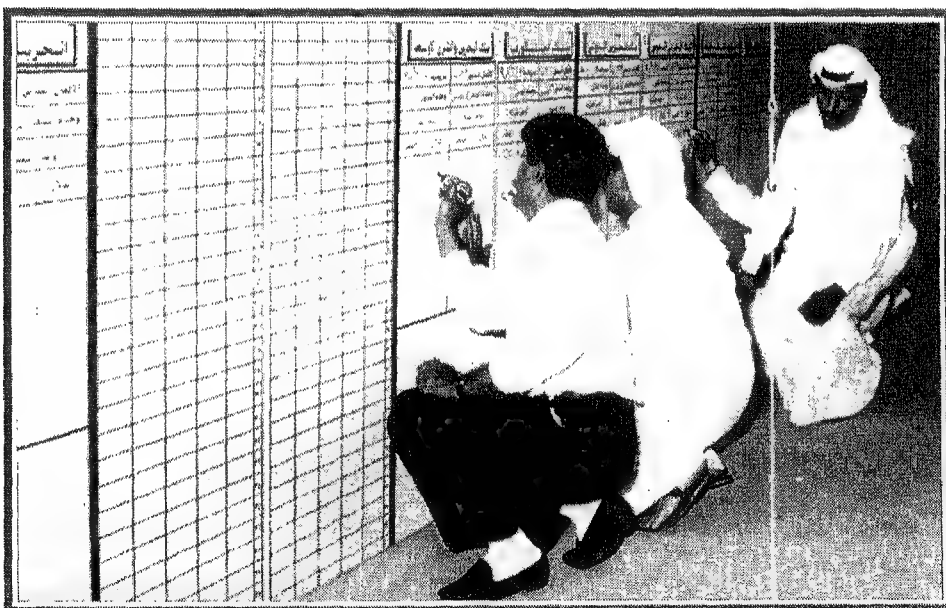
في عام ١٩٨١م ارسلت كتابا الى السيد محمد جلال، رئيس الغرفة التجارية بالبحرين آنذاك، ذكرت فيه انه اصبح من الضروري الآن انشاء بورصة في البحرين تواكب مركز البحرين المالي والتجاري على ان يتداول فيها اولاً الاسهم المحلية ثم الخليجية ثم العالمية، واقترحت دعوة مجلس ادارة الغرفة وازافة عدد محدود من التجار من ذوي الرأي والاختصاص لاستشارتهم.

بعد ايام عقدت الغرفة جلسة خاصة للنظر في هذا الاقتراح، ودعيت من ضمن التجار غير الممثلين في مجلس ادارة الغرفة، وحسب تقديري كان عدد الحاضرين يومها يقارب الثلاثين شخصا.

افتتح الرئيس الجلسة بأن قرأ كتابي المشار اليه آنفا وطلب من الحاضرين مناقشة الاقتراح وابداء رأيهم بخصوصه، ناقش الاخوة الحاضرون الاقتراح مناقشة مستفيضة تضاربت خلالها آراؤهم وافكارهم وكانت الغالبية كما تبين لي من المناقشة ترى عدم قبول الاقتراح لعدم جدواه او انه لم يحن الوقت المناسب لقبوله، طالت المناقشة وكثر الكلام ولم اشترك فيها بقليل او كثير بل لزممت الصمت التام مستمعا منتظرا نتيجة هذه المناقشة. كان يجلس بمقابلتي في تلك الجلسة الاخ السيد علي الصالح وهو كما لاحظت لم يشترك في تلك المناقشة الطويلة على ما اذكر وكان ينظر الي بين حين وآخر وكأنه يريد ان يستفسر مني عن سبب سكوتي وكيف اني لا ادخل في هذا الجدل الطويل والمتشعب ولو للدفاع عن اقتراحي، ولما رأى ان الجدل طال طلب المذكور الكلمة وقال يا اخوان ان فلانا قدم لنا اقتراحا مقتضبا فلماذا لا نطلب منه ان يوضح لنا اقتراحه ويشرح لنا سلبياته وإيجابياته.



قاعة التداول في بورصة البحرين



لوحة تسجيل التداول

رأى الاخوة في اقتراحه هذا حلا للجدل الطويل . عندها طلب مني رئيس الجلسة شرح الاقتراح .

فقلت بشرحه شرحا وافيا ذاكرا ايجابياته وسلبياته وكان الجميع - جزاهم الله خيرا - ينصتون الى شرحي وتوضيحي باهتمام كبير تقرر على اثره قبول الاقتراح وتبنيه على ان تقوم الغرفة بالكتابة للحكومة مقترحة انشاء بورصة في البحرين .

وجهت الغرفة كما يظهر اقتراحها الى مؤسسة النقد وعند عرض الموضوع على مجلس المؤسسة عارضه بعض الاعضاء فلم يتخذ المجلس قرارا بشأنه وبقي الموضوع معلقا .

في واقع الامر ان امر انشاء البورصة ليس من اختصاص مؤسسة النقد بل من اختصاص وزارة التجارة وعند مفاتحة الوزارة في الامر كان الجواب ان يعاد تقديم الاقتراح الى وزارة التجارة، والظاهر ان الغرفة اعادت تقديمه الى وزارة التجارة التي بدورها عينت لجنة مكونة من رؤساء الاقسام بالوزارة برئاسة وزير التجارة الاستاذ حبيب قاسم مضافا اليها شخصان انا والاخ ابراهيم اسحاق .

استمرت اللجنة في دراسة المشروع شهورا عديدة ولما اقتنعت بجدوى المشروع هيأت له الانظمة والأسس التي تسير عليها البورصة ثم أعلنتها على الملأ وعينت لها مجلسا ومكانا فكان افتتاحها بتاريخ ١٧/٦/١٩٨٩م هو مسك الختام .

(الفصل الخامس)

استثمارات الزياني ذ. م. م



اعضاء مجلس إدارة استثمارات الرياني د م م
ويظهر في الوسط المؤلف راسد الرياني مدير مجلس الإدارة الفخري وعن يمينه خالد الرياني رئيس مجلس الإدارة وعن يساره
حامد الرياني العضو المنتدب وفي الخلف من اليسار زايد الرياني عضو مجلس الإدارة للمشتريات المالية، أفتان الرياني عضو
مجلس الإدارة للمشتريات الإدارية، الدكتور يوسف المعارضي عضو مجلس الإدارة للمشتريات القانونية

استثمارات الزيانى ذ.م.م

في بداية السبعينات من هذا القرن «القرن العشرين»، عندما بدت لي - مع الأسف - بوادر خلاف بين شركاء عبدالرحمن الزيانى وأولاده وما يتبعها من شركات اخرى، نصحت أولادي، وكانوا يشغلون وظائف مهمة في الشركة المذكورة، ان يفكروا او يخططوا لمستقبلهم فاستقر الرأي على تأسيس عمل مستقل يضمن لهم مستقبلهم.

فانفصل ولدي حامد عن شركة عبدالرحمن الزيانى وأولاده وأسس شركة مستقلة اسمها استثمارات الزيانى ذ.م.م مستعيناً بين الحين والآخر بأخيه المرحوم ماجد (١).

في عام ١٩٨٣م عندما اوكلت ادارة شركة عبدالرحمن الزيانى وأولاده الى الحارس القضائي، انضم الى ولدي حامد أخوه خالد وكان في ذلك تعزيز لمركز الشركة ساعد الى حد كبير في توسعة اعمالها. وفي عام ١٩٩٢م وبعد ان أتم ولدي الاصغر زايد دراسته العليا انضم الى استثمارات الزيانى كشريك لإخوته مسهماً بدوره في انجاح الشركة.

وقد عقدت العزم منذ البداية على دعم ابنائي فلم ابخل عليهم بمشورتي وفكري وجهدي ولا حتى مالي الخاص.

واليوم تحتل استثمارات الزيانى ذ.م.م مركزاً مرموقاً في صف الشركات الفنية في البحرين متألفة بانجازاتها ومشاريعها الرائدة والناجحة والتي تشتمل على مجالات عديدة اهمها:

الصناعة: مصنع ميدال للكابلات، مصنع الوويل لعجلات الالمنيوم للسيارات، مصنع اغطية الخليج، مصنع شجرة الحياة (لأشجار ونباتات الزينة).

(١) أنظر باب وقفة وفاء صفحة ٤٧٥.



صورة للمطوف راشد الزباني مع السيدة حار جريت أثناء زيارته لفتح مصنع جبال الكابلات في معرض صنع في الخليج والقام في لندن عام ١٩٩٤م

التجارة والمناقصات : في مجال تزويد اجهزة المكاتب ومستلزماتها ، وبيع أثاث المنازل الراقي والهدايا ، والمناقصات والتجارة العامة في المعدات الثقيلة والمواد الكيميائية .

الخدمات : ايفيس لتأجير السيارات ، الزيانى للسفريات والسياحة ، فندق دلمون ، مغسلة مارتنايزنك .

والعقارات ومنها : بناية الزيانى (مكاتب تجارية) ، وقرية الراشدية (مجمع سكني) .

كما ان لاستثمارات الزيانى ذ.م.م حصصاً في العديد من المشاريع الخليجية والعالمية ويشغل شركاؤها (ابنائى حفظهم الله) عدة مناصب على مستوى رؤساء او مدراء او اعضاء مجالس ادارة تلك المشاريع .

ولقد تضاعف دوري في استثمارات الزيانى ذ.م.م لا سيما بعد ان تسلم الحارس القضائي ادارة شركة عبدالرحمن الزيانى وأولاده . والآن من خلال منصبى كرئيس مجلس ادارة فخري لاستثمارات الزيانى اشارك في ادارة الشركة الفعلية مراقباً نموها المطرد عن كثب مسدياً التوجيه والمشورة . مع دعائي لهم بالتوفيق والسداد .

(الفصل السادس)
تأسيس مستشفى البحرين التخصصي

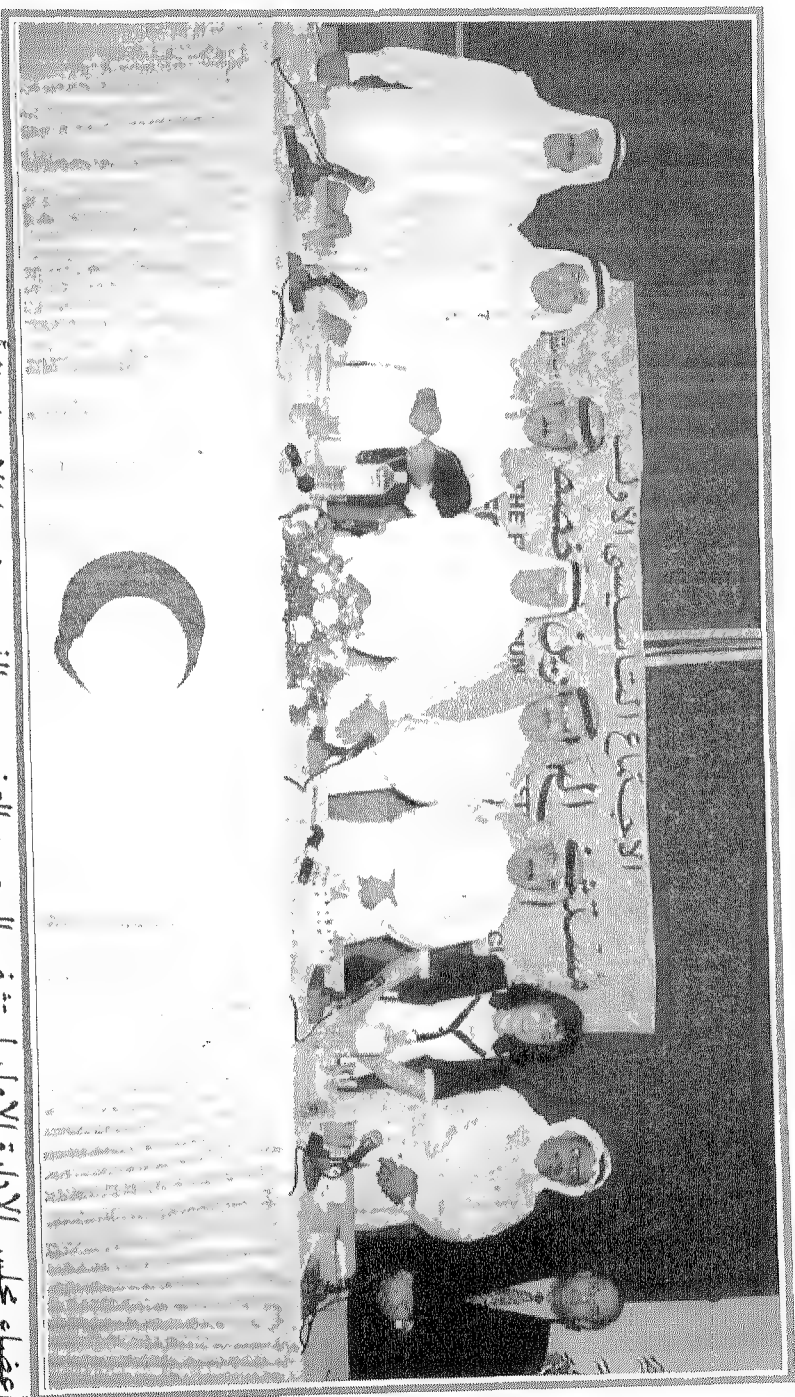
تأسيس مستشفى البحرين التخصصي

لطالما حدثتني ابتنى الدكتوراة الاخصائية نجاح راشد الزباني (١) عن حاجة البحرين الملحة لمستشفى تخصصي على مستوى يضاهي المستشفيات التخصصية العالمية المتطورة وذلك للحد من معاناة المرضى الذين يضطرون للسفر الى الخارج لتلقي العلاج وخصوصا للحالات الخاصة المستعصية، حيث يتكبدون تكاليف المصاريف الباهظة ويقاسون مشقة السفر وعناءه - ناهيك عن تكاليف مرافقيهم. فوق هذا وذاك تعذر متابعة علاجهم عند عودتهم واضطراهم للسفر مرة وربما مرات اخرى للمتابعة والفحص. فضلا عن هذا فان الدولة تتكبد مبالغ طائلة لابتعاث المرضى الذين لا يتوفر علاجهم في البحرين.

في واقع الامر اني كنت في البداية متردداً في مشاطرتها فكرتها إلا انه بعد التفكير اصبحت مقتنعةً بوجهة نظرها لا بل ومتشجعةً لمتابعة تنفيذها. عرضنا الفكرة على المسؤولين وعلى رأسهم مولانا صاحب السمو الشيخ عيسى بن سلمان آل خليفة اطال الله عمره فلقينا منهم الترحاب والتأييد لاسيما ان مشروع المستشفى يتفق مع سياسة الحكومة لجعل البحرين مركزاً طبياً اقليمياً يخدم الخليج بأكمله، مما شجعنا وحسنا لمتابعة الفكرة فابتدأنا بأن عهدنا الى شركة جواد حبيب وشركاه Coopers & Lybrand، وهي شركة محاسبية متخصصة اجراء الدراسات اللازمة وتحضير جدوى اقتصادية للمشروع وعند

(١) الدكتوراة نجاح راشد الزباني: تخرجت من الجامعة الامريكية في بيروت، حائزة على شهادة بكالوريوس في العلوم في عام ١٩٧٢م، وبكالوريوس في الطب عام ١٩٧٧م، وبعد ذلك توجهت الى الولايات المتحدة الامريكية حيث تخصصت في الامراض الباطنية ونالت شهادة البورد الامريكي في الامراض الباطنية سنة ١٩٨٠م ثم وأصلت تخصصها الثاني في امراض الجهاز الهضمي والكبد ونالت شهادة البورد الامريكي في امراض الجهاز الهضمي والكبد سنة ١٩٨٣م وبعد تخصصها هذا التحقت بالتدريس في كلية الطب بجامعة بيلور في هيوستن بولاية تكساس للحصول على الخبرة والقيام بالبحوث، خلالها عملت في مستشفى الميثوديست في هيوستون بصفة اخصائية في امراض الجهاز الهضمي والكبد في الفترة بين ١٩٨٢م - ١٩٨٤م. في عام ١٩٨٤م التحقت بمستشفى الارامكو في المنطقة الشرقية بالمملكة العربية السعودية.

في عام ١٩٨٦م عادت الى احضان الوطن لتقوم بدورها في العطاء فعملت في التدريس بكلية الطب بجامعة الخليج العربي وزاولت مهنتها بالعلاج من خلال عيادتها الخاصة. ومع ازدياد حاجة المرضى اليها تفرغت للعمل في العيادة.



اعضاء مجلس الادارة الاول لمستشفى البحرين التخصصي الذين حضروا الاجتماع التأسيسي الاول .
 من اليسار: السيد علي محمد جبر المسلم، السيد عبدالنبي الشملة، الشيخ مبارك السويكت، المؤلف راشد
 الزباني، الشيخ عبدالحسن راشد الراشد، الشيخ خالد النويصر، الدكتورة نجاح الزباني، السيد شوقي علي
 يوسف فخرو، الدكتور سامر الجشي.

اقتناعنا بجدوى المشروع الاقتصادي دعينا عدداً لا يقل عن خمسين شخصاً من وجهاء البلاد واعيانها في البحرين الى اجتماع عرضنا فيه الفكرة وفوائدها واهدافها فكانت ان لقيت منهم الترحيب والتشجيع ثم عرضنا الفكرة على عدد من وجهاء السعودية خاصة في المنطقة الشرقية فوجدنا منهم اقبالا وتحمساً للمساهمة. على اثر ذلك تشكلت لجنة تأسيسية كان لي شرف رئاستها.

واصلت اللجنة متابعة التحضير للمشروع بأن دعت الى الاكتتاب في تمويل المشروع، محددة يوم الخامس من ابريل ١٩٩٥م كآخر موعد لغلق باب الاكتتاب وعقد الاجتماع التأسيسي للمكتتبين حيث توافد في هذا اليوم عدد كبير من المكتتبين من البحرين وبقية اقطار الخليج وأقروا تأسيس الشركة بعد اطلاعهم على ما قامت به اللجنة التأسيسية من الحصول على الرخص اللازمة والارض المراد تشييد المستشفى عليها وعلى قانون الشركة ونظامها الاساسي كما انتخب الحضور اعضاء مجلس الادارة الاول للشركة، فالحمد لله على ذلك.

وقد فاقت اكتتابات المؤسسين المبلغ المخصص لرأس المال المكتتب وقدره ٤ ملايين دينار بحريني. وسوف تطرح مناقصة بناء المستشفى التخصصي قريباً، وتقدر المدة المطلوبة لإتمام البناء بين ١٨ الى ٢٤ شهراً.

وتجدر الاشارة الى أن هذا المشروع سيوفر في مرحلته الاولى ١٥٠ فرصة عمل للبحرينيين من أطباء وممرضين وفنيي خدمات مساندة وإداريين. كما سيوفر فرص تدريب من خلال ابتعاث الافراد واستضافة أطباء زائرين دورياً للعلاج ولإطلاع العاملين على آخر ما توصل إليه الطب الحديث.

الباب الحادي عشر

**مقترح اقتصادي عربي
للجامعة العربية**

مقترح اقتصادي عربي للجامعة العربية

في عام ١٩٨٣م وبالتحديد خلال شهري يناير وفبراير كثر الحديث في الصحف العربية والمحلية عن وجوب تفضيل استثمار الاموال العربية في البلدان العربية وخاصة تلك البلدان التي تكون بحاجة الى مثل هذه الاستثمارات بدلا من استثمارها في البلدان الاجنبية الاوروبية والامريكية وغيرها. ووجهت انتقادات لأصحاب رؤوس الاموال سواء العامة او الخاصة مع حثهم ومطالبتهم بتطبيق ذلك غير انه غاب عن فكر الكتاب والمنتقدين المثل القائل «ان رأس المال جبان» فلكي تستثمر المؤسسات التجارية او الحكومات اموالهم في بلاد ما لا بد لهم من ان يدرسوا ويتدارسوا احوال تلك البلاد السياسية واوضاعها الامنية ثم لا بد لهم من ان يطلعوا على منهجها الاقتصادي وان يطمئنوا على حماية استثماراتهم وامكانية استرداد هذه الاستثمارات واستلام ارباحها بحرية تامة دون تدخل او عرقلة واغلب البلدان العربية المؤهلة للاستثمار مع الاسف غير مستقرة سياسيا او اقتصاديا فاقدة الضمانات المطلوبة لاسترجاع مبلغ الاستثمار وبعضها غير مؤهلة حتى لدفع الارباح الناتجة عن أي استثمار خارجي. ولهذا السبب توجه المستثمرون العرب حكومات ومؤسسات وافراد الى البلدان المستقرة سياسيا واقتصاديا لها قوانينها ونظمها التي تحمي الاستثمارات من التدخل والعرقلة مفتوحة المجال لدخول الاموال وخروجها دون شروط او عوائق.

بهذه المناسبة بدا لي ان اكتب الى سكرتير الجامعة العربية الكتاب التالي :

البحرين في ١٦ فبراير ١٩٨٣م

سيادة الاستاذ الفاضل الشاذلي القليبي المحترم
الامين العام لجامعة الدول العربية

تونس

تحية واحتراما وبعد،

محرر هذه الرسالة عربي من مواطني دولة البحرين ومن عائلة مارست التجارة والاعمال الحرة أباً عن جد، اما انا فقد مارست التجارة والاقتصاد منذ اكثر من ٥٠ سنة ولازلت مرتبطا بها، اما مركزي التجاري الآن فهو: رئيس مجلس ادارة بنك البحرين والكويت ورئيس بنك اليوباف العربي كما اني في نفس الوقت الرئيس والعضو المنتدب لشركة عبدالرحمن الزباني واولاده الواسعة في البحرين والخليج العربي . . .

اني ارجو ان لا يؤخذ ما ذكرته آنفا مأخذ الادعاء والتفاخر بهذا الشرح، يعلم الله اني لم اكن اقصد ذلك البتة، وانما لمجرد التعريف، كما اوضح ان ما سأحرره أدناه ليس له علاقة من قريب او بعيد بذلك .

تزخر بلادنا العربية اليوم بالاموال الطائلة وبالاراضي الصالحة الشاسعة وبالطاقة البشرية الهائلة فضلا عن كونها واقعة في موقع جغرافي استراتيجي وسط العالم، ويحز في نفسي ونفس كل عربي غيور ان نرى باعيننا ونلمس باحساسنا عدم الاستفادة من كل هذه الميزات الطيبة واننا مع الاسف الشديد لا نسخر ولا نسعى لنسخر هذه الميزات الطيبة لصالح مجموع امتنا فغالبية الاموال الطائلة تستغل وتستثمر في البلاد الاجنبية، اما اراضي الشاسعة فقد تركت لتبقى بورا وصحارى تذروها الرياح وطاقة العمالة الهائلة تركت في اوطانها عاطلة معطلة والنتيجة اننا معشر العرب لم نستفد من جل مالنا وجل عمالتنا بل عادت الفائدة العظمى من هذا الى الدول الاجنبية وياليتهم اخذوا هذه الفوائد والمنافع وردوا لنا الجميل بمثله، كلا بل انهم جعلوا من كل هذه

المنافع اداة سيطرة وضغط علينا ووسيلة للتهديد والوعيد اذا لزم الامر . لماذا حدث هذا ولماذا لم نستفد من هذه الميزات الممتازة في بلادنا؟ عند القاء نظرة بسيطة نجد الجواب وهو من الناحية الاقتصادية جواب وجيه ومقبول، اما الجواب فهو اننا لا نطمئن لبعضنا البعض او بعبارة اخرى الثقة معدومة بيننا والاستثمار يعتمد في الدرجة الاولى على حسن الثقة، وبانعدام الثقة انعدم الاستثمار . ان لكل من الدول العربية نظاما سياسيا يختلف عن نظام الدولة الاخرى واغلب هذه الدول ربطت نظامها الاقتصادي بنظامها السياسي وان غالبية الدول العربية لا تتمتع بنظام برلماني نظيف كبرلمانات الغرب او اليابان مثلا وان دساتيرها تتبدل وتتغير حسب هوى قادتها ورغبتهم، وقد علمتنا التجارب في الماضي انه اذا ما حدث واختلفت دولة عربية مع شقيقتها في امر سياسي ولو كان بسيطا باشرت كل منهما في التدخل في العلاقات الاقتصادية بينهما فجمدت او أمتت او . . . الخ، لا بل وأبعدت كل منهما رعايا البلد الآخر وكذلك اذا حدث تغيير في الحكم في بلد عربي عن طريق انقلاب او نحوه ألغت حكومة الانقلاب الاتفاقيات الاقتصادية المبرمة سابقا او عرقلتها بطريقة او اخرى، والمال كما يعرف الجميع جبان يطلب الامان والاستقرار لذلك لجأ المستثمرون العرب الى الدول الاجنبية ذات الحكومات المستقرة والمنظمة في برلمانات صحيحة تحفظ حقوق المستثمرين وتحافظ على استمرار استثماراتهم .

هذا واقع امرنا اليوم ويا للأسف ولا يمكن ولا نتوقع ان يتغير هذا الواقع في يوم او ليلة ولكن في نفس الوقت نحس بالغيرة والحسرة باننا لا نستطيع استغلال اموالنا ومواردنا ومنافعنا وطاقاتنا البشرية في بلادنا ولمنفعتنا جميعا، اني ارى ان لدى الجامعة العربية سبيلا لحل هذه المشكلة ووسيلة مضمونة تحمي مثل هذه الاستثمارات من العبث والتدخل، اما الوسيلة المقترحة فهي ان تشكل الجامعة العربية عن طريق هيئتها الاقتصادية شركة استثمارية تساهم في رأسها كل الدول العربية كل حسب مقدرته المالية انما اشترك الجميع مطلوب وان تتولى هذه الشركة عن طريق مجالسها الادارية والتنفيذية دراسة

مشروعات الاستثمار في الدول العربية باسم هذه الشركة ويمكن للشركة المذكورة ان تزيد رأسها اذا كان صغيرا او عند الحاجة بالاقتراض من البنوك العربية، هذا من ناحية التمويل وشكل الشركة الرئيسي، اما من ناحية الاستثمار فالامر متروك لمجلس الادارة المنتخب من الجمعية العمومية المشكلة من جميع الدول العربية، اننا بتشكيل شركة من جميع الدول العربية نتحاشى الى حد كبير التدخل في شؤون مشروع الاستثمار اذا اختلفت بلاد المشروع مع احدى الدول العربية لانه يخص الجميع وليس دولة واحدة. . والاستثمارات نوعان سريع المردود وبطيء المردود، واني اقترح في الاستثمارات بطيئة المردود اتباع طريقة امتيازات شركات النفط.

فلنأخذ السودان مثلا: ان لديها اراضي زراعية صالحة شاسعة ولكن ينقص هذه الاراضى الطرق والمواصلات والمرافق وهذا عبء مالي كبير على المستثمر وحكومة السودان ليس لديها الامكانيات المالية لتهيئة ذلك، لذا تؤجر السودان مساحة كبيرة من اراضيها للشركة لمدة طويلة (خمسون سنة مثلا) بايجار سنوي بسيط يتصاعد تدريجيا حسب نجاح المشروع زائد حصة مناسبة من ربح المشروع. المهم ان الأمد يكون طويلاً مع حرية التصرف. هذه فكرة اعرضها على سيادتكم فان رأيتم انها مفيدة فهذا هو المستحب والمطلوب، اما اذا رأيتم او وجدتم ان الأخذ بها او تنفيذها غير ممكن فارجو ان احظى من سيادتكم على جواب يوضح اسباب عدم امكانية العمل بها او تنفيذها.

مع خالص تحياتي واحترامي،،،،،

المخلص

راشد بن المغفور له الشيخ عبدالرحمن الزباني

وانتظرت الاجابة فاذا بها بعد مدة تنص على مايلي:

١٢ مارس ١٩٨٣م

الموضوع: انشاء شركة استثمار عربية

السيد راشد الزياتي

ص.ب: ٣٢ البحرين

تحية طيبة وبعد،

بالإشارة الى كتابكم المؤرخ ١٦ فبراير ١٩٨٣م الموجه للسيد الامين العام للجامعة الدول العربية بشأن اقتراحكم انشاء شركة استثمار عربية بمساهمة الدول العربية لاستغلال الامكانيات العربية المتاحة مادياً وبشراً أرجو الاحاطة:

ان مؤتمر رجال الاعمال العرب الذي عقد في الطائف في مايو ١٩٨٢م قد قرر انشاء شركة عربية للاستثمار في المجالات الزراعية برأسمال قدره ٥ مليار دولار. كما وافق المجلس الاقتصادي والاجتماعي في فبراير على مبدأ تكوين مشروعات عربية مشتركة للأمن الغذائي، وقد اتخذت اللجنة المشكلة لذلك مقراً لسكرتاريته الصندوق العربي للانماء الاقتصادي والاجتماعي بالكويت.

ويقتضي النظام الخاص بتكوين شركات مشتركة تشارك فيها الدول العربية بأن تتقدم أي دولة عربية بالمشروع الذي تراه مناسباً للمجلس الاقتصادي والاجتماعي الذي اذا وافق على صلاحيته يدعو الدول إلى المساهمة فيه بعد القيام بدراسات الجدوى المناسبة.

ومع ذلك فيمكنكم الاتصال بالصندوق العربي للانماء الاقتصادي والاجتماعي وتعرضون عليه اقتراحكم بانشاء شركة مشتركة، وحتى يجد الاقتراح الاهتمام الواجب يقتضي الامر تقديم دراسة لجدوى المشروع واسلوب تنفيذه.

وان الجامعة العربية تقدر لكم شعوركم الطيب وترجو ان تتخذوا الخطوات المناسبة لوضع اقتراحكم موضع التنفيذ.

مع خالص التقدير، ،

دكتور عبدالرزاق حسن

نائب رئيس الادارة العامة للشؤون الاقتصادية



مقر الجامعة العربية في القاهرة

عند مقارنة ما اقترحته في كتابي لأمين الجامعة العربية وجواب الدكتور عبدالرزاق حسن يلاحظ ان الجواب قد ابتعد كلياً عن ما اقترحته، فاقترحي ايجاد شركة تشترك فيها كل الدول العربية - كل الدول العربية تحاشياً من ان تقوم احداها بايقاف أي مشروع اقتصادي مشترك والاستيلاء عليه او تأميمه لمجرد اختلافها مع احد جيرانها او مع دولة عربية اخرى بحكم ان المشروع التابع للشركة لا يخص المتخصصين وانما يخص جميع الدول العربية مجتمعة. ان الاقتراح لا يعرض مشروعاً معيناً اريد ان اتقدم به بل يعرض فكرة يطلب ان تتبناها الجامعة العربية تنفذ عن طريقها المشاريع المشتركة. بعد مدة تحول مقر الجامعة الى القاهرة وتولى الدكتور عصمت عبدالمجيد امانتها فبعثت اليه بالكتاب التالي:

بسم الله الرحمن الرحيم

٢ رمضان ١٤١٤ هـ
١٢ فبراير ١٩٩٤ م

حضرة الفاضل الدكتور عصمت عبدالمجيد المحترم
الأمين العام للجامعة العربية
القاهرة - جمهورية مصر العربية

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد،
كوني مواطناً عربياً تهمني في الدرجة الاولى مصلحة امتي العربية متمنيا ان اراها وقد تبوأ مكانة ممتازة في هذا العالم وان اجدها متأخية متينة الصلات سياسياً واقتصادياً وتجارياً وما الى ذلك، وهذه ليست امنيتي بل امنية كل عربي غيور ومحِب لوطنه، غير انه وبكل اسف نجد امتنا اليوم وقد بعدت كل البعد عن تمنياتنا وبدلاً من ذلك حل بها التشتت والتفرق والابتعاد عن

كل ما هو مطلوب منها الامر الذى يحز في النفس ويقلق البال، والجامعة العربية وعلى رأسها سعادتك تحاول جاهدة رأب الصدع والمحاولة بكل السبل الممكنة لتحقيق العودة الى الوفاق والوئام، وفي نظري انه اذا كان التأخي والتفاهم السياسي قد تعذر في الوقت الحاضر فلا ينبغي لنا ان نتقاعس ونهمل التعاون والتلاحم الاقتصادي بين امتنا فالاقتصاد اليوم حجر الزاوية في نهضة الشعوب وحتى في توجيه سياستها، وقد ادركت شعوب اوروبا الحاجة لهذا الاتجاه فعملت جاهدة سنوات عديدة الى ان وصلت في النهاية لتحقيق هذا الاتحاد دون الالتفات او المساس باتحادها السياسي الامر الذى عند تحقيقه سيلحق الضرر بنا وبالشعوب النامية الاخرى.

سيادة الأمين العام لقد كتبت الى الأمين العام للجامعة السيد القليبي كتابا بتاريخ ١٦ فبراير ١٩٨٣م (صورة منه بطيه) واقترحت تشكيل هيئة عربية اقتصادية بحتة تكون مهمتها التعامل الاقتصادي بين البلاد العربية تساهم فيها كل الدول العربية صغيرها وكبيرها على ان يكون لهذه الهيئة استقلاليتها التامة وان يكون لها مجلسها الخاص المشكل من رجال الاعمال العرب البارزين بغض النظر عن الجهة التى ينتمون اليها سواء مؤسسات حكومية او تجارية او افراد، هدفها ومبدؤها ربط اقتصاد البلاد العربية بعضها ببعض والعمل على توجيه استثماراتهم فيها بدلا من وضع استثماراتهم في البلاد الاجنبية او على الاقل القسم الاكبر من استثماراتهم مع ايجاد المناخ الاقتصادي المناسب المدرس لترويج بضائع مصانعها ومنتجات بلادها فيما بينها بما يشمل على سبيل المثال لا الحصر ايجاد المعارض المتعاقبة لتلك الصناعات والمنتجات وايجاد صندوق مالي يساهم في التمويل اللازم المدرس للمشاريع المشتركة. وقد رد الاستاذ القليبي على كتابي بجواب بعيد كل البعد عما اقترحت (صورة منه بطيه) فالهدف ليس صندوق استثمار بين بعض الدول العربية بل هيئة عربية اقتصادية، واقترحي بإشراك جميع الدول العربية يحصن هذه الهيئة ويمنع أياً من المشاركين من التدخل او التعرض لأي استثمار في أي بلد عربي لمجرد حدوث خلاف سياسي او ما شاكله بين دولة

واخرى من الدول العربية بحكم ان هذا الاستثمار ملك لكل الدول العربية وأي تعرض او تدخل سيمس ويتعرض لمصالح جميع الدول العربية - ثانيا: مجارة ما قامت به شركات النفط من استئجار مناطق معينة لأجل طویل بحيث يطلق للمستأجر وهو في هذا الحال الهيئة المشار اليها أنفا التصرف في المستأجر تجاريا بحرية تامة دون تدخل الدولة المؤجرة الا في الحدود الضيقة كالأمن او ما شاكل ذلك .

قد يراود سعادتكم الشك في تنفيذ هذا الاقتراح او الأخذ به ومع اني اشارككم بعض شكوككم ولكني اجد انه اقتراح جدير بالاهتمام والدرس والتمحيص وثقتي في قدرة ومهارة سعادتكم وزملائكم وحذبكم على مصالح الامة العربية سيهديكم بإذن الله الى توحيد الاقتصاد العربي وتوجيهه لمنفعة العرب اجمعين خاصة واننا الآن نواجه استعمارا اقتصاديا كبيرا يرمي في الدرجة الاولى الى استغلال اقتصادنا ونهب اموالنا والعمل على تفريقنا اقتصادياً بعد ان نجحوا بتفريقنا سياسياً ناهيك عن تفريقنا دينياً .

وتفضلوا بقبول خالص التحية والتقدير ، ،

راشد عبدالرحمن الزياتي

دعوة مفتوحة

مضى على رسالتي هذه الموجهة الى الامين العام الدكتور عصمت عبدالمجيد اكثر من سنة لم أحظ برداً مع هذا يحدوني الأمل بدراسة هذا الاقتراح.. فهل من مجيب؟!

الباب الثاني عشر

السفر والسياحة

السفر والسياحة

مقدمة

عندما كنت تلميذاً صغيراً في مدرسة الهداية الخليفية بالبحرين، كنت بصفة خاصة احب درس الجغرافيا وكنت مولعاً برسم الخرائط وتكبيرها وتصبيغها، وأذكر أني رسمت خريطين مكبرتين إحداها لجزيرة البحرين والأخرى للخليج العربي أهديتا - في احتفال كبير أقيم في المدرسة حضره الشيوخ وعلية القوم بمناسبة زيارة رئيس الخليج البريطاني للبحرين - الى كل من المغفور له الشيخ حمد بن عيسى آل خليفة ولي عهد البحرين ونائب حاكمها آنذاك وإلى المحتفى به رئيس الخليج الآف الذكر.

وقد كلفت بتقديم خريطة البحرين إلى المغفور له الشيخ حمد بينما كلف احد التلاميذ من سني بتقديم خريطة الخليج الى رئيس الخليج.

كنت وأنا أرسم تلك الخرائط وفي تلك السن أتوق الى مشاهدة بعض تلك البلدان التي ارسمها وأتمنى لو تتاح لي الفرصة لزيارة بعضها، وأحياناً أنحيل زيارة بعضها ومشاهدة ما قرأته او تعلمته عنها في المدرسة. وقد بقيت هذه الرغبة تراودني في الخيال الى أن كبرت ومنّ الله عليّ بتحقيق ما كنت أصبو اليه وأتمناه. وفيما يلي: أصف بعض ما تمنيته من رحلات كان بعضها للاصطياف والراحة والبعض الآخر لمشاهدة معالم البلدان التاريخية ومناظرها أو الحصول على وكالات تجارية أو التوقيع على عقد تجاري.

وصدق الإمام علي كرم الله وجهه إذ قال في ديوانه :

تغرّب عن الأوطان في طلب العلا	وسافر ففي الأسفار خمس فوائد
تفرّج همّ واكتساب معيشة	وعلمٌ وآدابٌ وصحبةٌ ماجد
فإن قيل في الأسفار ذلٌّ ومحنةٌ	وقطع الفيافي وارتكاب الشدائد
فموت الفتى خيرٌ له من قيامه	بدار هوانٍ بين وإشٍ وحاسد

(الفصل الأول)

زيارتي الأولى إلى برلين في عهد هتلر

عام ١٩٣٦ م

ثم زيارتي الثانية لها عام ١٩٨٨ م

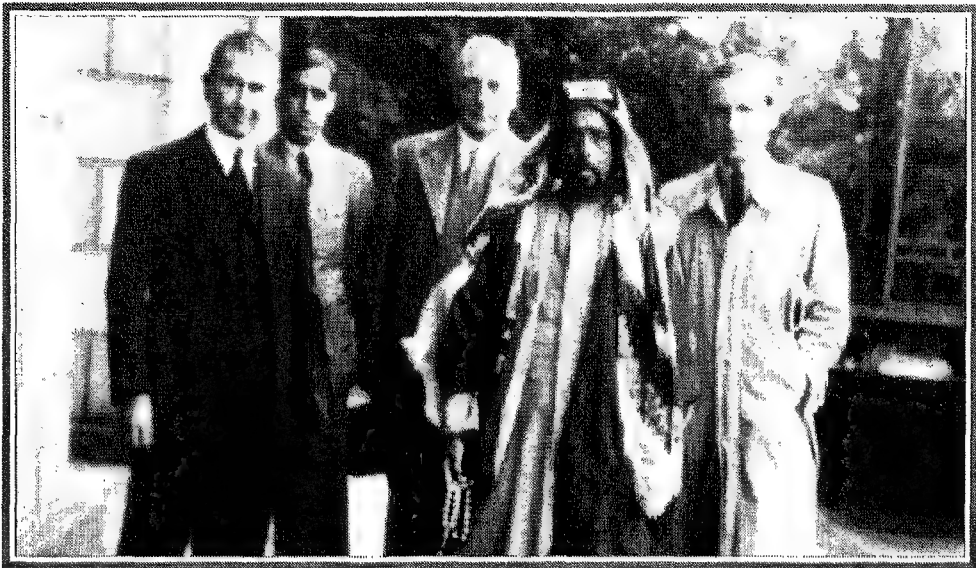
زيارتي الأولى الى برلين في عهد هتلر

عام ١٩٣٦ م

ثم زيارتي الثانية لها عام ١٩٨٨ م

قبل الحرب العالمية الثانية كانت سفرات أبناء الخليج سواء للعلاج أو السياحة أو التجارة مقتصرة على بلدان الشرق الأوسط والهند وباكستان. ولم يتوجه الى أوروبا إلا قلة من الأمراء وتجار اللؤلؤ حيث كانت سفرائهم الى لندن بالنسبة للأمراء، وباريس بالنسبة لتجار اللؤلؤ. اما أقسام أوروبا الأخرى فكانها كانت محظورة عليهم وهكذا كان الوضع لما زرت برلين عاصمة ألمانيا في صيف ١٩٣٦ م، حيث سأروي تفاصيلها لاحقا، وعدت الى البحرين، فاجأني أحد المسؤولين المتنفذين من أبناء البحرين قائلا «كيف تذهب الى برلين وهي تحت حكم هتلر وأنت موظف في الحكومة اما تخشى أن تخسر وظيفتك؟» فليفهم القارئ من هذه العبارة عقلية الناس في ذلك الزمان وكيف ان الاستعمار الأجنبي لم يكن مسيطرا عليهم، لا بل وحتى على تفكيرهم وعقولهم.

في صيف عام ١٩٣٦ م، وكنت لأزال موظفا بديوان الحكومة اضطرت لأخذ اجازة مدتها أربعة أشهر وكانت خطتي السفر الى بغداد، ثم الشام، ثم لبنان، ثم مصر. على أن اتخذ من أرخص الطرق وأطولها مدة لتغطية هذه الاجازة الطويلة اقتصادا في المصاريف تمشيا مع امكانياتي المالية في ذلك الزمان ولأن قانون الحكومة لا يجيز لأي موظف أن يحتفظ بإجازات أكثر من أربعة أشهر وما زاد يلغى. سافرت بالباخرة الى البصرة ومنها بالقطار الى بغداد وفي بغداد أقمت مدة طويلة لسببين الأول: لأنها المدينة العراقية الوحيدة آنذاك التي يرتاح السائح أن يبقى فيها - وثانيا: لأن جدي المرحوم الشيخ عبدالوهاب خلف زوجة عراقية كانت لازالت على قيد الحياة وانه لما كنا قد صفينا تركة جدي وكذلك تفاهمنا مع ورثته في البحرين، أصبح لزاما علينا أن نتفاهم مع زوجته أو أرملته العراقية تفهما وديا، ولذلك كان تريثي في



من اليمين: موظف من الخارجية الألمانية، المغفور له سمو الشيخ محمد بن عيسى آل خليفة، د. هوبر وكيل وزارة الخارجية الألمانية، المؤلف راشد الزياني، ادريس (مترجم الوفد).



في شارع (انتردن لندن) المغفور له سمو الشيخ محمد بن عيسى آل خليفة والمؤلف راشد الزياني

بغداد من أجل التفاهم معها حول هذا الموضوع وأحمد الله انني قمت بهذه المهمة خير قيام إذ تخارجنا معها وديا وأكرمناها بما يرضيها ويطيب خاطرها، وعند الانتهاء من هذه المهمة توجهت الى دمشق بطريق البر بسيارات الأجرة وبعد أن مكثت فيها بضعة أيام اتصلت خلالها ببعض التجار لشراء غتر وعقل لبيعها في البحرين، غادرتها الى بيروت ونزلت في فندق صغير لم تكن بغرفة ولا حتى مروحة مع ان الفصل فصل الصيف. في أثناء وجودي ببيروت زرت الجامعة، وكنت قد غادرتها قبل ٦ سنوات، ومع اني لمحت بعض الأساتذة الذين كانوا يدرسون ومنهم الأستاذ القاسي الذي تعمد إسقاطي في مادة الرياضيات بالصيفية كما جاء في صفحة (١) من فقرة أول بعثة تعليمية، إلا انهم لم يعرفوني ولما عرفت نفسي لبعضهم اندهشوا وقالوا ما شاء الله كبرت وتغيرت علينا وكان هذا أيضا تعليق الأستاذ القاسي. ولانزلت أذكر اني لما دخلت رحاب الجامعة وجلست على أحد المقاعد الموضوعة خارج البنايات بدأت أتذكر أيام الجامعة الجميلة وكيف اني كنت حرا طليقا لا أتحمل أية مسؤولية ولا يقلقني عسر مالي، بل كان كل همي هو الدراسة والرياضة واللعب. وكيف حالي الآن! مسؤولية وضيق مالي أفقداني حريتي واستمتاعي بالحياة السعيدة وشغلا تفكيري ومشاعري. غادرت بيروت على ظهر سفينة يونانية صغيرة مستفيدا من رخص تذاكرها وأيضا مرورها على عدة موانئ الى ان تصل الى الاسكندرية رغبة في قضاء وقت أطول في العطلة فمرت بحيفا ثم بورسعيد ثم الاسكندرية. في الاسكندرية نزلت في فندق صغير في غرفة مشتركة مع نزيل آخر تبين لي فيما بعد انه مهندس مصري زراعي.

بعد يومين من وصولي الاسكندرية وكنت أنوي البقاء فيها عدة أيام قبل السفر الى القاهرة غير انه عند عودتي للفندق في المساء سلمني صاحب الفندق ورقة كتبها المرحوم الشيخ محمد بن عيسى آل خليفة بخط يده وفيها يقول «علمت من البحرين انك تركتها متوجها الى مصر وأنا أنوي زيارة المانيا

(١) صفحة (١٠٠) من الفصل الثالث: اول بعثة تعليمية تبتعث من البحرين الى بيروت.

لعلاج عيني عند طبيب مشهور فيها وأحتاج الى من يرافقني ممن يتكلم الانجليزية وفهمت انك في عطلة فقلت أعرض عليك إذا كان بإمكانك مرافقتي». وأضاف انه ساكن في فندق سماء في الاسكندرية ويطلب أن أقابله هناك. في صباح اليوم التالي ذهبت لمقابلة الشيخ محمد فرحب بي، ولما عرض علي فكرته رحبت بها لسببين الأول: اني لأزال في بداية عطلتي ومدتها طويلة وثانيا: كانت أمنية لي أن أرى أوروبا وألمانيا بالذات في ذلك الوقت. اذ ان ألمانيا في تلك السنة وبرلين بالذات كانت العاصمة التي اختيرت لتقام على أرضها الألعاب الرياضية الأولمبية في ذلك العام فضلا عن كونها في أوج قوتها وعزتها تحت حكم هتلر.

تحولت الى الفندق الذي يسكن فيه سمو الشيخ محمد وكان فخما بالنسبة لما اعتدت عليه من فنادق صغيرة أثناء سفري، طلب مني الاتصال بشركات البواخر لترتيب السفر وأحيانا نذهب سوياً الى تلك الشركات فاستقر سفرنا على الباخرة المصرية المسماة «النيل». ولحسن الحظ يصادف أن تحمل هذه الباخرة في رحلتها هذه الى أوروبا وفد حزب الوفد المصري برئاسة النحاس باشا الذي كان متوجها الى انجلترا للتفاوض مع الحكومة الانجليزية والذي على اثره أبرمت اتفاقية ١٩٣٦م بين الحكومة المصرية والحكومة البريطانية. كان خط سير الباخرة المذكورة من الاسكندرية الى ميناء «جنوى» بإيطاليا ومن جنوى يستقل المسافرون القطار الى نواحي أوروبا المختلفة. استغرقت سفرة الباخرة خمسة أيام على ما أذكر كانت من أمتع الأيام بالنسبة للشيخ محمد وبالنسبة لي أيضا فقد كان ركابها جميع زعماء الوفد مع زوجاتهم - النحاس باشا - أحمد ماهر - النقراشي - مكرم عبيد وغيرهم. وكان بين ركاب الباخرة عدد من عظماء مصر وفنانيها من بينهم الأستاذ الموسيقار محمد عبد الوهاب. طبعاً جرى الاتصال مع كل هؤلاء وتبذلت الدعوات والاجتماعات الودية وقضينا الخمسة أيام هذه في سعادة وهناء.

وصلنا جنوى بإيطاليا واستقلنا القطار الى برلين ولما وصلناها وجدناها ترفل بحلل من الزينات والاعلام بمناسبة الألعاب الرياضية العالمية. نزلنا في

فندق يقع في وسط المدينة، وفي اليوم الثاني جاء الى الفندق شخص ألماني قابلته في فناء الفندق فعرف نفسه بعد أن حياني بالتحية الهتلرية المعتادة في المانيا في ذلك الزمان، وذلك بأن رفع يده اليمنى الى أعلى ثم ضرب كعبيه ببعضهما البعض بطريقة تعظيم سلام وقال «هيل هتلر» (أي يعيش هتلر). قال اسمي «هوبر» وأنا من وزارة الخارجية. لقد علمنا عن وصول صاحب السمو الشيخ محمد فكلفت بزيارته والترحيب به في هذا البلد. أبلغت الشيخ محمد فقابلته بمقابلة حسنة وبعد أن أدى له التحية على نمط ما سبق قال «سنعد لسمو الشيخ برنامجا لزيارة معالم المدينة وسأصطحب معي أحد رجال الخارجية ممن يتكلم العربية. فعلاً في اليوم الثاني جاءنا وبصحبتة المتكلم العربي، وكان اسمه «ادريس» ويظهر انه من القوقاز من شكله وسحته، وكان يتكلم العربية بفصاحة تامة. كما أفادنا انه قد رتبت لنا رحلات متعددة لمشاهدة معالم المدينة وما حولها ومنذ اليوم التالي لهذه الزيارة ونحن نتنقل من مكان لآخر نتمتع بمشاهدة تلك المعالم الجميلة الرائعة، من جملتها مثلاً شارع «اوتو ستراد» السريع والذي يبدو في ذلك الزمان انه أول شارع سريع غير متقاطع ينشأ في أوروبا. كما تجولنا أثناء وقت الفراغ في المدينة، واستمتعنا بمشاهدة بعض التمثيليات في مسارحها الفخمة. في نفس الوقت اتصلنا بطبيب العيون المشهور الذي أشرت اليه في البداية، والذي كان الشيخ محمد قد قصده لمعالجة عينيه. وبعد تحديد الموعد ذهبنا اليه ولما كشف على عين الشيخ محمد قال له ان العلاج الذي عاجلك به الطبيب المصري لا غبار عليه ونحن هنا نعتبر ذلك الطبيب من أشهر أطباء العيون الأخصائيين في العالم.

كانت أيام برلين أياماً مبهجة، فالمدينة مرتبة وجميلة ونظيفة، وكانت تعتبر في ذلك الزمان أجمل وأنظف مدينة أوروبية، وكان الناس يتدافعون في شوارعها بقوة وحماس يغمر وجوههم الفرح والسرور. وقد حرم هتلر على النساء الألمانيات استعمال المساحيق التي تفردت فرنسا عدوته اللدود بصنعها في ذلك الزمان انتقاماً منها فكانت تجدد النساء الألمانيات بدون مساحيق. وكان بها مسارح ومسليات كثيرة متنوعة. لازم الشيخ محمد لباسه العربي طيلة

السفرة اما أنا فلا أخفي سرا إذا قلت هنا اني لم أكن أملك غير بدلة أوروبية واحدة ألبسها ليلا ونهارا لعدم استطاعتي ماديا شراء غيرها . بقينا في برلين حوالى اسبوعين صرف الشيخ محمد تقريبا كل المبالغ التي كانت معه، وقبل ذلك كتب الى البحرين ليحولوا له مبلغا معيناً فلم يصله الجواب وصار في حيرة فلما فاتحني قائلاً احتجت الى تحويل مبلغ لي من البحرين فلم يصلني ولا أعرف لماذا هذا التأخير، قلت له أنا معي حوالة بمبلغ بسيط محتفظاً بها لتكملة عطفتي أقدمها لسموك، سلمت اليه الحوالة وبعد صرفها بدأنا في الرجوع على نفس الطريق وبنفس الوسيلة وصلنا الاسكندرية ومنها الى القاهرة حيث مكثت فيها بضعة أيام، وفي أثناء ذلك وصل لسمو الشيخ ما طلبه من دراهم من البحرين فأعاد مبلغ حوالتى التي سلمتها له في برلين وغادرت القاهرة عائداً لبلادي بعد أن ودعت سموه شاكرًا لطفه وحسن رعايته .

بالنسبة لي لقد زرت برلين وشاهدت معالمها في سنة ١٩٣٦م ثم عدت لزيارتها ولمشاهدة معالمها في سنة ١٩٨٨م، فوجدت الفرق شاسعا بين ما شاهدت في الماضي وما أشاهده في الحاضر، فمثلا شارع برلين الرئيسي الشهير والمسمى «انتر دن لندن» لم يبق ممتدا بطوله في وسط المدينة، بل انقسم الى قسمين يفصل بينهما حائط برلين الشهير. ويلاحظ المشاهد ان طراز وهندسة العمارات الواقعة على جانبيه تختلف في طرازها وهندستها، فأغلب العمارات الواقعة في الجانب الغربي من الحائط طرازها حديث بينما الأخرى الواقعة في الجزء الشرقي طرازها قديم، وطبعاً سيبدو هذا الاختلاف واضحاً وملفتاً للنظر عند هدم الحائط المشؤم، والسبب ان المسؤولين في الجزء الشرقي حافظوا على ما بقى من البنايات القديمة وقاموا بترميمها وإعادة بنائها الى ما كانت عليه قبل الحرب. اما المسؤولون في الجزء الغربي فقاموا بإزالة ما بقى من البنايات من بعد الحرب وأقاموا مكانها بنايات حديثة شاهقة .

أثناء زيارتي بصحبة زوجتي الى برلين في سنة ١٩٨٨م ونزولنا في برلين الغربية لم أر أثراً للشوارع التي كنت قد عهدتها في زيارتي لبرلين في سنة

١٩٣٠م، ولا الفندق الذي نزلنا فيه أثناء تلك الزيارة، بل حل محلها عمارات حديثة ذات طوابق عالية. ولكن عندما عبرنا حائط برلين الى برلين الشرقية، وجدت العمارات والشوارع التي كنت قد عهدتها في سنة ١٩٣٦م باقية بعد رميمها وصيانتها.

وبمناسبة زيارتي لبرلين اذكر هذه القصة: عندما عدت من رحلة برلين في عام ١٩٣٦م زارني بعض الاخوة والمعارف، للسلام وسألوني عما رأيتم شاهدت من معالم أوروبا، وبرلين بالذات خاصة وان ألمانيا كانت في عنفوان نوتها ورقيةا برعامة هتلر، كما ان السفر الى أوروبا في ذلك الزمان من أطرافنا كان يعتبر أمرا خياليا. بطبيعة الحال، أجبتم السائلين وتبسطت في الحديث والشرح عما شاهدت ورأيت، خاصة لمن تشوق للاستماع الى المزيد من المعلومات.

مرت الأيام والسنون، وفي احدى الأمسيات القرية التقيت بأحد أولئك المعارف في أحد المجالس وفيما كنا نتبادل الحديث في أمور مختلفة فاجأني بقوله «تذكر أخ راشد انك لما رجعت من برلين وزرتك أنا وأخي فلان للسلام عليك» قلت «نعم أذكر» قال «سألناك يومها عما شاهدت ورأيت في سفرك، وخاصة برلين فشرحت لنا ذلك، وكنا نؤمن على كلامك بشوق وانتباه، ولكن في النهاية ذكرت لنا عن اختراع جديد شاهده، وبعد روايتك ذلك لنا بدت علينا الحيرة والشك في تصديقك فلم نؤمن على كلامك ولم نجادلك مجاملة منا، بل لزمنا الصمت، وفي الخارج عندما بارحنا المكان دار بيني وبين أخي حوار تعجب واستغراب، وقلنا الواحد للآخر غريب ماذا حدث للأخ راشد كيف يروي ويتحدث عن شيء لا يعقل ولا يصدق؟ فقد عرفناه مترنا - رزينا لا يبالغ ولا يختلق و... و...» وهنا لم أتمالك من أن أقاطعه وأسأله عن هذه الرواية التي تشكك هو وأخوه في أمرها، قال «قلت لنا انك شاهدت صندوقا خشبيا مكعبا ركب في احدى واجهاته زجاجة، ووصل بسلك كهربائي يرتبط بمصباح يضيء ما وراء الزجاجة، ثم طلب من شخص كان معك ان يذهب بعيدا في غرفة نائية، أو يرقى الى الطابق الأعلى



ساعة الأذان المشار إليها في صفحة (٣٧٥)

من البناية حيث يسلم اليه جهاز بسيط يتكلم فيه فتظهر صورته في الزجاج المسمرة او المثبتة في الصندوق ، ويسمع كلامه وعندما يتحرك يمتة أو يسرة تبدو حركاته ظاهرة للعيان» ضحكنا وضحك كل من كان بالمجلس من الحاضرين .

ولم يفتني في هذه الجلسة من أن أقول لصاحبي جاء دوري لأقول للحاضرين ماذا حدث له ولأخيه عرفناهما مترنين رزينين ألم يدركا ان هذا الصندوق بداية اختراع التلفزيون الذي انتشر في كل أرجاء الدنيا .

ثم أضفت قائلاً «في أثناء زيارتي الأخيرة الى انجلترا التقيت بشخص يحمل الجنسية الانجليزية، وهو في الأصل هندي مسلم، تخصص في علم الالكترونيات والكمبيوتر وبرع فيه، انه اخترع مؤخرًا ساعة تحدد أوقات الأذان، تنادي به في أوقاته المقررة في أكثر من ١٠٠ بلد اسلامي في الشرق أو الغرب، في الشمال أو الجنوب، فبمجرد أن تكبس على زر معين تظهر على نافذتها الزجاجية اسم البلد المطلوب، وأتوماتيكيا تتغير مواعيد الأذان بحيث تجعلها مطابقة للمواعيد المقررة لتلك البلد، وانه اذا حان وقت الأذان وبدأ المؤذن ينادي به يشتعل في قبة الساعة سراج أحمر يوجه المصلي الى القبلة، وفي نفس الوقت يختفي اسم المدينة وتحل محله كلمة «مكة» طيلة مدة إلقاء الأذان، وعند انتهاء إلقائه ينطفئ النور الأحمر الموجه الى القبلة، كما تختفي كلمة «مكة» ويبرز محلها اسم المدينة المعينة. فوق هذا وذاك ففي شهر رمضان، وقبل أذان الإفطار مباشرة، تطلق الساعة صوت المدفع المعتاد. علاوة على هذا فالساعة تستطيع أن تعطي معلومات أخرى، كتاريخ ذلك اليوم، كما انه يمكن استعمالها كمنبه لإيقاظ النائم، فهل يصدقني الأخ هذه المرة أم يساوره الشك في كلامي، ويصفني بما وصفني في رواية برلين السابقة. أجاب «كلا سأصدقك وأصدقك ولن أحاول أن أقع ثانية في غلطتي السابقة!».

(الفصل الثاني) السفر إلى إنجلترا



الطائرة البحرية - طراز ستيرلند

١ - زيارتي الاولى إلى انجلترا

منذ سنة ١٩٤٧م، وأنا اتردد على اوروبا، وانجلترا بالذات، وكذلك على مريكا وبعض مناطق اخرى من العالم، احيانا للسياحة والاطلاع وحيانا لتابعة اعمال تجارية او للعلاج، وكانت سفرتي الى اوروبا في عام ١٩٤٧م هي ثاني سفرة لي الى اوروبا بعد سفرتي الاولى الى المانيا في عام ١٩٣٦م. ففى صيف عام ١٩٤٧م ركبنا الطائرة البريطانية البحرية (من نوع سندرلند)، وكانت الطائرات البحرية في ذلك الزمان هي الطائرات المستعملة لنقل الركاب بين الخليج وبريطانيا، ركبناها من البحرين صباح احد الايام فتوقفت في القاهرة حيث امضيت والركاب ليلة ممتعة في أحد مسارحها. في صباح اليوم التالي غادرت الطائرة القاهرة متوجهة الى جزيرة صقلية الايطالية، حيث امضيت والركاب كذلك امسية ذلك اليوم فيها. في صباح اليوم الثالث توجهنا الى مرسيليا بفرنسا حيث امضينا امسية ذلك اليوم فيها وقضينا ليلة ممتعة في أحد مسارحها او نوادياها على حساب شركة الطيران طبعاً، وفي صباح اليوم الرابع غادرت مرسيليا متوجهة الى سوئهاامبتون في بريطانيا، ومنها استقلت القطار الى لندن، استقبلني في المحطة احد موظفينا من الانجليز الذى كان قد رتب نزولي في فندق ليلية واحدة ثم النزول مع عائلة انجليزية لا يبعد سكنها عن سكنه الا بضعة امتار. العائلة الانجليزية مكونة من مهندس معماري وزوجته وابنتيه الصغيرتين.

كان غرضي من النزول مع عائلة انجليزية التعرف والاطلاع على عادات الانجليز في بلادهم، وقد كررت النزول مع العائلات الانجليزية على مدى ثلاث رحلات سنوية متتالية وفي كل مرة اغير الناحية التي انزل فيها في لندن. في واقع الامر لقد استفدت فائدة كبيرة من النزول مع العائلات الانجليزية، اذ تعرفت على طريقة معيشتهم، وعلى اسلوب التعامل والتفاهم فيما بينهم كما تهيأت لي بطبيعة الحال الرعاية الخاصة التي اتمتع فيها بوجودي بين عائلة بدلا من ان اكون وحيدا في الفندق لا يتحدث معي احد، خاصة

وان الانجليز تختلف عاداتهم عن عاداتنا فهم لا يتبادلون التعارف او فتح الحديث مع الغريب حتى ولو كان من جنسهم الا عند الضرورة او اذا دعت الحاجة لذلك .

ولعله من المناسب ان اذكر شيئاً في هذه الذكريات عن عاداتهم : قبل سفري الاولى الى انجلترا قرأت في احدى الصحف العربية مقالا عن بعض عاداتهم ولم اصدق بعضها ، ولكنى وجدت ذلك صحيحا عند زيارتي لبريطانيا اذكر احدها على سبيل المثال : دعاني احد رجال الاعمال بعد انتهاء دوام العمل الى مصاحبته في احدى الحانات ، اذ انه من عادة رجال الاعمال في انجلترا بعد انتهاء دوام العمل زيارة احدى الحانات والتوقف فيها لمدة قصيرة قبل التوجه الى البيت ، وحبا في الاستطلاع ذهبت وشاهدت بالفعل ما روته الصحيفة . تقول الصحيفة يعتاد اصحاب الاعمال في بريطانيا بعد انتهاء دوام عملهم التوجه الى الحانات لفترة قصيرة قبل التوجه الى بيوتهم ، حيث يلتقون مع معارفهم من اصحاب العمل ، وتضيف ، ربما يدعوك احدهم لمرافقته الى احدى هذه الحانات ، فعندما تدخلها تجد فيها بعض الكراسي الوثيرة فلا تفكر ان تتوجه الى احدى هذه الكراسي لتجلس عليها ، فإنك لو فعلت لوجدت نفسك وحيدا لا احد يجلس معك لان رفاقك اعتادوا ان يقفوا امام طاولة الساقى ليتحدثوا بما يروق لهم ، ولنفرض انك ظللت واقفا معهم ، ستلاحظ ان مجاملة التحية بينهم وبين معارفهم هي مجرد هز الرأس من اعلى الى اسفل او من جانب الى آخر دون النطق بالتحية ويجاوبه الآخر بمثلها فافعل كما يفعلون . بعد هذا يتقدم احدهم بطلب الشراب للجميع ويدفع الثمن عنهم . ثم يشرع وبايب الدخان في فمه في سرد قصة او نكتة بصوت هادىء لا يكاد يسمع . وبعد الانتهاء من سرد نكتته يقهقه ضاحكا فيضحك الجميع معه ، فإياك إياك ان تسأل من هو بجانبك عن فحوى النكتة لانه هو نفسه لم يفهمها او حتى سمع نهايتها بل تظاهر بالضحك وحاول ان ترفع صوتك بالضحك لتسر النكات . بعد ذلك يشرع شخص آخر من الرفاق بسرد نكتة اخرى بعد ان يدفع ثمن الدور الثانى من الشراب . وهكذا دواليك

تكرر النكت ويجب عليك هنا ان تستعد لتقوم بدورك في دفع ثمن الشراب عن الجميع وسرد قصة او نكتة .

ولما جاء دورى وكنت قد حضّرت نفسي للقاء نكتة كما يفعلون تحدثت بها بطريقتى المعتادة ولكنى مع الاسف فشلت في تلقي قهقهتهم الصاخبة كما نعلوا مع زملائهم ولا ادري لماذا لم يقهقهوا لنكتتي هل كانت النكتة كما يقال «بايخه» ام لأني لم أروها واسردها على مسامعهم بالطريقة الهادئة التى اعتادوا عليها! كذلك تقول الصحيفة يكثر الانجليز من ترداد كلمتي من فضلك وشكرا يس بينهم وبين أي شخص غريب عنهم ولكن حتى بين افراد العائلة والاصدقاء ونحن في أطرافنا لم نتعود ترداد ذلك بكثرة بين افراد العائلة ولا نستعملها الا عند اللزوم، وهنا اروي واقعة حدثت لي تشير الى ذلك .

جرت العادة عندما كنت انزل عند احدى العائلات ان تأتي ربة البيت في الصباح وتطرق باب غرفتي لتوقظنى بقولها صباح الخير ومعها كوب شاي نضعه على الطاولة المجاورة لسريري ثم تقفل راجعة لإعداد طعام الافطار . في احد الايام، صادف اني كنت متعبا وربما كنت ساهرا تلك الليلة جاءت ربة البيت كعادتها بكوب الشاي ووضعتة على الطاولة وربما قالت صباح الخير، غير اني لم اشعر بوجودها لأحييها واشكرها اذ كان النعاس غالبا علي . بعد ان استيقظت واغتسلت نزلت الى قاعة الطعام لتناول الفطور معها ومع زوجها فلاحظت وهى تقدم الاكل انها مقطبة ولا تتحدث معي او مع زوجها كعادتها كل يوم، ظننت ان بينها وبين زوجها حادثا ما او سوء تفاهم فلم اعط الامر أي أهمية، ولكن لما حضرت للعشاء معهم وجدت انها لازالت على حالتها الصباحية خلافا لعادتها المألوفة . عند ذهابها للمطبخ سألت الزوج ماذا بزوجتك ألاحظ انها مكتئبة وزعلانة! قال «نعم زعلانة منك»، قلت مني، «ماذا عملت لأزعلها؟» قال «هذا الصباح عندما احضرت لك كوب الشاي لم تقل لها شكرا»، قلت «أهذا سبب الزعل!» فبادرت الى محادثتها قائلا اني لم اقصد عدم شكرك وانما كنت في حالة نعاس شديد ولم اتذكر احضارك لكوب الشاي فاعذريني وأوضححت لها اننا لا نردد كلمة



صورة لصاحب السمو الشيخ خليفة بن سلمان آل خليفة رئيس الوزراء الموقر
أثناء زيارته لأحد معارض روفر في لندن ، ويظهر عن يمينه المرافق راشد الزياتي

الشكر بكثرة لأنفسه الأمور ومن الآن فصاعدا دعونا نخفف من تردد ذلك وان لا نستعملها الا عند المناسبة المهمة .

الزائر لبريطانيا بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية مباشرة يجد العديد من بناياتها مهدامة كلياً او جزئياً، ويختلف مكان عن آخر ومدينة عن أخرى وبطبيعة الحال لم تبن خلال فترة الحرب بنايات جديدة مما جعل أزمة المساكن والفنادق مستحكمة، وبما اني التجول بسيارتي في انحاء مختلفة من البلاد لمشاهدة معالم المدن المختلفة او سعي وراء الحصول على وكالة تجارية جديدة، فقد صادف مرة اني لم احصل على غرفة في أي فندق في مدينة كبيرة تقع في وسط بريطانيا فاضطرت ان انام تلك الليلة في أحد الحقول في سيارتي .

بعد ان رويت ذلك الى احد مدراء الشركات التي نتعامل معها نصحني بأن احتفظ في سيارتي ببعض البطانيات وما شاكلها للضرورة، ودلني على مخزن كبير في لندن متخصص ببيع مخلفات الحرب بأسعار زهيدة، مع انها جديدة ولم تستعمل . توجهت الى ذلك المحل ولفت نظري فيه وجود خيام صغيرة، اشتريت احداها بالاضافة الى بعض البطانيات وخزنت الجميع في صندوق السيارة، كما نصحني ان احاول دائماً الحجز في الفنادق مبكراً لشحها وكثرة الزائرين لبريطانيا في ذلك الفصل .

بعد بضعة ايام توجهت بصحبة مدير كراجنا الانجليزي الى برمنجهام لزيارة مصنع اوستن للسيارات وعبثاً حاولنا الحصول على مكان في فنادقها المحدودة آنذاك . ولما كان من الصعب الرجوع الى لندن لبعد المسافة من جهة ولارباطنا بمواعيد تجارية حدد لها صباح اليوم التالي، من جهة أخرى لم نجد حلاً لمبيتنا تلك الليلة الا في الخيمة التي كنت اشتريتها وخزنتها في صندوق السيارة . نصبنا الخيمة في أحد الحقول القريبة من المدينة بعد ان استأذنا صاحب الحقل، وبعد ان تعشينا وتمشينا في المدينة عدنا لخيمتنا ونمنا فيها .

في الصباح الباكر استيقظنا فرعين على حركة غير عادية اصابت خيمتنا فهي احياناً تهتز و احياناً نشعر انها بدأت تتمايل وتكاد تسقط على رؤوسنا . لم يكن الجو ذلك الصباح عاصفاً او مطراً بل كان يميل الى الهدوء والصفاء . إذاً

ما الخبر؟ وما هو تفسير هذا الازعاج؟ . كانت للخيمة نافذة صغيرة مغلقة فتحتها لاستكشف منها، فاذا بى اشاهد عددا لا يقل عن اثنى عشر ثورا احاطوا بالخيمة والسيارة، كان بعضها يحاول قلع اوتادها والبعض الآخر جعل يناطح سيارتى، وهى سوداء اللون لامعة. حاولنا ابعادها بأن رمينا عليها ما وقع تحت ايدينا من اشياء من ادوات الخيمة وحتى احذيتنا ولكنها لم تهتم وتمادت في مغازلة الخيمة والسيارة الى ان يسر الله ولمح صاحب الحقل حالتها معنا فسارع بإبعادها عنا.

اما اليوم الثانى فقد استطاعت شركة اوستن ان تحجز لنا غرفة صغيرة في الطابق العلوي من فندق قديم وكان قسم من سقف الغرفة لازال مغطا تتسرب منه الريح الباردة. استعنا بالبطاطين التى احتفظنا بها بالسيارة لسد ما امكن سده من فتحات السقف المحطم.

٢ - أكل الانجليز

كان المطبخ الانجليزى بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية، وحتى دخول السبعينات فقيرا محدودا بانواعه ومذاقه بالنسبة لنا ولغيرنا من الشعوب الاخرى، فالسمك مثلا كان يغلى في الماء فقط ويقدم للأكل كما هو دون اضافة أية بهارات او أية مادة تخفف من زفرته، وكانوا يعتبرون المطبخ الفرنسي هو المثالي الذى يشار اليه بالبنان، حتى ان غالبية مطاعم الفنادق الراقية في انجلترا بادروا الى توظيف طبّاخين من فرنسا، وكتبوا لوائح الطعام باللغة الفرنسية ايضا، غاية في الترمُّت والتفاخر، وتحتاج اذا حضرت الى مثل هذا المطعم وانت لا تعرف الفرنسية ان تطلب الترجمة من النادل، انما مع مرور الزمن ادخل على المطبخ الانجليزى كافة انواع المأكولات المختلفة اوروبية وشرقية حتى اصبح المطبخ الانجليزى كما يقال «انترنشينال».

والانجليز وخاصة الطبقة العليا او الراقية او المتزمتة منهم يتباهوا بأكلات ترفضها شهيتنا او انفسنا مع انهم يعتبرونها من الأكلات الغالية المفضلة واذكر اني دعيت الى وليمتي عشاء اثناء تواجدي في بريطانيا في اوائل الخمسينات عندما كان الاكل شحيحا ومسيطر عليه من قبل دائرة التموين.

الاولى:

دعاني احد الشخصيات الكبيرة الى وليمة عشاء في قصره الواقع خارج لندن وكان المدعوون معي كلهم من كبار اصحاب الاعمال، ولما استعرضت قائمة الطعام لاحظت ان الوجبة الرئيسية «دجاج مع الخضار» يسبق ذلك مقبلات وسلطة، ومع اني كنت جائعا والدجاج نادر الحصول عليه في مطاعم لندن في ذلك الزمان اكتفيت بالقليل من المقبلات انتظارا لصحن الدجاج.

اثناء تقديم صحن الوجبة الرئيسية شممت رائحة كريهة لم اجد مناسبة لها فنحن في قصر فخيم يحف بنا خدم ارتدوا ملابس رسمية نظيفة انيقة لم يكن

يتبادر لذهني او تفكيري ان الرائحة الكريهة كانت من الدجاج المقدم في الصحن فقد كان متعفنا وتصدر منه رائحة تزكم الانوف . لم استطع تناوله او حتى النظر اليه اذ كنت ضيف الشرف في هذه الدعوة اجلس بجانب الداعي وهو لورد من لوردات بريطانيا المشهورين ، في نفس الوقت كنت جائعا لم اتناول الا غداءً بسيطا ذلك النهار، بدأت اعبث في لحم الدجاج دون الأكل منه وأكلت بكراهية واشمئزاز بعض الخضار الموجودة في الصحن واضعا يدي اليسرى على حافة الصحن لأخفي محتوياته عن ملاحظة مضيفي ، وفي الوقت الذي كانت نفسي تنقزز مما حواه ذلك الصحن كان المدعوون يلتهمون محتويات صحنهم بشهية وشراسة ، كما علق بعضهم على ما جاء في صحنهم بقولهم انه جدا لذيذ وانه (Turned) كلمة يقصد بها انه متعفن ، تصور ايها القارئ حالتي قبالة ذلك الدجاج المتعفن اني احمد الله اني تمكنت من السيطرة على نفسي فلم أتقيأ طيلة ذلك الوقت ، لقد لعنت في قرارة نفسي تلك الوليمة وتلك الليلة النحسة التي تواجدت فيها في ذلك المكان وكيف اني ظللت جائعا اتطوى من الجوع واشتهي ان أكل أي اكلة مقبولة لتسد رمقي ، ولكن اين اجد الاكل بعد تلك الساعة من المساء فالمطاعم في تلك القرية الصغيرة قد سدت ابوابها منذ مدة ، وحتى مطاعم لندن تكون قد شطبت واقلت ابوابها عند رجوعي اليها فبيني وبينها سياقة خمسين ميلا . ظللت شارد الذهن حائرا افكر ثم افكر وفيما انا في اوج حيرتي وتفكيري تذكرت ان هناك في لندن وبالقرب من سكني محلا صغيرا متواضعا يبيع سمكا مقليا مع البطاطس ويقدمه للزبائن على الواقف في ورق الجرائد المستهلكة بدل الصحن وانه يظل فاتحا حتى ساعة متأخرة من الليل فقلت الحمد لله وجدت ضالتي وهدأت نفسي نوعاً ما .

بعد ذلك العشاء المقرف وتبادل التحيات ركبت سيارتي مسرعا عائدا الى لندن ، وكانت كما ذكرت آنفا تبعد حوالي ٥٠ ميلا عن هذه القرية ، هديفي

بائع السمك ، وبعد السير حوالي ربع ساعة صادفني والسيارات السائرة في ذلك الطريق ضباب بدأ خفيفا ثم تكاثف حتى أصبح السير متعذرا، توقفت بسببه جميع السيارات التي امامي والتي خلفي، انتظرت بعض الوقت على أمل ان ينقشع الضباب ولكنه زاد كثافة. نزلت من السيارة لأستطلع سبب توقف السيارة التي امامي فلم أجد سائقها أمام مقودها بل وجدته مسترخيا في مقعدها الخلفي وقد أغمض عينيه ونام ووجدت السيارات التي أمامها وقد حذا أصحابها حذوه، كان الضباب كثيفا بحيث كما يقال لا يمكن رؤية مقدمة السيارة ومع فتح الأضواء بالكاد ترى مؤخرة السيارة التي امامك وهي تقريبا ملاصقة لسيارتك تذكرت ما كنا نسمعه عن بريطانيا بانها «بلاد الضباب»، كنت تعباً وجائعا ومشمئزا من رائحة الدجاج العفن التي كانت تلازمني حتى تلك اللحظة، وكانت أمسية نحسة وليلة سوداء، توكلت على الله، وأغلقت أبواب السيارة مقلدا الآخرين محاولا النوم فيها حتى الصباح، ولكن هل يستطيع الجائع ان ينام، كلا غالبت النعاس حتى الصباح حيث خفت حدة الضباب فواصل الجميع السير ببطء وحذر ومع اني في حياتي لم انم في سيارة من قبل الا اني جربتها هذه المرة ثم مرة اخرى عندما كنت في شمال انجلترا ولم اجد غرفة في أحد الفنادق فاضطرت للنوم في السيارة.

ومرة اخرى:

في الستينات كنت مدعوا مع زوجتي على العشاء من قبل احدى الشركات الكبيرة في بريطانيا وكانت الدعوة في افخم فندق في لندن، ولما قدم الطعام كان الصحن الرئيسي «طير القطاء» الذي اعتاد الانجليز اصطياده في موسم معين ويعتبر من اللحوم البيضاء الشهية والتي لا تقدم الا في المطاعم الغالية كان بعضه متعفنا له رائحة كريهة تشمئز منها النفس، بينما هو في نظر الانجليز مرغوب بهذا التعفن كما ذكرت آنفا، وكان البعض الآخر منه سليما،

غير متعفن، وصادف ان الذى قدم امامي سليم بينما الذي قدم امام زوجتي متعفن فاشمأزت نفسها وأشّرت لي بذلك قلت لها سأبدل صحنى بصحنك وقالت «يا بوه، انا وقفت نفسي.. أي اشمأزت (تعبير عراقي) ولا استطيع ان أكل من هذا ولو كان سليماً» ولما لاحظت الداعي انها لم تأكل من اللحم واكتفت بالمالحقات من خضار ونحوها سألتها فأجابت «انا ممنوعة من أكل اللحوم في الوقت الحاضر» واضطرت ان اعلق على ذلك وانا انش في لحم الطير السليم امامي وقلت «الحمد لله اني لم امنع من اكل مثل هذا اللحم الممتاز» (مجاملات).

ويوماً ما في الستينات:

ايضا دعاني رئيس شركة مرموقة الى طعام غداء في أحد المطاعم الشهيرة في قلب لندن ولما حضر النادل وقدم لي قائمة الطعام لاختر منها سحبها الداعي من يدي وقال «لا حاجة لان تختار منها فقد طلبت لنا اكلا خاصا كما يقال تأكل اصابعك وراء من لذته»، وافقته شاكرا صنيعه واهتمامه باكرامي وانتظرنا مدة ومدة طويلة جدا ولما سألته عن البطء اجاب «انهم يعدونه إعدادا خاصا انه ليس في قائمة الطعام العادية».

بعد مدة وصل الأكل الخاص الشهي المنتظر وكان معدا في اوان نحاسية جميلة براقّة وبدأ النادل يفرغ ما بها في صحون كبيرة امامنا فاذا هو رز مطبوخ مع ما نسميه في اطرافنا «بالصقوع» وهو الذى يتكاثر على سواحلنا ولم يفكر احد في يوم من الايام ان يجمعه او يعده للأكل بينما هو يعد من الاكلات الشهية الغالية في انجلترا واوروبا وحتى في الشرق الاقصى. اني لم اعتد ان أكل هذا من قبل ونفسي لا تستسيغه، ولما سألني الداعي «ما رأيك» اجبت مجاملا طبعاً «جميل» في الوقت الذى ابعد الصقوع جانبا عن الرز والتهم الرز بمفرده واقول في نفسي تعلم يا راشد من هذه المطبات فلا تجامل اكثر مما جاملت فقد اعطتك هذه المجاملات دروسا قاسية لم تتعلمها. بعد هذه

المطبات بدأت ادقق واستفسر عما سيقدم لي من اكل وابدي رفضي واعتراضي اذا عرض علي اكل لا يناسبني .

ولكن ومع هذا لم انج من مطبات مماثلة فيما بعد، رغم تدقيقى وحرصى واذكر على سبيل المثال احدها :

في يوم من الايام دعاني صديق عزيز (انجليزي) كان يعمل سابقا في البحرين ويسكن في مكان قريب من الساحل الجنوبي لانجلترا الى زيارته في عطلة نهاية الاسبوع وكونه يعرف ان هوايتي المفضلة صيد السمك هيا لنا قاربا للاستمتاع بهذه الهواية زيادة في اكرامي .

توجهت الى قريته وخرجنا الى البحر نصطاد، كان الجو جميلا وقد وقفنا ببعض الصيد . ولما حان وقت الغداء وكان قد احضر «سندويشات» اعدتها زوجته، ومعها شراب كولا وبعض الفاكهة دعاني للمشاركة فاذا بالسندويشات كلها معمولة من لحم الخنزير، لم استطع ان اخرج به وابدي تأففي تظاهرت بأني لست جائعا واني قد اكلت وجبة فطور كبيرة وافضل دائما ان يكون العشاء وجبتي الرئيسية، وقضيت غدائي على تفاحة وعلبة كولا وامري لله . من يومها وانا احرص على ان استفسر عن الأكل الذى سيقدم لي سواء في الدعوات او المطاعم لأن الاوروبيين اعتادوا اضافة لحم الخنزير على بعض اكلاتهم فمثلا يقدمون البطيخ وعليه لحم خنزير ويقدمون الدجاج المقلي احيانا مضافا اليه لحم الخنزير وحتى الشوربة احيانا يعملونها بعظام لحم الخنزير لذلك انبه اولائك الذين يستحرمون اكل الخنزير ان يستفسروا عن محتويات ما يطلبونه من طعام فيما اذا كان يحتوى على الخنزير او مشتقاته ولا حرج في ذلك فقد حرمه الله علينا وكرهته انفسنا واشمازت حتى من رؤيته .

٣ - التموين في بريطانيا خلال الحرب العالمية الثانية وبعدها

اثناء اندلاع الحرب العالمية الثانية كان لا بد للحكومة البريطانية من ان تفرض نظاما للتموين يحدد كمية واسعار الحاجيات الضرورية وعندما وضعت الحرب اوزارها عام ١٩٤٥م لم يرفع هذا النظام بل ظل ساريا ومتبعا لعدة سنوات بعد انتهائها وقد التزم الشعب البريطاني بتطبيقه التزاما دقيقا . ويجدر بي هنا ان اروي ما شاهدته ولبسته اثناء زيارتي لانجلترا في تلك السنين العجاف بالنسبة لبريطانيا .

لقد خصص لكل شخص دفتر تموين يحدد فيه الكمية المسموح له الحصول عليها من غذاء وكساء وعلى سبيل المثال اذكر هنا الكمية المحددة للشخص الواحد حسب دفتر التموين المعطى له :

- ١ - بيضة واحدة فقط في الاسبوع .
 - ٢ - قطعة لحم لا يزيد حجمها عن راحة اليد في الاسبوع .
 - ٣ - قطعة شكولاته او بسكويت لا يزيد وزنها عن نصف رطل في الشهر .
- ولم يشمل التموين الخبز والسّمك والخضراوات .
- اما الكساء : فبدلة واحدة مكونة من جاكيت وبنطلون فقط للرجل وفستان واحد فقط للمرأة في السنة او بدل ذلك بقية الملابس الداخلية والحذاء وما شاكلة .

وقد لا يصدق القارىء اذا رويت له ما يلي :

في احد الايام من تلك السنين عندما كنت في زيارة لبريطانيا اذاع الراديو البريطاني بأن مجلس التموين قد خول ملكة بريطانيا الحالية بمناسبة زواجها من الامير فيليب خولها شراء بدلة عرس كاملة فقط وخول زوجها باقتناء بدلة سهرة كاملة ايضا اما الوصيفات فلكل واحدة منهن فستان واحد فقط . ويوضح هذا كيف ان التموين كان دقيقا ومطبقا حتى على الملكة والعائلة المالكة .

ينظر الانجليز الى الاجنبى في تلك السنين نظرة تقدير واحترام بخلاف ما هو عليه اليوم. وقد ذكرت في مواضع اخرى من هذه الذكريات مخالفات بسيطة حدثت لي خلال تلك السنين، كايقاف سيارتى في محل ممنوع، او تركها في محطة القطار لمدة تزيد عن المدة المقررة وما الى ذلك، فقد كانت الشرطة تتغاضى عن هذه المخالفات بمجرد ان تعرف ان صاحب المخالفة اجنبى. ولعل اطرف ما لمستته وشاهدته في ذلك الزمان ان بعض اصحاب الاعمال كانوا يلتمسون منى اذا كنا في مقهى او مطعم ان اطلب من صاحب المحل شراء علبة سجائر وهم يعرفون اني لا ادخن ويتردد صاحب المحل ويتمهل قبل ان يعطينى علبة ذات عشر سجائر فقط، امرها خفية الى صاحبي الانجليزى الذى يعلم مقدما ان طلبه غالبا سيرفض.

ومثل آخر:

كنت وزوجتى في زيارة لبريطانيا في اوائل الخمسينات وكنا ننزل مع عائلة انجليزية طلبت منا ربة البيت الذهاب الى مكتب التموين للحصول على دفتر تموين يخصص فيه لكل فرد ما يستطيع شراؤه، ذهبنا واستلمنا دفترين وكان كما ذكرت آنفا حصة كل فرد بيضة في الاسبوع. . . الخ. مررنا بـدكان يبيع المواد الغذائية ووجدنا انه كانت لديه كميات وافرة من البيض، عرضنا عليه ان يبادلنا بما في الدفاتر من مواد غذائية اخرى لا نريدها مقابل زيادة عدد البيض فأبى واستكبر.

كان افضل واجمل هدية نرسلها لرؤساء الشركات التى نتعامل معها وكبار موظفيها بالبريد من البحرين آنذاك، رطل شاي او سكر او بعض البسكويت وبعض الشوكولاته المستوردة من بريطانيا او ما شاكل ذلك. وكنت اصطحب معي في سفرتي الى بريطانيا كمية من السكر والشاي والبسكويت والشوكولاته، كما كنت احمل في جيبى علبة صغيرة تحتوي على قطع من السكر لان الشاي والقهوة تقدم في المطاعم بدون سكر، حتى ان البريطانيين قد اعتادوا شربها سادة واستمر اغلبهم عليها الى اليوم.

لم يشمل التموين السمك ولذلك كان اعتماد المطاعم في اغلب الاحيان على تقديم وجبات مكونة من السمك وغالبا ما يكون طبخه مغليا بالماء فقط توفيراً للشحوم والدهون ويصطف الأكلون امام المطاعم للغداء في طابور طويل ابتداءً من الساعة الثانية عشرة واذا صادف ان جاء دورك في الساعة الثانية فاعتبر انك ظلمت بدون غداء ، فالمطاعم تشطب وتغلق ابوابها الساعة الثانية واحيانا تدخل المطعم في الوقت المناسب فتجد ان غالبية الطعام المستحب لك قد نفذ فتخرج بخفي حنين . وأذكر انه في يوم من الأيام اثناء تلك السنين العجاف دخلت صحبة بعض الاصدقاء العرب مطعماً تركياً يقع في قلب لندن لتناول طعام العشاء وبعد أن عرض علينا النادل قائمة الطعام لاحظت انه من بين موادها «لحم مشوي بالاسياخ» مما يعرف ويشتهر بأطرافنا باسم «شيش كباب»، ولم يفت الاخوة ملاحظة ذلك فسررنا من وجود لحم في هذا المطعم لندرته وتم اختيارنا لهذه الأكلة اللذيذة، في هذه الاثناء خطر لي خاطر غريب وهو كيف أن هذا المطعم أمكنه الحصول على لحم بهذه الكمية! استدعيت النادل وسألته «أي نوع من اللحم ستعمل منه (الشيش كباب)» اجاب بالانجليزية «هورس ميت» لم يتبادر لذهني انه يقصد لحم حصان فأعدت السؤال عليه فكان جوابه نفس الجواب الاول ولما وجد اني لم افهم جوابه مد سبابة إحدى يديه واعلى عليها سبابة ووسطى يده الاخرى علامة على ركوب الحصان ليفهمني انه لحم حصان . عندها أسقط في يدنا وانقلب سرورنا الى كدر حتى اننا كرهنا الأكل في ذلك المطعم وخرجنا منه ونحن جياع نجر أذيال الفشل .

مثل آخر:

أردت شراء فانيلا شتوية لأنقي بها بردا مفاجئاً، فذهبت الى مكتب التموين وبعد تقديم طلبي المكتوب على استمارة خاصة، وجه الى الموظف المختص سؤالاً عجيباً «الى متى ستبقى في بريطانيا؟» قلت «حوالي شهرين» فاذا هو يأذن لي بشراء فانلة واحدة فقط!

٤ - سيارات الأجرة (التكسي) في بريطانيا

تعتبر خدمات التكسي في بريطانيا وفي لندن بالذات من احسن الخدمات التي شاهدتها في العالم.

فسيارة التكسي المستعملة في لندن لها مواصفات ممتازة لا يجارها احد في جميع انحاء الدنيا فالسيارة نفسها مصممة تصميميا خاصا يتيح للسائق والراكب كامل الانفصال عن بعضهما الا اذا ارادا غير ذلك فهي مكونة من قمارتين - قفازة في الخلف للركاب ذات مقاعد متقابلة بينها فراغ واسع مريح وقفازة اصغر في الامام للسائق والامتعة، ويفصل بين القمارتين قاطع زجاجي يمكن فتحه او غلقه عند اللزوم، اما أبواب السيارة فهي واسعة يسهل الصعود والنزول منها، كما ان قفلها مرتبط بحركة السيارة فاذا تحركت السيارة، أقفلت الابواب نفسها اتوماتيكيا بحيث لا يمكن فتحها الا إذا توقفت، وهذا التحسين ادخل عليها حديثا لحماية لعابث بالابواب اثناء سيرها كالاطفال وغيرهم من العابثين، اما مقاعدها فمكسوة بالجلد الطبيعي او ما يعادله توخيا للنظافة، وللراكب كامل الحرية لاستعمال التدفئة داخل قفازته دون الحاجة لمناشدة السائق ليفتح او يغلق له ذلك. فضلا عن هذا فقد زودت بعض السيارات بتلفون تخاطب به جميع انحاء العالم من قفازتك دون الحاجة الى مناشدة السائق ليفتح لك الخط، كما ادخل عليها حزام الامان الذي اصبح استعماله ملزما في جميع سيارات الاجرة. وادخل عليها ايضا نظام دفع الاجرة بالبطاقة (الكارت) بدل النقد، فضلا عن حصول الراكب على ورقة رصيد بمبلغ الاجرة الذي دفعه، اما السيارة نفسها فهي قوية في تصميمها وبالذات في كوابحها، وبامكانها الاستدارة في دائرة ضيقة جدا لا يكاد يصدقها العقل.

ويمر سائق التاكسي بامتحانات شديدة حازمة لا تشمل حسن سياقته فقط بل ومعلوماته الواسعة عن المحلات والمتاجر والطرق والشوارع وعن اقرب الطرق او المسافة للوصول الى المكان المقصود، وفي كل قفازة من قفازات السيارة تجد لوحة تحتوي على ارقام بسيطة غير ارقام تسجيل السيارة المعتادة، وذلك لكي يتمكن الراكب، اذا لزم الامر، الاستدلال بها على السيارة

وسائقها إذا أراد ان يشتكى سائق التاكسي او اذا صادف ان نسي احد امتعته فيها .

كما انه بالامكان استعمال التاكسي لشراء دواء لك من الصيدلية او مواد غذائية من السوق او استلام بدلة او فستان من احد المخازن لم يجهز تحضيره الا ذلك اليوم، بداعي انك لا تريد مغادرة فندقك او منزلك وكل ما عليك هو ان تستدعي التاكسي حسب نمرة معينة في دفتر التلفون فاذا حضر تكلفه بما تريد فيذهب ويأتى لك بحاجتك في اسرع وقت ممكن ولا يكلفك ذلك الا اجرة ذهابه وايابه حسبها يسجله عداد السيارة، الا اذا اردت ان تكرمه ببشيش بسيط فهذا لطف منك، كما ان اغلب هذه السيارات الآن تمنع استعمال التدخين فيها، ولم اشاهد في كل اسفاري تكسي يماثل تكسي لندن . انه يعتبر مثالا ممتازا يهوى الراحة والسلامة والاطمئنان فضلا عن الخصوصية بالنسبة للراكب المسافر مع اهله او اصدقائه او مع اصحاب اعمال اراد ان يفتح معهم حديثا تجاريا او يكمل حديثا سبق ان بدأ بحثه من قبل، ولمقارنة تكسي لندن اليوم بتكسي ما بعد الحرب العالمية الثانية مباشرة اذكر هذه الملاحظات :

اولا : لقد صممت سيارة التاكسي في زمان ما بعد الحرب العالمية الثانية تصميميا خاصا لهذا الغرض بالذات ولكن سيارة تكسي اليوم ادخلت عليها تحسينات من حيث الشكل والقوة وما الى ذلك وبما انني قارنت بين سيارة التاكسي بالحاضر والماضي فانه يجدر بي ان اقرن في نفس الوقت بين اخلاق سائقيها ومعاملتهم للزبائن ماضيا وحاضرا : لقد تغيرت اخلاق غالبيتهم تغيرا كبيرا واختلفت معاملتهم للزبائن، فالسائق في الماضي كان يحترم الراكب ويبادر لمساعدته خاصة اذا كان الراكب طفلا او شيخا كبيرا او سيدة، ولا يطلب الا دفع اجرة المعلمة على العداد، انه كان مستقيما يسلك اقصر الطرق لا يصلح زبونه فلا يراوغ ويسلك بالسيارة مسالك طويلة بعيدة عن الجهة المقصودة محاولا استغلال الراكب، اما اليوم فاخلاق غالبيتهم تغيرت واصبح الجشع والطمع ديدنهم خاصة اذا كان الراكب غريبا او امرأة أو شيخا كبيرا فهم لا يشورعون عن استغلالهم او مغالطتهم بالاجرة او مطالبتهم ببشيش

فاحش، ناهيك عن المراوغة وسلوك طرق وشوارع مختلفة مخالفين بذلك ما ينص عليه القانون بأن يسلكوا اقصر الطرق. وإذا ما احتج الراكب قابله السائق بمنتهى الوقاحة والخشونة ولا يرتدع عن سلوكه هذا الا اذا التزم الراكب بالقانون وتمسك بحقه فيه، واخشى ما يخشاه سائق التكسي في بريطانيا شكايته للشرطة.

اذكر هنا مثلاً حادثة جرت لي مع سائق تكسي نزر - اوقفت مرة (تكسي) وطلبت منه ان يأخذني الى مكان معين سار قليلاً في طريقه الصحيح ثم حاد عنه لغرض المراوغة باعتبار اني اجنبي لا اهتدي واعرف الطريق القصير المؤدي الى المحل المقصود ولما نبهته الى ذلك صرخ بي وقال «انا لا احب ان اتلقى تعليقات من احد». تركته يسير لمدة قصيرة ثم طلبت منه ان يتوقف ولما نزلت قال «الاجرة كذا» قلت «كلا لن ادفع اجرتك، انا اوقفتك لأطلب البوليس واحكم اليه بيني وبينك شارحاً له مخالفتك ووقاحتك». سكت برهة وهو ينظر الي وانا اتلفت يمنة ويسرة أفتش عن شرطي او سيارة شرطة ولما رأى تصميمي على ذلك قال بكل ادب «يا سيدي اذا تسمح انا لا اريد الاجرة هل تسمح لي بالسير» قلت «كلا، الا اذا اعتذرت واستسمحت»، فلما اعتذر قلت إذا الآن تأخذني الى المكان المقصود وابدأ من جديد. ركبت السيارة ودفعت اجرته دون اعطائه أي بقشيش.

مرة اخرى حدث ان ركبت (تكسي) وطلبت من السائق اخذي الى مكان قريب في قلب لندن. لاحظت انه كلما توقف عند اشارة مرور حمراء، يفتح خارطة لندن ويتطلع فيها، سألته لماذا تتطلع في هذه الخارطة ألا تعرف الطريق؟. كيف تكون سائق تكسي ولا تعرف الطريق القريب البسيط.

اسقط في يده وقال يا سيدي أرجوك ان لا تفضحني فانا ايرلندي جئت حديثاً لأعيش في لندن، وهذه السيارة سيارة اخي وهو صاحبها وسائقها، انه يعيش في لندن منذ سنوات واليوم اخذ اجازة وطلب مني استعمالها والاستفادة بدخلها لي ولعائلتي، اشفقت عليه وصرت دليلاً له حتى اوصلني الى مقصدي ولما دفعت له الاجرة قلت له انك تجازف بنفسك وبرخصة اخيك فاحذر.

٥ - البحر وصيد السمك في إنجلترا

هوايتى بالبحر وصيد السمك شىء لا يكاد يوصف، فقد عشقت هذه الهواية وممارستها منذ صغرى وحتى الآن ولم تقتصر ممارستها لها في البحرين، مسقط رأسى، بل وفي مناطق مختلفة من العالم اذكر منها بلدان الخليج العربي وأمريكا وبريطانيا وإيرلندا وسواحل البحرين الابيض والاحمر. انى احب البحر واشعر بالسرور والبهجة عند ركوبه ومشاهدة مناظره الخلابة. مع مرور السنين والايام واثناء تجوالى في البحار المختلفة صادفني حوادث ومفاجآت بعضها مسلية والبعض الآخر لا يخلو من المغامرة والخطورة أتطرق الى بعض منها أدناه لمجرد الاطلاع والمعرفة.

في بريطانيا:

عنّ لي وانا في هذه الجزر الجميلة ان اجرب ممارسة هوايتى. كان ذلك في صيف السبعينات (١٩٧٠م). توجهت الى ميناء يقع في الشرق من الجزر البريطانية يدعى مارجيت (Margate). استأجرت قارباً صغيراً بحجم الطرادات الصغيرة الموجودة عندنا بالخليج. كان صاحبه وقبطانه في نفس الوقت في العقد الرابع من عمره، قد ارتدى لباساً رسمياً اشبه بلباس البحرية البريطانية. لقد ظننته من اول وهلة، انه أحد قباطنة البحرية المتقاعدين او المتخيلين عن الخدمة البحرية عندما التقيت به.

ركبنا القارب وتوجهنا الى محل لا يبعد كثيراً عن الميناء ولما توقفنا وألقيت المرساة شرعت في اعداد السنارة لإلقائها في البحر. كان في الموقع حولنا قوارب صغيرة بحجم قاربنا عددها لا يتجاوز الثانية.

من المعلوم ان طريقة الصيد المتعارف عليها في بريطانيا وفي اغلب بلاد العالم هى استعمال «الرود (ROD)»، أي عصا بطول مترين او ثلاثة تعلق بأسفلها بكرة يلتف حولها الخيط، ومع انى استعمل احياناً «الرود» المشار اليه الا انى لا ارتاح لها، وافضل طريقتنا التى اعتدنا عليها، وهى الخيط في اليد مباشرة، سحبت الخيط من البكرة وربطت في طرفه سنارتين متباعدين بدل سنارة واحدة وبعد ان اعددت السنارتين بالطعم اللازم وقفت منتصباً على

حافة القارب من الخلف محاولا رمي الخيط بعيدا، كان تيار الماء قويا اما
الريح فمعتدلة. وفيما انا واقف احاول قذف السنارتين اذا بصاحبي القبطان
يصرخ صرخة مدوية أتبعها بقوله «سيدي احترس ان لا تقع في البحر» اجبته
مداعبا بقولي لا يهمني ذلك فاني اذا وقعت اعتمد عليك لتتقذني من الغرق،
اجاب «أسف يا سيدي لا استطيع ذلك لاني لا اعرف السباحة» ضحكت من
كل قلبي لجوابه، وقلت في نفسي كل هذا اللباس، لباس البحرية البريطانية
والقبعة البحرية المزرية، ولا يعرف السباحة!



المؤلف راشد الزياني اثناء رحلة صيد
في منطقة لاندز إند في إنجلترا

وحادثة اخرى:

اتفقت مع صديق لي للذهاب معه في رحلة بحرية لصيد السمك في بريطانيا ايضا، ووقع اختيارنا على ميناء يبعد حوالي ٢٥٠ ميلا عن لندن. اتفقنا على الذهاب بسيارتي على ان التحمل انا عبء السياقة في الرواح ويتحمل صديقي عبأها في العودة.

بارحنا لندن في الصباح، ووصلنا الميناء المقصود قبل المساء، وبتنا في احد الفنادق بعد ان رتبنا امر رحلة الصيد ابتداءً من صباح الغد. في صباح ذلك اليوم توجهنا الى مكان الصيد في قارب ميكانيكي متوسط الحجم طوله حوالي ٣٥ قدما. كان البحر هائجا نوعاً ما والرياح اقرب الى الشدة منها الى الهدوء، ولكن الشوق للصيد لم يثننا عن المجازفة وما كدنا نصل الى مكان الصيد حتى زادت الرياح شدة وانهمر معها مطر غزير، مع هذا بدأنا محاولة الصيد رغم الظروف غير الملائمة.

لم يكن صديقي قد تعود الصيد في الظروف السهلة العادية فكيف به في ظروف صعبة كهذه. ففي اثناء حذفه السنارة بعيدا اعادتها قوة الرياح فاصابت جفن عينه اليمنى وتمكنت من الجفن بحيث لا يمكن اخراجها بسهولة. اضطرنا على اثرها للعودة سريعا الى البر حيث حملنا صاحبنا الى المستشفى لاجراج السنارة من جفنه بعد اعطائه تحذيرا موضعيا ثم تغطية عينه بالقطن والشاش بعد وضع الدواء اللازم عليها، وحمدنا الله ان السنارة لم تصب بؤرة العين وانها اصابته الجفن فقط.

لم نعد الى البحر بعد ذلك أولاً لاصابة الصديق وثانيا لاستنفاد الوقت واضطراب الجو واضطرنا للعودة الى لندن، ولما كان الاتفاق ان يكون نصيب صاحبي قيادة السيارة في العودة كما اتفقنا، اصبح ذلك متعذرا لاصابته فاضطرت لقيادتها رجوعا بعد ان قدتها ذهابا وامري لله.



عدو الانسان في البحر - سمك القرش - ويسمى في الخليج العربي (جرجور)

مغامرة أخرى:

روى لي احد المعارف في انجلترا قصة عن صيد سمك القرش (الجرجور) وكانت القصة ممتعة دفعتني لأستفهم منه عن المزيد عنها وعن المكان الذي يتواجد فيه هذا النوع من الصيد فدلني عليه فاذا هو تجاه قرية صغيرة على الساحل الجنوبي الغربي من مقاطعة كورنوال (Cornwall) البريطانية. حزمت امتعتي وتوكلت على الله متوجها بسيارتي الى تلك القرية وهي تبعد حوالي ٣٠٠ ميل عن لندن، القرية صغيرة جدا ولا يوجد فيها فنادق فاضطرت لأن أبات تلك الليلة في فندق صغير يقع في قرية اخرى صغيرة تبعد حوالي ٣ او ٤ اميال عن قرية الصيد المقصودة وفي غرفة متواضعة لا تزيد مساحتها عن ٩ اقدام مربعة، في الصباح اخبرني صاحب الفندق ان غرفتي البشعة مؤجرة مقدما لزوار آخرين وان علي ان افرغها، حاولت عبثا اقناعه بالبقاء فيها لمدة ليلتين على الاقل او ان يجد لي سكنا آخر فلم افلح، حزمت امتعتي وتوجهت لقرية الصيد، وصلتها وقت الغداء، سألت عن مطعم او مقهى او فندق فقيل لي لا يوجد شيء من ذلك، صرت في حيرة من امري لا سكن ولا طعام ما العمل! وفي اثناء سيري الخفيف اتفحص البيوت والمحلات على جانبي الطريق لمحت بيتا صغيرا كتب على بابه «استعلامات» قلت لعلي اجد ما يساعدني في حل ازمتي هذه عند الاستعلامات، اردت ايقاف السيارة بجانب الطريق لكن الطريق كان ضيقا لا يسع لمرور سيارتين في آن واحد، تابعت السير لعلي اجد موقفا او متسعا بالشارع بحيث يسمح لي بالوقوف دون عرقلة السير غير اني لم اوفق. وظل عرض الطريق كما هو. اصبح الوقت عصرا وانا بدون طعام او مأوى وكنت قد حجزت سفينة الصيد لاستعمالها في اليوم التالي من وصولي. عدت بالسيارة على نفس الطريق ولما حاذيت مركز الاستعلامات اوقفت السيارة بعد ان اعليت الجانب الايسر منها على الرصيف (١) نزلت مسرعا الى محل الاستعلامات حيث وجدته مكونا من غرفة صغيرة جلست بها امرأة متقدمة في السن خلف مكتب بسيط، بعد التحية عرضت

(١) السياقة في بريطانيا على اليسار

عليها مشكلتي، خاصة النوم، تصفحت دفترها عفا عليه الزمن ثم قالت «لا يوجد في هذه القرية فندق واقرب فندق تجده في القرية الفلانية» قلت «كنت هناك ولا توجد به غرف شاغرة» قالت «هل تسكن مع عائلة» قلت «مرحبا أي مكان المهم المأوى» تصفحت دفترها مرة اخرى وقالت «توجد غرفة شاغرة في احد البيوت» قلت «شكرا اسعفيني بها قالت «ليس لدى هذه العائلة تلفون حتى اتصل بهم وعليك ان تذهب اليها بنفسك» قلت متلهفا «ناوليني العنوان» وخرجت مسرورا بما ادركت. وما كدت اصل الى السيارة حتى فاجأني شرطي لازم الوقوف بجانب سيارتي ينتظر قدوم صاحبها المخالف لانظمة المرور، سألني بكل عجرفة وتقطيب جبين «اما تعرف انك بوقفتك هذه عرقلت المرور؟» قابلت عجرفته ببرود انجليزي، تعلمته منهم، وأجبت «آسف انا رجل غريب زائر لهذا البلد الجميل حاولت ان اجد فندقا او أي مأوى لأوي اليه هذا المساء فلم اجد واضطرت لاتخاذ هذه المخالفة لاستنجد بالاستعلامات، اني آسف واعترف بخطئي». انفرجت اسارير وجهه وقال «وهل دلتك السيدة العجوز (Old Lady) على مكان؟» قلت «نعم» وأريته العنوان، قال «انك لن تستطيع الوصول الى هذا البيت بالسيارة لان القرية مكونة من اربعة ضيقة وسأرشدك الى ما تفعل». شكرته بعد ان دلني على مكان اوقف فيه سيارتي ومنه اتوجه ماشيا مخترقا الازقة الضيقة التي لا يزيد عرض غالبيتها عن متر او متر ونصف، ركنت السيارة في الموقف الذي ارشدني اليه الشرطي وتوجهت الى البيت المقصود - طرقت الباب واعطيت الورقة الى صاحبة البيت وكانت امرأة عجوزا في العقد السابع من عمرها، دلنتني على غرفة صغيرة لا يزيد حجمها على ١٠ اقدام مربعة بها ثلاثة اسرة فرشها بسيطة انما اشهد بالله انها في منتهى النظافة سألتها هل يسكن احد في هذه الغرفة معي، اني مستعد لادفع اجور الأسرة الثلاثة واستأجر الغرفة بكاملها، نظرت الي نظرة فاحصة ثم قالت «اظنك غريباً وزائراً لهذه البلاد» قلت وهو كذلك. سكنت لحظة وهي تفحصني وانا على احمر من الجمر ثم قالت «لا بأس سأحسب عليك اجرة سرير ونصف فقط» شكرتها ثم خلعت

ملايسي وتوجهت الى الحمام وعند غلطي لبابه وجدت لوحة معلقة على الباب من الخلف تقول «لا يسمح بأخذ حمام الا بعد اخذ رخصة من صاحبة البيت» خرجت من الحمام متوجها للسيدة اسألها الرخصة قالت «انت معفى من هذا، هذا نضعه فقط للانجليز» في واقع الامر بعد سنوات الحرب كان الانجليز يحترمون الغريب ويتغاضون عن مخالفته البسيطة وقد شعرت بهذا في كثير من المواقف. والظاهر ان بعض الاجانب استغلوا هذا التسامح والتغاضى فزادوا من المخالفات مما جعلهم يخسرون هذه الميزة الطيبة. كان موعدي للذهاب الى الصيد في صباح اليوم التالى فاستيقظت مبكرا واثناء تناولي الفطور الممتاز الذى اعدته صاحبة البيت وزوجها اخبرتها اني ذاهب لرحلة صيد سمك القرش (الجرجور) واحتاج الى بعض الطعام والذى افهم انه لا توجد مطاعم او محلات للحصول على ذلك فهل من الممكن ان تساعدني وتدليني على محل اشترى منه ولو بعض السندويشات، اجابت بكل لطف وادب لا تهتم بذلك سأرتب لك بعض الطعام وفعلا احضرت سلة خيزران انيقة من النوع الذى يستعمل في الرحلات وكان بداخلها بعض السندويشات وقهوة وشاي مع ما يتبع ذلك من اطباق وملاعق وكمية من الفاكهة وفوطة وصابونة. توجهت الى الميناء حاملا السلة وبعض حاجيات الصيد حيث وجدت القارب المحجوز بانتظاري. كان القارب ميكانيكيا يبلغ طوله حوالي ٣٠ قدما وليس به من البحارة الا فتى في العشرين من عمره، وقد لاحظت انه قد شاركني في القارب ٣ اشخاص انجليز، تركنا الميناء متوجهين الى اعالي البحار بقيادة الفتى وعند ابتعادنا بحوالي ٥٠ ميلا عن الساحل توقف القارب فلاحظت وجود قوارب اخرى غيرنا بالمنطقة.

لا تلقي القوارب مرساتها هنا بل تبقى منسابة على سطح الماء بدافع تيار الهواء وقد صادف ان كان ذلك اليوم من الايام المشمسة الجميلة وعند ملاحظتي لعمق البحر من الساعة المعدة لذلك وجدت انه يبلغ حوالى ٤٠ باعا أي ٢٤٠ قدما. بدأ القائد الفتى يلقي ببعض الاسماك الصغيرة هنا وهناك بقصد استدعاء «القرش» واغرائه بالحضور الى ساحتنا وكان يضع هذه

الاسماك الصغيرة في اكياس مدلاة على جانبي القارب بحيث تلامس سطح الماء بعد لحظات خرج علينا «قرش» يبلغ طوله حوالي ٦ اقدام اتى مسرعا نحو القارب وقضم بسرعة فائقة نصف احد الاكياس بما فيه من سمك ثم غاص في الاعماق انه لم يكن بيننا وبينه الا قدم او نحوه ولو صادف ان كان احدنا يلمس ذلك الكيس في ذلك الوقت لفقد يده، هنا استعد الفتى واحضر سنارة كبيرة مربوطة بسلك معدني تتدلى من قصبة (ROD) ضخمة الحجم شد في آخرها بكرة كبيرة.

طلب مني الفتى ان اجلس على كرسي قوي ثبت بالصوامل في قاع القارب تثبيتا قويا وان احتضن القصبة واضعا اسفلها في انبوب مثبت تحت الكرسي ثم جاء بثلاث سمكات من نوع السردين حجم كل منها حوالي ٦ بوصات ثبتها في السنارة الكبيرة. بعد ان هيا ذلك ربط وسط جسمي بالكرسي بحزام جلدي كبير، وقال تها ساقذف السنارة بعيدا فاستعد لتمسك بها مثبتة في جحر الانبوبة بيدك اليسرى على ان تكون يدك اليمنى ماسكة بمقود السلك الملفوف على البكرة فاذا ما داهم القرش السنارة استعد لطوي السلك على البكرة مصارعا الصيد الذي ستجد منه مقاومة شديدة قد يهزك ويهز الكرسي الجالس عليه وقد يكون اقوى من سحبك له فيسحب من البكرة ما يستطيع سحبه منها، اخبرته اني لا ادعي اني صياد ماهر ولكن لدي خبرة كافية، ثم اخذ يلقي بعض الطعم في البحر مستدرجا الصيد المطلوب، لحظات واذا بصوت البكرة يجلجل من سرعة جر السلك منها واذا بالكرسي الذي تحتي يهتز او يكاد ينقشع من مكانه ليجرني معه الى البحر وحتى القارب بدأ يهتز ويميل الى جهة جر القرش للقصبة، سمحت للقرش ان يأخذ من البكرة ما يمكنني ان اسمح له بأن يأخذ منها، بعدها بدأت في جره وذلك بطي البكرة وكان الامر صعبا حتى اصبح السحب والجر بيني وبينه سجالا اجره مترين فيعود ويسترجعها كل هذا واهتزاز الكرسي متواصل والعرق يتصبب مني ولكنني مصمم على جلبه وقد بقيت على هذا الحال نحو نصف ساعة الى ان

أُتعبته وأُتعبني لكنه كان أكثر تعباً مني فاستسلم ولما قارب جسمه للقارب ضربه الفتى القائد بفأس على رأسه ضربة قوية طفى على أثرها على وجه الماء خادراً فتعاونوا على حمله داخل القارب ورفعنا علماً اصفر على صارية القارب علامة للصيادين الآخرين الذي يصطادون حولنا ثم بدأنا نتابع الاعلام وهي تعلق على الصواري عن كل قرش يصطاد لمجرد الاعلام وحبا في التفاخر والتباهي ، لقد وفقني الله لصيد اكبر قرش في قاربنا كان وزنه ٥٧ كيلوغراماً اما الرفقاء فلما جاء دورهم اصطاد كل منهم قرشاً انما اصغر حجماً . بعد ذلك بدأنا محاولة اصطياد اسماك صغيرة عادية مستعملين الخيوط المعتادة وبما ان البحر عميق كما ذكرت آنفاً كان لا بد من استعمال خيوط طويلة ذات ثقل كبير مما يجعل الصيد لا يشعر بصيد السنارة للسמكة فكان لا بد من التخصّص فيما اذا السنارة اصطادت ام لا . بعد ان اصطدنا كمية من السمك لا بأس بها قفلنا راجعين الى الميناء حيث كان حشد كبير من المشاهدين اصطفوا وتراصوا منتظرين رجوع الصيادين . كان على رأسهم ممثل نادي الصيد الذي اعد ميزاناً كبيراً ليزن اسماك القرش ويسجل وزنها في دفتر امامه وقد قال لي اثناء وزن صيدي انه لو امكنتني «اصطياد قرش يزن ٧٥ كيلو لمنحت عضوية النادي مجاناً مدى الحياة» اجبته ان شاء الله في المرة القادمة . اخذت معي كمية من الصيد وقدمتها للعجوز صاحبة البيت فسّرت من ذلك .

فاتني ان اذكر هنا عند وصولنا الى مكان الصيد واثناء انسياب قاربنا مع الريح ونحن في انتظار خروج سمك القرش تلفت حولي فاذا بي ألاحظ من مسافة قصيرة عموداً حديدياً يبرز من سطح البحر بمقدار ٦ اقدام او نحوها اخبرت انها غواصة بريطانية وقد برز غيرها فيما بعد ولما سألت قيل لي ان هذا المكان هو احد المحلات المخصصة لتدريب الغواصات البريطانية .

(الفصل الثالث)

رحلات الاصطياف والسياحة

رحلات الاصطياف والسياحة

قبل الحرب العالمية الثانية وحتى نهايتها في سنة ١٩٤٥م لم يتعود الغالبية العظمى من أبناء الخليج مغادرة أوطانهم خلال فترة الصيف والتوجه الى بلاد أخف حرارة وأطرى هواء من مناطقهم الشديدة الحرارة، وذلك لعاملين رئيسيين أولهما عدم توفر المادة المالية وثانيهما لما توفرت المادة المالية عند بعضهم منعهم نشوب الحرب الممتدة من سنة ١٩٣٩م الى ١٩٤٥م من مزاولة ذلك. غير انه ما كادت تضع الحرب أوزارها وتتوفر السيولة المالية بسبب تدفق النفط حتى تشوقت أنفس العديد منهم الى التوجه الى جهات مختلفة هربا من شدة حر الصيف وحبا في الفسحة والاطلاع والتمتع بالخيرات المعيشية الكثيرة غير المتوفرة لديهم آنذاك في مناطقهم. فتوجهوا الى العراق وايران ومصر وسوريا وبالأخص الى لبنان فاكثرت بهم الفنادق والمحلات السكنية الأخرى. ومع مضي الأيام والسنين ازداد تدفقهم على تلك المناطق واقتنى بعضهم مساكن لهم في بعض هذه البلدان خاصة لبنان. غير ان القلة القليلة منهم في ذلك الوقت سعى للتوجه الى أوروبا وأمريكا وظل عدد المتوجهين الى أوروبا محدودا، ويزداد بصورة تدريجية الى ان نشب الاقتتال في لبنان في عام ١٩٧٥م فاضطروا الى تغيير وجهتهم. وكان التوجه الى أوروبا أكثر ميلا، وكنت وعائلتي من جملة من سار على هذا المنوال بالاضافة الى اتباع وسائل أخرى اضافية لزيادة الاستمتاع بعطلة الصيف. اتبعت بصحبة عائلتي وسيلة السفر بالبحر هذه ابتداءً من الستينات حيث كنا نخطط لكل صيف رحلة بحرية في منطقة مختلفة عن غيرها. فكنا بعد الإقامة البسيطة في لبنان ومصر نستقل باخرة سياحية تتوقف في عدد من موانئ البلدان المختلفة، وكانت ميزة هذه الرحلات البحرية المتعة والاطلاع علاوة على التسهيلات في دخول البلدان المختلفة. فلا حاجة الى فيزة أو معاملة جمركية أو اختيار فندق للسكن أو التنقل من فندق لآخر مما يحتاج الى اجراءات بعضها مملة متعبة. فوجدنا على ظهر الباخرة يغطي كل هذه الأمور ناهيك عن الحاجة لحزم الأمتعة أو نقلها.



المؤلف راشد الزباني وقريته في باخرة كوين إليزابيث الأولى — QE 1

وكانت رحلات هذه البواخر السياحية مرتبة ومصممة بحيث تمنح ركابها جميع أسباب الراحة والمتعة فهي مزودة بكل ما يحتاجه المسافر من وسائل تسلية واستمتاع كما انها تضع منهاج سيرها بين الموانئ غالبا أثناء الليل عندما يكون الركاب قد خلدوا للراحة والنوم .

وما يكاد يشرق نور الصباح حتى تكون الباخرة قد دخلت ميناء جديدا وألقت مرساها فيه . بعد الإفطار يستعد الركاب للنزول الى البر ليقضوا نهارهم في زيارة معالم تلك المدينة وما حولها من متاحف وقلاع ومحلات أثرية فضلا عن التسوق في أسواقها واقتناء ما يريدون اقتناؤه ويعود بعضهم لتناول الغداء بالباخرة أو يكتفون بأكلة بسيطة اعتمادا على ما سيقدم لهم على ظهر الباخرة فيما بعد من أكالات لذيدة متعددة ومتنوعة .

كانت رحلة الاصطياف البحرية الاولى في صيف سنة ١٩٦٤م حيث استقلت بصحبة زوجتي الباخرة «كوين اليزابث» الاولى من ميناء سوث هامبتون البريطاني الى نيويورك مارين بميناء «شيربورج» الفرنسي ومتوقفين به لبعض الوقت لآخذ ركاب آخرين .

استغرقت الرحلة الى ميناء نيويورك خمسة أيام كانت من اجمل السفرات نظرا لفخامة الباخرة وسعة غرفها وقاعاتها ووسائل الترفيه الممتعة والمرحة المتوفرة فيها فمساحة قاعة الطعام المخصصة لركاب الدرجة الأولى في الباخرة لا تقل عن مساحة اكبر قاعة فندق من الفنادق الكبرى وينطبق ذلك على الغرف والقاعات الاخرى وكنا لا نشعر اننا في سفينة تسير في عرض البحر بل في فندق فخم يحتوى على ما لذ وطاب وما تشتهي الانفس .

واذكر اني في احد الأيام وأثناء تناول الغداء في المطعم اردت ان امتحن رئيس المطعم عندما قدم لي لائحة الطعام وهو يقول «تفضل يا سيدي اطلب من هذه القائمة ما شئت (وكانت اللائحة مكونة من ثلاث او اربع صفحات) او اذا لم يعجبك ما جاء فيها، اطلب أي أكلة تختارها حسب ذوقك وشهيتك فبإمكاننا تحضيرها لك» ، سيما وانه كان يكرر هذا القول في كل وجبة نحضر فيها للمطعم ، اردت هذه المرة ان اتحداه واختبر صدق قوله -

قلت «أقبل بعرضك واختار لغدائي هذا اليوم رز بسمتي ومركة ربيان (١) يطبخ حسبما اعتدنا عليه في بلادنا البحرين» اجاب «سمعاً وطاعة» وقال «تشتط رز بسمتي (٢)، انا متأكد انه موجود في مخزن الباخرة». توجه بعدها الى المطبخ وبعد بضع دقائق عاد ليقول لي «حسننا امهلنا ١٥ دقيقة وستجد ما طلبت حاضرا بين يديك». فعلاً احضر الأكل حسبما طلبت وفي المدة التي قررنا ثم طلبت نوعا خاصا من فاكهة المنجه وهو النوع المسمى باطرافنا «الحافوزي» ألد وأحلى انواع المنجه فتردد وهو يتذكر الاسم ولكنه في النهاية اهتدى اليه وأحضره لنا. هكذا كانت الرفاهية في هذه الباخرة.

بعد العشاء في كل ليلة كنا نجتمع في قاعة فسيحة اخرى مجاورة لغرفة الطعام حيث تقدم القهوة وفي نفس الوقت تجري ألعاب المراهنة على سباق خيل خشبية تحرك حسب الارقام التي تلتقط من صندوق جانبي، وصادف ان ربحتنا عدة مرات في هذا السباق مما جعل احد الموجودين معنا في القاعة يتقدم لي ولزوجتي ويقول انه مستعد ليدفع «خلو رجل» للطاولة التي نجلس عليها لانها جدا محظوظة.

استقمنا في نيويورك خمسة أيام بارحناها بالسيارة الى مدينة بتسبورج وصادف وصولنا اليها ذلك اليوم وصول فرقة البيتلز BEETLES الانجليزية المشهورة آنذاك لأول مرة واهتمام الناس الشديد بمقدمها واحياء حفلتها فيها. توجهنا بعد ذلك الى كلايفلاند ومنها الى ديترويت المدينة الصناعية العظيمة والمطلّة على البحيرات التي تفصل امريكا عن كندا والمرتبطة بنهر يمتد بينها. بعد يومين عبرنا النهر بسيارتنا متخذين النفق المار من اسفله. في الجانب الآخر - أي جانب كندا - سألنا احد موظفي الحدود عن وجهتنا قلنا مدينة مونتريال بكندا فلم يطلب الكشف على جوازاتنا او يسأل عن وجود فيزا لدخولنا كندا. توجهنا بالسيارة الى شلالات نياغارا الشهيرة حيث وصلناها بعد سيطرة تسع ساعات مررنا خلالها بقرى ومزارع جميلة تخلب الانظار.

(١) (قرديس) نوع من السمك الرخوي

(٢) الرز من النوع البسمتي لم يكن يعرف في ذلك الزمان في أوروبا بل اقتصر استعماله في أطراف الخليج

منها توجهنا الى مدينة تورنتو ثم الى مونتريال حيث استقلنا الطائرة عائدين الى بريطانيا فرحين بما من الله علينا من فرجة جميلة وممتعة حسنة حامدين المولى وشاكرينه تعالى على ذلك . وقد أعدت هذه الرحلة البحرية على ظهر الباخرة كوين إليزابيث ٢ - Queen Elizabeth 2 في صيف عام ١٩٧٤م بصحبة بعض أفراد عائلتي .

الرحلة الثانية : بدأت رحلتنا الثانية من البحرين في صيف عام ١٩٦٨م حيث توجهت والعائلة الى لبنان ، وبعد اقامتنا فيها عدة أيام توجهنا الى اسطنبول بتركيا ونزلنا في فندق هيلتون المطل على البسفور حيث استمتعنا بالجو الجميل والأكل التركي الشهى ، كما تفرجنا على قصور ومساجد اسطنبول الاثرية الجميلة وعلى مناظرها الخلابة وتجوّلنا في اسواقها الفخمة خاصة سوق الذهب والمجوهرات وقد وجدنا معاملة الاتراك وملاقاتهم للاغراب جميلة حسنة خاصة اذا كان الغريب عربياً ، فقد لاحظنا انهم عندما يوجهون الينا السؤال المعتاد «من أين أنتم؟» فنقول «من البحرين» . يعودوا ليسألونا «هل البحرين قريبة من مكة؟» . فبطبيعة الحال نسهل الاجابة فنقول «نعم» . عندها تظهر على وجوههم علامات البهجة والسرور متباركين بوجودنا بينهم ، ذلك لأن اتصالاتهم في تلك السنين بالاماكن المقدسة كانت محدودة وغير متيسرة وسهلة كما هي عليه اليوم .

من تركيا توجهنا الى فيينا عاصمة النمسا ، وبعد ان مكثنا فيها لبضعة أيام وزرنا معالمها التاريخية والحضارية غادرناها الى روما حيث مكثنا فيها لبضعة أيام بعد ذلك غادرناها الى لندن .

بدأت رحلتنا البحرية الثانية من بيروت الى ايطاليا مارين بموانئها على ساحل الادرياتيک حتى مدينة البندقية حيث بقينا فيها بضعة أيام وتوجهنا بعدها بالقطار الى باريس ثم الى لندن .

اثناء اقامتنا في الفندق بروما لفت نظرنا شخص بدين أصلع الرأس كامل الصلع الا من شعيرات خفيفة حول أذنيه ، مع هذا فهو قد صف امامه على منصة متوسطة الحجم أعدادا مختلفة حجماً وشكلاً من امشاط الشعر عارضاً



المؤلف راشد الزياني وبجانبه ابنته الدكتورة نجاح وأمامه قرينته
وعن يمينها ولده زايد على ظهر الباخرة - Q. E. 2



المؤلف راشد الزياني وقرينته على ظهر إحدى البواخر
خلال تمرين بحري بلباس الإنقاذ

بيعها في فهو الفندق الفسيح الأمر الذي يدعو للتساؤل والاستغراب، خطر ببالي مرة ونحن نمر بمنصته اغنية ترنمت بمطلعها بصوت مسموع تقول «والشعر الجميل»، فما كان من صاحبي الا ان فاجأني بقوله بالعربية «أزيك يا بيه!». أسرع الخطى مبتعداً خجلاً ألوم نفسي فلم اكن أتصور ان يكون البائع عربياً مصرياً بل ظننته ايطالياً، وتحاشيت بعد ذلك ان أمر بمنصته حتى بارحنا الفندق.

وكانت الرحلة البحرية الثالثة في سنة ١٩٧١م حيث استقلت وعائلتي باخرة المانية من همبرج بألمانيا مارة ببولندا ثم لينين غراد بروسيا ثم فنلندا ثم السويد عائدة الى الدنمارك. وقد استغرقت هذه الرحلة تسعة أيام شملت كل الموانئ المهمة والمشرقة على بحر البلطيق.

في أثناء توقف الباخرة في ميناء بولندا المشهور «كدنسك» ببولندا، وقبل أن ننزل الى البر للفسحة، حدثت لي هذه الحادثة التي كادت تعكر صفو سافرتنا الممتعة وربما أرغمتني على الانفصال عن عائلتي بسبب تعسف الشرطة البولندية لم ينقذني حمداً لله منها إلا ناصر: فقد كنت أقوم بتصوير عائلتي في مواقع مختلفة على ظهر الباخرة فاذا بأحد رجال الشرطة يستدعيني ويطلب مني أن أرافقه الى صالون الباخرة. ولما دخلته وجدت عدداً يتجاوز الخمسة عشر شخصاً بعضهم بلباس عسكري وآخر مدني قد اصطفوا لمحاكمتي أو التحقيق معي. وكان سؤالهم يتركز على أخذ الصور وكان كلامهم قاسياً ولغة المترجم الذي كان يحاول الترجمة باللغة الانجليزية لا يكاد يفهم منه إلا بعض كلمات مفردة. استنتجت من سؤالهم عن موطني فقلت البحرين فالتفت كل واحد منهم الى الآخر كأنه يستفسر منه عن مكان البحرين في العالم. ولما لم يستطيعوا معرفة مكان البحرين أعادوا السؤال فقلت «الخليج العربي» فزادت حيرتهم وبدأت التمتمة بينهم لعدم معرفة المكان. سلمت لهم آلة التصوير والفيلم الذي فيها رغبة باقناعهم ببراءة ما كنت أصوره ولكن ذلك لم يرح بالهم بل زادوا في عنفهم وغلظتهم وأعادوا تكرار السؤال. قلت أنا «عرب» كذلك لم يرقهم ذلك وألخوا في السؤال، هنا خطررت لي فكرة: كانت علاقات الدول الشيوعية في تلك الايام مع مصر على أحسن ما يرام وفي أعلى درجاتها

فقلت بصوت جهوري «ناصر» ورددتها مرات عديدة «ناصر - ناصر»، وإذا بالجميع فجأة يتحولون من قسوتهم الى وداعة واحترام ويرددون معي «ناصر - ناصر» وأنا أقول نعم «ناصر» عندها تبادلوا الكلمات مع بعضهم البعض ثم سمحوا لي بالخروج وحتى آلة التصوير والأفلام تركوها معي ولم يهتموا بأمرها بل عاملوني معاملة حسنة. خرجت من محفلهم القاسي البشع لأجد عائلتي في حالة فزع وقلق وقلت «جزاك الله خيرا يا عبدالناصر لقد أنقذتني من وحشية الوحوش» كان يرافقني في هذه التحقيقات أحد ضباط الباخرة الألمانية وقال لي عند خروجي من مجلسهم «احذر ان تذهب الى بولندا في وقت لاحق فاسمك الآن قد وضع في اللائحة السوداء» نزلنا بعد ذلك الى البر للتفصح في البلدة فوجدناها بلدة عائرة شعبها في حالة من الفقر والفاقة لا تكاد توصف. وكان يلاحقنا بين حين وآخر شباب في مقتبل أعمارهم اذا اقترب أحدهم منا تلفت يمنة ويسرة وقال بصوت خافت «سيكرت - سيكرت» أي يطلب سيجارة. كان الوقت صيفا والجو حارا ذلك اليوم وعند مرورنا على محل لبيع الأيس كريم طلب مني ابني الصغير آنذاك آيس كريم فأخبرني دليلهم المرافق لنا وهو يلوح بوجهه جانبا من الخجل عدم امكانية شراء ذلك من قبل الأجانب، عدنا للباخرة بعد وقت قصير لعدم وجود ما يمكن شراؤه أو التفرج عليه وغادرنا تلك البلدة الحزينة بشعور الأسى والحزن.

من «كدنسك» توجهنا الى مدينة «لينين غراد» الروسية ولما دخلت الباخرة تتهدى ميناءها لم نجد في هذا الميناء الكبير إلا عددا قليلا من البواخر. وقبل نزولنا ذلك المساء حيث كان مقررا ان نذهب الى مسرح يعرض أحدث رقصات الباليه الروسية التي اشتهروا بها، وكنا قد ارتدينا أشيك ملابسنا فاجأنا المسئول بالباخرة بقوله «أنصحكم عدم ارتداء الملابس الفاخرة في هذه البلاد فانكم ستكونون موضع استغراب وفضول إذ لن تجدوا أحدا يلبس ملابس فاخرة فيها». قبلنا بنصيحته وعدنا الى غرفنا لتغيير ملابسنا بملابس عادية غير ملابس السهرة. وفعلا عندما نزلنا شاهدا ما ذكره المسئول فالناس يرتدون ملابس حقيرة وبسيطة. ومع ان المسرح جميل وضخم بني في أيام

القياصرة الا انه ترك مهملا من الصيانة والترميم ، فستائره ممزقة وكراسيه بالية اما رقصات الباليه فكانت من أروع ما شاهدنا رغم وجوم المشاهدين الروس وبؤس نظراتهم .

أثناء نزولنا من الباخرة وقف على جانبي السلم ضابطان يفحص الأول جواز السفر بكل دقة وحذر بعد أن يلقي بنظراته الفاحصة على صاحب الجواز ويكررها ثم يعطي الجواز للشخص المقابل له على السلم ليكرر ما فعله زميله مع العلم بأننا سنذهب في سيارة باص تأخذنا مع مرافقين منهم الى المسرح وتعود بنا الى الباخرة دون أن يؤذن لأحد من المسافرين التجول في المدينة أو حول المسرح : والأسوأ من هذا اعادة هذه الاجراءات عند عودتنا للباخرة في منتصف الليل رغم مقاساتنا لشدة البرد في تلك الساعة المتأخرة .

لقد وجدنا مدينة لينين غراد جميلة ذات شوارع طويلة وعريضة انما غير مرصوفة رصفاً جيداً يحس به الانسان أثناء سير الباص . كما يخترقها نهر عريض ولم نشاهد فيها بناية جديدة إلا واحدة اما الباقي فكانت من بقايا أيام القياصرة . كان كل مسافر قد استعد لشراء هدية أو تحفة أو شيء يذكره بزيارة المدينة غير انه لم نجد ما يمكن شراؤه ولا حتى ما يسمى «سوفانير» . بعد يومين تركنا لينين غراد الحزينة وتوجهنا الى هلسنكي بفنلندا وحالما بارحنا ميناء لينين غراد الروسية جاءنا المسئول بالباخرة وأعاد الينا جوازاتنا وهو يقول «أنتم من الآن فصاعدا أحرار تستطيعون النزول من الباخرة الى الموانئ التي سنصل اليها دون مراقبة أو مناشدة» ويعني بذلك موانئ فنلندا والسويد والدنمارك التي سنمر بها بعد لينين غراد . وهكذا شاهدنا الحرية عندما التصقت الباخرة بميناء هلسنكي في فنلندا حيث وجدنا سيارات التاكسي بجانب الباخرة تأخذ السواح الى حيث يشاؤون دون رقيب أو حسيب ، ومن فنلندا توجهنا الى استكهولم بالسويد ، ومنها الى كوبنهاجن بالدنمارك حيث قضينا أجمل الأوقات وتفسحنا بكل حرية وأمان . استغرقت رحلة البلطيق هذه ٩ أيام كانت هذه الرحلة كما ذكرت آنفا في صيف ١٩٧١م ولكني والعائلة أعدنا سلوك نفس هذه الرحلة في عام ١٩٨٧م فلاحظنا الفرق

الشاسع الكبير بين ما شاهدناه في الماضي في لينين غراد وما شاهدناه في الحاضر مما سأطرق اليه وأشرحه فيما بعد .

وكانت رحلتي البحرية الرابعة في سنة ١٩٧٢م حيث استقلت وعائلتي الباخرة من ميناء جنوا بايطاليا وتوجهنا الى كورسيكا الفرنسية وفيها شاهدنا مسقط رأس نابليون الشهير وبيته ، ثم توجهنا الى بالمبا الإسبانية حيث تفسحنا فيها وتمتعنا برؤية شواطئها المزدهجة بالمصطافين من جميع أنحاء أوروبا ، ثم توجهنا الى ميناء الاكتي باسبانيا حيث تفرجنا خلال توقفنا فيها على قصر الحمراء بغرناطة وعلى المآثر والقصور الاخرى التي بناها العرب فيها أيام احتلالهم الاندلس ، ومنها توجهنا الى ملقا (الاسبانية) ثم الى لشبونة عاصمة البرتغال ثم الى جزر (الازور) في وسط المحيط الاطلنطي ، ومنها الى جزر الكناري التي يطلق عليها العرب في توارينهم اسم «جزر الخالدات» . وتتكون جزر الأزور هذه من صخور بركانية وينابيع مياه معدنية أو كبريتية حارة ، اما جزر الكناري فمع ان بعضها يتكون من صخور بركانية ، الا ان غالبيتها جزر سياحية جميلة يرتادها السواح من جميع أنحاء العالم لاعتدال جوها ولدفتها في الشتاء بالنسبة لساكلي البلاد الباردة من الأوروبيين وغيرهم . وقد استغرقت رحلتنا هذه خمسة عشر يوما استمتعنا فيها بأيام حلوة جميلة ناهيك عن مشاهدتنا بلداناً ومناظر جميلة بحرية وبرية .

والرحلة البحرية الخامسة بدأتها مع العائلة أيضا من لندن الى مدريد عاصمة اسبانيا بالطائرة ثم منها بالقطار الى مدينة قرطبة ومن قرطبة توجهنا الى ساحل اسبانيا الجنوبي وعبرنا مضيق جبل طارق الى طنجة بالمغرب . ومن طنجة استأجرنا سيارة الى الدار البيضاء مارة بعدة مدن وقرى كان من بينها العاصمة الرباط ولكن أعجب ما شاهدنا في رحلة هذه السيارة مرورنا بقرية كتب على مدخلها «البحرين» ولما سألنا السائق هل هذا هو اسم القرية قال «نعم» ، استقلينا الباخرة بالدار البيضاء بالمغرب وبعد ان توقفنا لمدة وجيزة بجبل طارق توجهنا الى جزيرة صقلية حيث شاهدنا في أحد أقبية كنائسها مقبرة بشر مفتوحة تحتوي على عدد كبير من الجثث البشرية لرجال ونساء

وأطفال حنطت جثثهم وهم بملابسهم وتركوا هكذا في العراء لا يحويهم تابوت أو قبر بعضهم ترك منبطحا والبعض ترك واقفا أو مستندا الى الجدار. منظر يقشعر منه البدن وتكره رؤيته النفس. منها توجهنا الى نابولي بايطاليا ثم سواحل اسبانيا الشرقية ثم مدينة ملقا باسبانيا ثم القسم الشمالي الغربي من اسبانيا بعد أن توقفنا في لشبونة عاصمة البرتغال.

كان سفرنا هذا على باخرة امريكية كبيرة يتجاوز عدد ركابها ثلاثة آلاف شخص. اعتاد الركاب على أن يجتمعوا بعد العشاء في قاعة كبيرة خصصت للسينما والتمثيل المسرحي حيث كان يلقي عليهم استاذ جامعي من جامعة «هارفرد» الأمريكية الشهيرة محاضرة عن تاريخ البلاد والمدينة التي ستصل اليها الباخرة نهار الغد موضحا تاريخها القديم والحديث ومرشدا للمحلات الأثرية والتاريخية التي يقترح زيارتها أثناء تواجدهم في تلك المدينة. في الأمسية التي توجهنا فيها من نابولي الى اسبانيا بدأ المحاضر كلمته بقوله انكم غدا ستزلون في اسبانيا حيث ستشاهدون معالمها التاريخية القديمة وواصل محاضرتة متطرقا الى تاريخ حكم العرب لاسبانيا وفاء بهذه العبارة «لقد حكم العرب الأندلس مدة ثمانية قرون واستطاع الاسبان اخراجهم من اسبانيا إلا ان الاسبان لم ولن يستطيعوا إخراج الدماء العربية التي تجري في عروقهم».

اما محاضرتة الثانية فكانت عندما كنا متوجهين من لشبونة عاصمة البرتغال الى المناطق الشمالية الغربية من اسبانيا المطلية على المحيط الاطلنطي قال «انكم ستشاهدون غدا في هذه المنطقة أجمل نساء أوروبا كما ستشاهدون كنيسة (ستياجو) التاريخية الشهيرة»، ثم بدأ يروي لنا قصة وتاريخ هذه الكنيسة فقال «احتل العرب هذه المنطقة لعدة سنوات ولكن الاسبان بقيادة (تياجو) اخراجوهم منها وبقيت لبضع سنين خالية من احتلال العرب، في هذه الاثناء مات القائد (تياجو) فاعتبره الأهالي قديسا لكونه تمكن من التغلب على العرب الأقوياء آنذاك في هذا القسم من اسبانيا فشيّدوا له قبرا خاصا بداخل كنيسة متميزة، كما انه في تلك الأيام (والكلام للمحاضر الأمريكي) تعذر على الأوروبيين زيارة بيت المقدس بفلسطين فاتخذوا من

زيارة هذه الكنيسة بديلا لزيارة بيت المقدس». ثم مضى في حديثه يقول «ومضت الأيام والسنون وإذا بالعرب يعيدون غارتهم على هذه المنطقة ويحتلونها ثانية بكاملها ولكن الله سلم فلحسن الحظ لم يهدموا الكنيسة أو يدمروا قبر سنتياجو». الواقع اني لما سمعت كلامه هذا فار الدم في جسمي فلم تتمالك نفسي من تفنيد كلامه المغلوط وبادرت برفع يدي عالية وانه ما كاد يلاحظ يدي مرتفعة حتى أوقف تعليقاته مبديا الدهشة والحيرة ولما واصل نظرتة الي التفت عدد كبير من الحاضرين نحوي ثم قال «هناك شخص يرفع يده عاليا» ثم دعاني للقدوم الى حيث كان يقف ليحاضر ولما حضرت سألتني أمام الميكرفون «ما الحكاية؟» قلت له «قولك انه لحسن الحظ العرب لم يعبثوا أو يدمروا الكنيسة والقبر قول مغلوط من أساسه، ان ذلك لم يحدث بمجرد الصدفة وحسن الحظ كما ذكرت، بل كان معلوما ومقصودا فان العرب المهاجمين مسلمون ودين الاسلام لا يبيح بل ويحرم التعرض لمعابد أهل الكتاب - اليهود والنصارى - وإذا كنت قد قرأت التاريخ صحيحا فلا بد انك اطلعت على تعليمات الخليفة الثاني سيدنا عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - عندما وجه حملة من جيش المسلمين الى بيت المقدس وما ذكر فيما يسمى بالأمر اليومي (ORDER OF THE DAY) الى جنودها في هذا الخصوص فهل اطلعت على ذلك؟» أجاب «كلا لم أطلع» وطلب مني أن أوضح فقلت «انه قال في ذلك الأمر لجنودها (ستمرون بمعابد يهودية ونصرانية في طريقكم وستجدون بها متعبدين فلا تتعرضوا لهم أو تمسوهم بسوء فهولاء أهل الكتاب) كما انه لما احتل العرب بيت المقدس بعد ذلك وخطر لبعضهم تحويل كنيسة القيامة الموجودة هناك الى مسجد منعهم الخليفة عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - وأمرهم ببناء مسجد قربها وهو المسجد القائم اليوم في بيت المقدس». ذهل المحاضر واشربأت أعناق السامعين من كلامي وقال «اني لم أقرأ ولم أسمع عن هذا من قبل» فسألته «من أين استقيت معلوماتك التاريخية؟» فقال «من كتب حفظت في مكنتات أمريكا». (فلا بد ان أعداء الاسلام عبثوا بها) على كل شكرني وأخذ يفسر كلامي للحاضرين وكلهم آذان صاغية.

في الصباح نزلنا الى البر وفعلاً وجدنا ولاحظنا ما ذكره المحاضر بأن هذه المنطقة فعلاً بها أجمل الجميلات في أوروبا. بعدها توجهنا الى شمال فرنسا فنزلنا في لاهافر (Lehavre) ثم توجهنا الى انجلترا حيث نزلنا وتفرجنا في جزر جربي البريطانية المحاذية لفرنسا، ومنها توجهنا الى ساحل بريطانيا الجنوبي حيث بارحنا الباخرة في ميناء سوثمبتون البريطاني.

وفي صيف ١٩٨٦م استقلت العائلة للمرة الخامسة الباخرة من كوبنهاجن عاصمة الدنمارك الى ميناء برجن النرويجي ثم منه توجهنا شمالاً نحو خلجان النرويج الشمالية التي اشتهرت بها تلك البلاد حيث كانت الباخرة تسير مسافات طويلة تحف بها من الجانبين جبال شاهقة خضراء جميلة تناثرت عليها بيوت وفلل جميلة ويضيق الخليج ويتسع بين حين وآخر حتى انك تشعر أحياناً وكأن الباخرة تكاد تحتك بجانب الجبل من ضيق الممر الذي تمر به. وأذكر ان آخر خليج مررنا به استغرقت الباخرة في سيرها فيه أكثر من ١٢ ساعة وبقينا والغالبية العظمى من الركاب نتفرج على ما تمر به الباخرة من مناظر خلابة على جوانب هذا الخليج الطويل حتى الساعة الواحدة ليلاً عندما بدأت الشمس في الغروب عندها خلد الجميع للراحة والنوم، اما الباخرة فظلت تمخر مياه الخليج الى ان وصلت نهايته في الصباح الباكر. وبعد تناول الفطور، نزلنا الى البر وصعدنا الجبل ولما وصلنا اعلاه والتفتنا لنشاهد باخرتنا تراءت لنا وكأنها أحد القوارب الصغيرة في أسفله. من هناك توجهنا في باص الى قرية صغيرة حيث تغدينا في مطعمها الجميل المنسق، واستمتعنا بشراء بعض الهدايا. وقد أخبرنا الدليل ان هذه القرية تنقطع المواصلات البرية والبحرية عنها خلال فصل الشتاء بسبب الثلوج ولمدة تتراوح بين ثلاثة وأربعة أشهر وان هناك قرى أخرى تتعرض لمثل هذا الانقطاع.

في العودة توقفت الباخرة في مدينة اوسلو عاصمة النرويج حيث مكثنا فيها نحو يوم كامل عدنا بعدها الى كوبنهاجن بالدنمارك على نفس الطريق، بعد ان توقفنا لبضع ساعات في جزيرة خضراء جميلة كلها روعة وجمال. وكانت باخرتنا هذه مزودة بكل وسائل الراحة والتسلية كما كان بها سوق لمن أراد التسوق وبركة سباحة وقاعة ألعاب مختلفة.

في الرحلة البحرية السادسة خلال صيف ١٩٨٧م، أي بعد مرور ست عشرة سنة على رحلتنا البحرية الثالثة التي كانت في ١٩٧١م المشار إليها آنفاً، خطر لنا أنا وزوجتي استعادة ذكريات تلك الرحلة المتعبة لروسيا بعد أن علمنا ان الأمور قد تغيرت في الاتحاد السوفيتي. فأخذنا الباخرة من كوبنهاجن بالدنمارك وتوجهنا الى لينين غراد الميناء الروسي الكبير الواقع على بحر البلطيق والذي كنا قد زرناه في السفرة الثانية في عام ١٩٧١م. لاحظنا ان أغلب ركاب الباخرة هذه المرة من الأمريكيين بخلاف الرحلة السابقة التي لم يكن معنا بها أمريكي واحد. قبل دخولنا الميناء تمر السفينة عادة في خليج طويل عريض انما يجب أن يكون مسارها في ممر مائي ضيق تحدده علامات على الجانبين ويشرف على قيادة سيرها في هذا المضيق المائي قبطان روسي يقودها بعد أن يعتلي سطحها عند مدخل الخليج بدل قبطانها المعتاد وكان يشاطره في القيادة ضابط روسي آخر ويستغرق سيرها في هذا الخليج المائي حوالي ٦ ساعات قبل أن تصل الى ميناء لينين غراد. عند شرونا في دخول الميناء الذي شاهدناه ينق فيه البوم في سفرتنا السابقة قبل ست عشرة سنة مضت، وجدناه هذه المرة يعج ويموج بالبواخر والسفن المختلفة التابعة لبلدان متعددة ناهيك عن السيارات الكثيرة والبضائع المختلفة المكسدة على جانبي المرفأ في انتظار تصديرها للخارج. عند وصول الباخرة الى المرفأ المخصص لها عزفت فرقة موسيقية قابعة على الرصيف معزوفة جميلة ترحيباً بقدوم الباخرة وسواها اتبعتها بأخرى الى ان التصقت الباخرة بالرصيف النظيف المعد لها. وكان نزولنا من الباخرة سهلاً ميسراً لم نجد على سلاسلها أي شرطي أو مفتش كما حدث لنا في السفرة الماضية. وفي المحطة قوبلنا بالترحاب والابتسامات ووجهنا الى مواقف الباصات وكانت حديثة ونظيفة بخلاف ما شاهدنا واستقلينا سابقاً. كان المقرر ان تأخذنا الباصات الى مسرح يعرض رقصات الباليه التي اشتهر بها الروس فاذا بها توصلنا الى فندق جميل بني حديثاً شيد بداخله مسرح جميل صمم على أحدث طراز وأثاث أحسن تأثيث مقاعده وثيرة وستائره بديعة الألوان والأشكال وخدماته ممتازة، وحتى

رقصات الباليه لم تكن كما شاهدنا في الرحلة السابقة رقصات قديمة بل كانت ايقاعات بعضها حديثة جذابة تطرب الأسماع وتمز المشاعر.

في السفرة السابقة لم يسمح لنا إلا بزيارة مسرح الباليه، انما في هذه الرحلة وبعد زيارة هذا الفندق ومشاهدة العرض، اصطحبنا في اليوم الثاني للتجول في المدينة ثم التوقف في فندق آخر والاستمتاع بغداء حوى أنواعا عديدة من الأطعمة اللذيذة وسط قاعة كبيرة تتوسطها فرقة موسيقية تطرب أسماع الحاضرين بأنغامها الموسيقية الجميلة وبغناء فتياتها الرشيقا. بعد الغداء توجهنا لمشاهدة قسم من معروضات متحف من أجل المتاحف في أوروبا حوى العديد من الصور والرسومات والمتحف النادرة وقد استغرق تجوالنا في هذا القسم من المتحف حوالى ثلاث ساعات، اما أقسام المتحف الأخرى فلم يتسع الوقت للاطلاع عليها اذا أدركنا ان القسم الذي تجولنا فيه لا يتجاوز ربع المتحف بكامله. بعد ذلك اصطحبنا الدليل الى السوق حيث دخلنا سوقا حديثة شملت بضائع ومعرضات روسية وأجنبية كما حوت تحفا ومصنوعات روسية مختلفة حيث تسوقنا بحرية تامة.

في اليوم التالي بارحنا الميناء مودعين أجل توديع فرحين بما شاهدنا وما استمتعنا به في هذه المدينة الجميلة مدينة لينين غراد، وكانت وجهتنا مدينة هلسنكي عاصمة فنلندا، ومنها الى استوكهولم عاصمة السويد ثم الى جزيرة صغيرة في وسط بحر البلطيق، ومنها عدنا الى كوبنهاجن بالدنمارك. في أثناء وجودنا في كوبنهاجن طاب لنا ان نتوجه الى برلين وقد ذكرت تفاصيل الرحلة لزيارة برلين في مكان آخر من هذه الذكريات.

وفي صيف عام ١٩٨٩م كنت أنا وزوجتي قد عقدنا النية على ركوب البحر والسفر الى جزيرة آيسلندا القريبة من القطب الشمالي الا انه مع الأسف حدث ما دعانا لتأجيل ذلك واقتصرنا الرحلة على زيارة بعض المعالم الأثرية والتاريخية في بريطانيا. توجهنا بالسيارة من لندن الى شمال مقاطعة ويلز حيث حططنا الرحال، بعد سياقة أربع ساعات ونصف، في مدينة ساحلية تدعى «لنددنو» وهي مدينة ذات ساحل جميل تقع على سفوح جبال خضراء شاهقة

يؤمها السواح والمصطافون لروعة موقعها ووجود جميع أنواع التسلية والألعاب لأطفالهم فيها. ثم بعد يومين توجهنا أيضاً، بالسيارة، الى بلدة تدعى «لانكستر» اشتهرت بقلاعها وبيوتها القديمة بعد أن مررنا في طريقنا بمنتزه «بلاك بول» الشهير الواقع على ساحل البحر قبالة ايرلندا.

في أثناء نزولنا بالفندق في مدينة «لانكستر» شاهدنا قلعة قريبة من الفندق فصممنا على زيارتها بعد تناول الغداء للفرجة والاطلاع. عند وصولنا الى باب القلعة وجدنا بوابتها مغلقة وقد اصطف عدد من الرجال والنساء والأطفال في طابور أمام البوابة. اقتربت من البوابة وقرأت قطعة كتب عليها تفتح الساعة الثانية ظهراً أي بعد نصف ساعة من حضورنا، فبدأ لنا ان نتمشى حول القلعة ريثما يحين وقت افتتاحها. وعندما عدنا، وما كدنا نصطف في نهاية الطابور، حتى فتحت البوابة إيذاناً بالدخول، في هذه الأثناء التفت من هم في مقدمة الطابور نحونا ولما لاحظوا اننا أغراب طلبوا منا ان نتقدم عليهم بالدخول الى القلعة. شكرناهم معتبرين ذلك لطفاً وكرماً منهم، فأهل القرى في كل مكان طيبون. سرنا في دهليز القلعة الى طرفه الآخر حيث كان يجلس رجل الى طاولة عادية. عند وصولنا الى مكانه أخرجت محفظة نقودي لأدفع أجرة الدخول كالمعتاد وسألته «كم أدفع عني وعن زوجتي» وأنا أقدم له ورقة نقدية من فئة عشرة جنيهات أخذها من يدي بينما كان مكباً رأسه على الطاولة يتطلع في رزمة أوراق أمامه، ولما رفع رأسه وشاهد الورقة النقدية أظهر الدهشة وقال «ما هذا؟» قلت «خذ منه أجرة الدخول» قال «ولماذا؟» هنا حدثت فترة صمت منه ومني لم تستغرق طويلاً قال على إثرها «لا حاجة لدفع مبالغ هنا فقط أعطني ورقة الاذن». لم أفهم ما يقصد فسألت «من أين أحصل عليها بالله دلني عليها». هنا قال مستفسراً «لماذا جئت الى هنا؟» قلت «لمشاهدة القلعة» فقال «مدخلها في الجانب الآخر اما هذا فباب السجن، فهل لديكم سجين هنا تريدون مقابلته؟» أسقط في يدنا إذ وقعنا كما يقال في مطب ودخلنا السجن بأرجلنا لمدة عشر دقائق! خرجنا بعد أن أرشدنا الى باب القلعة ونحن نجر أذيال الخجل مروراً بطابور أقرباء المسجونين المصطفين خارج بوابة السجن.

وفي القلعة التي زرتها فيما بعد شاهدنا محكمة السجن القديمة، انما فرعنا واشمأزت أنفسنا عند الاطلاع والتفرج على سجون العصور الوسطى في تلك القلعة بما حوته من آلات التعذيب المفزعة التي تقشعر منها الأبدان.

في اليوم التالي توجهنا الى مدينة يورك وهي مدينة تاريخية في وسط انجلترا اشتهرت بكتدرايتها الشهيرة. قبل بضع سنوات ضربت هذه الكتدراية التي مضى قرون على تشييدها صاعقة أدت الى إشعال حريق في احد أقسامها مما أوجب ترميم ما تلف منها بفعل الحريق. غير انه أثناء مباشرة الترميم لاحظ المهندسون تلفا كبيرا في أساساتها مع تآكل في بعض أعمدتها الرئيسية، فاضطروا لاتخاذ الاجراءات اللازمة لتلافي هذا التلف الخطير حيث قاموا بمشروع هندسي هائل لا يكاد يصدق العقل. حفروا أساساتها بعد أن علقوا هذه الكتدراية الكبيرة الهائلة على أعمدة من الخرسانة والقضبان الفولاذية.

وعند الحفر تبين لهم انها كانت مبنية في الأصل على بقايا قلعة رومانية قديمة، فكانت هذه الحفريات ذات نفع أثري مهم قام السواح وعاشقو الآثار بارتياحه. مكثنا في مدينة يورك مدة يومين توجهنا على اثرها الى الساحل الشرقي لبريطانيا حيث مررنا على قرى ومدن جميلة على ساحل بحر الشمال ثم ختمنا هذه الرحلة بالعودة الى لندن.

الباب الثالث عشر

البحر وعلاقتي به

المقدمة

البحرين عبارة عن أرخبيل مكون من اكثر من ثلاثين جزيرة. ولذلك اعتاد اهلها ركوب البحر في سفرهم او تجارتهم او تسليتهم. كما انها تقع في وسط مغاصات اللؤلؤ الطبيعي في الخليج وكانت المركز الرئيسي لتجارة اللؤلؤ في العهود السالفة قبل اختراع زراعة اللؤلؤ الصناعي الذي بلا شك ألحق ضررا كبيرا باللؤلؤ الطبيعي سواء من حيث العمل في استخراجها او المتاجرة به. وكوني ولدت وترعرعت بجوار البحر وفي ايام ازدهار تجارة اللؤلؤ فقد عاصرت في بداية حياتي الفصل الاخير من هذه التجارة العتيقة ورافقت والدي في سفراته الى مغاصات اللؤلؤ بصفته طواشاً (١) وذلك قبل ابتعائي الى جامعة بيروت الامريكية في عام ١٩٢٨م.

ومع اني احب البحر واجد المتعة والتسلية فيه الا ان للبحر نوائب وخطارا لا يستهان بها، فقد تعرضت خلال فترة حياتي بمفردي او صحبة الآخرين لبعض اخطاره ونوائبه. اروي بعضا منها في هذه الحلقة كمثال على ذلك او لمجرد العلم والاطلاع.

كنت في صغري اقضي الكثير من اوقات فراغي في البحر فقد كان بيتنا قريبا من ساحل المحرق الغربي ولم يكن هناك في ذلك الزمان محلات للتسلية في المحرق الا البحر. كان بحر ذلك الساحل في منتهى الروعة والجمال قاعه رملي نظيف وبحره صاف لا يشوّهه تلوث او وسخ وكانت المتعة في السباحة وصيد الاسماك الصغيرة او المتوسطة الحجم كسمك الميّد والحاسوم والمصلغ وما شاكل ذلك.

كان والدي رحمه الله، لا يستسيغ ترديدي على البحر وكثيرا ما كان يوبخني او يصفني بأوصاف عجيبة، مثلاً يقول «صرت اسود كأنك صومالي» وذلك طبعاً بسبب تعرض جسمي للشمس، ولكن لماذا يقول صومالي؟ لأن عدد الصوماليين المتواجدين في البحرين في ذلك الزمان كان كبيراً فهم يقومون بكافة انواع الخدمات البحرية والبرية - غير ان تعنيف والدي لم يكن يحول بيني وبين التردد على البحر.

(١) كلمة طواش تعني التاجر الذي يشتري اللؤلؤ من الغواصين وهم في مغاصات اللؤلؤ.

(الفصل الأول)

معاصرة صيد اللؤلؤ والطواشة

معاصرة صيد اللؤلؤ والطواشة

لعل اجمل ما كان يشاهد الانسان في ذلك الزمان سفن الغوص والطواشة الكثيرة العدد والمتعددة الانواع والاشكال وهى مسجاة طيلة فصل الشتاء في صف طويل على طول ساحل المحرق الغربي، وقد تباينت اشكالها وانواعها منها: الجالبوت - السنوك - البانوش - البوم - البتيل - البقارة - تشاهدها وقد دهنت بالصل (١).

واذا ما اقبل الصيف سحبت الى البحر واغرقت في الخور (أي العميق من البحر) لمدة بضعة ايام لكي ينحسر عنها هذا الدهان اللزج ولكي تتخلص من الحشرات والفئران التى عششت فيها اثناء بقائها مسجاة على الساحل طيلة اشهر الشتاء ثم تسحب الى المياه الضحلة ليقوم البحارة بفرك جسدها برمل البحر والحبال وتخليصه من ذلك الزيت اللزج الكريه الرائحة.

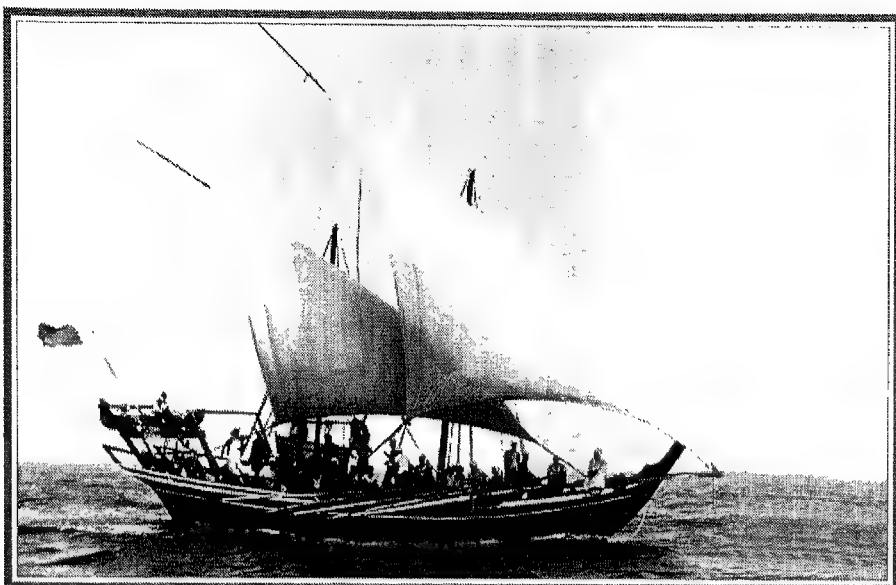
فكنا والحالة هذه مجموعة من الصغار نسبح حول هذه السفن ونمتطيها وهي غارقة في الخور واحيانا نغوص في اعماقها، مستمتعين بالتنقل من سفينة الى اخرى ومتبارين في السباحة والغوص تحيطنا وتغمرنا براءة الطفولة والقناعة بحياتنا السعيدة هذه فلا يوجد راديو ليلهينا عن متعتنا هذه ولا تلفزيون ليشدنا الى متابعة اخباره ومسلسلاته. وينتهي مرحنا هذا عند سحب جميع هذه السفن الى المياه الضحلة القريبة من الساحل وتهيئتها للذهاب الى مغاصات اللؤلؤ.

كان والدي رحمه الله يملك سفينة شراعية (٢) أسماها «سمحا». وكانت ذات دقلين (صاريتين) صارية طويلة وهى الاصل والاخرى صغيرة تسمى (الغيلمي) ولكل صارية توابعها من الحبال وغيره.

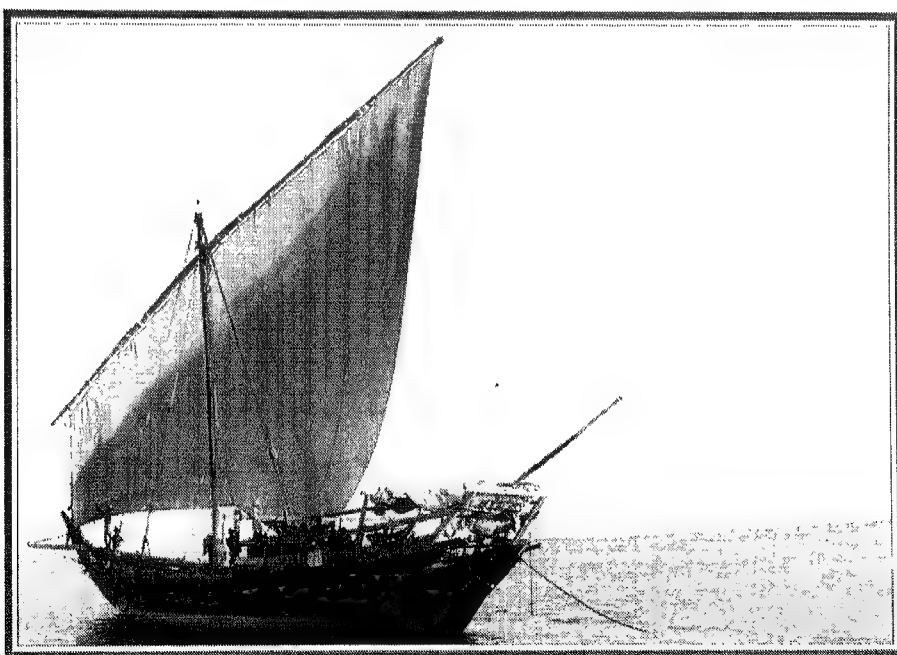
تذهب سفن الغواصين الى مغاصات اللؤلؤ في وقت مبكر من بداية موسم الغوص، اما الطواشون وهم التجار الذين يشترون اللؤلؤ من الغواصين في

(١) دهان يستخرج من زيت السمك يحفظ اخشابها من العث والتلف.

(٢) في ذلك الزمان لم يبدأ بعد استعمال السفن الميكانيكية.



شوعي: أحد أنواع سفن الغوص الشراعية



سنوك: أحد أنواع سفن الغوص الشراعية

عرض البحر ووالدي من جملتهم فلا يغادرون البلاد الا بعد بضعة ايام من مغادرة الغواصين، بعد ان يهيئوا سفنهم ويعدوها للسفر وبعد ان يوظفوا البحارة اللازمين للعمل فيها. والذين عادة يكون غالبيتهم ان لم يكن كلهم غرباء جاءوا من عمان والمهره وحضرموت وعدن واليمن والصومال.

تمتلىء البحرين، وبالاخص مدينة المحرق، في الصيف بهؤلاء البحارة الاجانب فتزدحم الاسواق والمساكن بهم. وكثيرا ما تسمعهم يتحدثون بلهجاتهم المختلفة او يغنون بأغاني بلادهم وهم يعدون السفن ويقومون بتنظيفها او دهانها خاصة وقت انحسار البحر عنها اثناء الجزر، كما تشاهد بعضهم وهم مستلقون على ظهورهم تحت السفينة يحكون (النوء) (١) منها او يدهنونها بشحم السمك المعد لذلك والسفينة واقفة على سطح قاع البحر المنحسر يسندوها عن الميل الى جانبها اربعة اعمدة من الخشب تسمى (المجدفات) وتبقى هذه المجدفات او (الميدفات) سائدة السفينة الى ان يمتد البحر وتطفو السفينة على الماء.

وبخلاف سفن الغواصين يتبع سفن الطواويز قارب صغير يدعى (قلص) يستعمل للتنقل بين السفن اثناء شراء اللؤلؤ من الغواصين او للتنقل من البر الى السفينة وبالعكس اثناء التواجد في المدينة او في احدى الجزر او السواحل.

واذكر انه عندما جهزت سفينة الوالد «سمحا» بما تحتاج اليه من لوازم السفر وحدد يوم السفر توجهنا الى الساحل بعد ان ودعنا الاهل وركبنا «القلص» الى السفينة ومع كل منا فراشه البدائي المطوي على بعض الملابس البسيطة ما عدا والدي فكان بالاضافة لفراشه حمل معه صندوقا حديديا من الحجم المتوسط «وبشخته» وهي صندوق صغير عبارة عن مكتب يحتوي على اقلام وقراطيس كما تحتوي على المعدات واللوازم الخاصة بفرز اللؤلؤ ووزنه وتبويبه وتصنيفه. وسفينتنا كان لها ربان يدعى «نوخذة» (٢) - اسمه بن

(١) اصداق بحرية صغيرة

(٢) النوخذة: تعني ربان ويمكن لفظها «نوخذي»

حماده ومشرف لوازم ومعدات السفينة يدعى «مجدمي» واسمه شاهين وكلاهما من البحرين انما لم يكن بين الاثنين أي نوع من المودة والتفاهم بل وحتى يبلغ العناد والخلاف بينهما احيانا الى درجة ان يضطر الوالد للتدخل . فالنوخذة هو الخبير الذي يوجه السفينة الى المغاصات المطلوبة والموانئ المختلفة في الخليج وهو يوجهها عن طريق البوصلة ويسمىها اهل البحرين «الديرة» وهو الذي يأمر بتعليق الشراع الكبير او الصغير وما الى ذلك . كان هذا النوخذة بن حماده بسيطا مسالما، اما «المجدمي» شاهين الشخص المسئول عن اعداد السفينة قبل السفر والمحافظة على اشروعها وحبائها واصلاح المعطوب منها واعدادها للاقلاع في أي وقت يأمر به النوخذة فكان عنيدا لا يجامل او يتنازل .

لم يكن النوخذة بن حماده متعلما بل كان أمياً لا يعرف حتى مبادئ القراءة والكتابة ولكنه بالتمرين يحفظ مواقع مغاصات اللؤلؤ وموانئ الخليج وجزره المتعددة عن ظهر قلب ويوجه السفينة الى تلك المواقع عن طريق البوصلة البحرية محتفظا في ذاكرته بالنجم الذي ينبغي ان يتبعه ليصل الى ذلك المغاص او الميناء وكان معه كتيب صغير يعطيني اياه احيانا لأمتحنه واسأله عن النجم المطلوب من هذا الموقع الى ذلك فأسأله فيكون جوابه تماما كما هو محرر في هذا الكتيب «ذاكرة هائلة» (يعطي الله القوة على الضعف) وحيانا احاول لخبطته او مخادعته فأقول له غلط فيفكر وبصر على ما قاله وانا اتعمد ان اخالفه واذا اصررت قال يا ابني ان صاحب الكتاب غلطان فالصحيح هو ما اقول ، وعلى سبيل المثال لا احصر خبرته كنا يوما من الايام راسين بسفينتنا في موقع بالقرب من جزيرة «داس» التابعة لأبوظبي ، وهى جزيرة جميلة تقع في اواسط الخليج العربي لم تطأها اقدام الحضارة مع انها تمتد على بحر هائل من النفط الذى لم يكتشف فيها آنذاك فاقضى رأيى والدي التوجه غربا الى مغاص لؤلؤ يسمى «عشيرج» يقع في الشرق من شبه جزيرة قطر . كان الجو هادئا والشمس على وشك الغروب ، والنسيم عليل امر النوخذة اعداد الشراع الكبير كما امر برفع المرساة وتوجهنا غربا بعد ان عين النوخذة بن حماده النجم

الذى يجب ان يتبع على البوصللة وامر احد البحارة المتمرسين على مسك دفة السفينة باستلام الدفة واتباع النجم المعين . بعد صلاة المغرب واثناء ما كنا نتعشى تحول النسيم الى بداية ريح فأصبحت السفينة لا تحمل الشراع الكبير فأمر النوخدة بإبداله بشراع اصغر يسمى «السفديرة» . استمر سيرنا في الظلام، اذ لم تكن تلك الليلة ليلة مقمرة، وبعد مدة قصيرة زاد الريح عتوا فأمر النوخدة ابدال شراع السفديرة بشراع أصغر يسمى «التركيت» وأخذت سفينتنا تصارع الأمواج وكان بعضها يعلو على السفينة وتركب بين حين وآخر موجة من هذه الموجات ظهر السفينة ثم تنحسر ويأخذ الملاحون بنزف الماء المتبقي منها على سطح السفينة، كنت وأخي أحمد صغيرين فخشني والدي ان تكتسحنا موجة وتلقينا في البحر الهائج فأمر الملاحين بأن يعملوا من احد الأشرعة دائرة ضيقة تكفي لاحتوائنا فيها، ارتفاع جوانبها لا يقل عن طول قامتنا، وقد بقينا طيلة هذه المغامرة واقفين داخل الدائرة المشار اليها أنفا مشدوهين ننظر في هذه الظلمة الحالكة الى ما يمكن رؤيته حولنا وبين الحين والحين تلفحنا موجة وتلقينا أرضا في قاع الدائرة ثم نعود للسوقوف وهكذا دواليك .

ظللنا على هذا الحال حتى الساعة الثامنة عربي (عرفت ذلك عندما سمعت النوخدة يسأل الوالد عن الساعة) اي اننا مرنا بهذه المجازفة مدة ثمان ساعات من الغروب وحتى الساعة الثامنة عربي، عندها قال النوخدة ألقوا «البلد» والبلد عبارة عن قطعة من الرصاص وزن نحو كيلوين مربوطة من اعلاها بحبل طويل يقاس به عمق البحر مقسم الى ابوع (الباع ستة أقدام) وبين كل باع وآخر علامة مدلاة منه أو مربوطة به يعرف من انواعها المختلفة عمق البحر فبعضها قطعة جلدة وبعضها خشبة صغيرة وبعضها خرقة حمراء أو بيضاء ولإلقاء البلد ينبني تخفيف سرعة السفينة وذلك بمناحرتها (١) مناخرة جزئية لاتجاه الريح، ألقى البلد فقال الملقى بصوت عال لا يكاد

(١) مناخرة تعنى مقابلة

يسمح في هدير الريح العاتية ستة أبوع، عندها أمر النوخذة بمواصلة السير وبعد مدة قصيرة من مواصلة السير أمر النوخذة مرة أخرى بإلقاء البلد وبعد إلقائه صاح الملقى بنغمته المعتادة «خمس أبوع وربع» قال النوخذة نحن الآن في المغاص المطلوب وأمر بالاستعداد لإلقاء المرساة وتنزيل الشراع.

كانت الظلمة حالكة والأمواج عالية والريح عاتية وقفت السفينة وألقيت المرساة ولكن من شدة قوة الريح لم تتمكن المرساة من الصمود أمام تقهقر السفينة وبدأت الريح تجرنا للخلف عندها أمر النوخذة بإلقاء مرساة ثانية وبعد وصولها للقاع مسكت المرساتان وتوقفت السفينة.

ما العمل الآن هل هناك مجال للنوم كل شيء مبلل ورطب وكلما جاءت موجة رفعت مقدمة السفينة الى أعلى وإذا انحسرت عنها غاص مقدمها في الماء وجاء هديره مارا بنا كالنهر الى مؤخرة السفينة ولولا ان السفينة مسطحة لغرقت، مع هذا يقوم البحارة بنزف الماء المتخلف بعد الانحسار وهم يرددون وينادون بأعلى صوتهم انزف انزف.

بقينا على هذا الحال ننتظر بزوغ الفجر وطلوع النهار نصارع الأمواج العالية والريح العاتية وعند بزوغ الفجر تطلعنا الى ما حولنا فوجدنا سفينتنا راسية بين عدد من السفن الراسية في هذا المغاص الذي يدعى «هيرعشيرج» ولم يكن بيننا وبين أقرب سفينة إلا عشرات الأمتار - هكذا كانت خبرة النوخذة بن حمادة، رحمه الله.

كانت كل سفينة في هذا «الهير» أي «المغاص» تعاني ما عانيناه من مشقة ما عدا انها راسية تنتظر الصباح وكان عددها حوالي العشرين.

حالما طلع الفجر وأشرقت الشمس بدأت كل سفينة في الاستعداد والعمل على «النتر» ومعناها الاقلاع والتوجه الى جزيرة أو حالة للاختباء وراءها عن هذا الطوفان ثم العودة الى المغاص بعد انتهائه. بالنسبة لنا لم يأمر النوخذة بتعليق الشراع ولو كان الصغير من الأشرع فالسفينة لا تحمل ذلك بل أمر بتعليق «الجيب» والجيب عبارة عن شراع مثلث أصغر مساحة من الأشرع الأخرى مع هذا يمكن تقليص حجمه بسهولة عند الضرورة وهذا ما فعلناه.

كان لا بد من قلع المرساتين وهنا كانت المشكلة قوة الريح تمنع السفينة من التقدم للأمام حتى يستطيع البحارة جر السفينة الى الأمام لتصل الى موقع المرساتين وفكهما من صخور قاع البحر ولا يوجد للسفينة محرك ميكانيكي لكي يدفعها للأمام فاتخذت الوسيلة البدائية التالية :

عندما ترتفع مقدمة السفينة بفعل موجة عالية تكون اوتوماتيكيا قد جرت نفسها للأمام فيستعد البحارة وهم مسكون بحبل المرساة لجر أية ليونة من الحبل عندما تنحسر تلك الموجة، وتعود مقدمة السفينة لتغوص في الماء، وهذه العملية توفر لهم من تقدم السفينة حوالى ذراع أو نحوه، وقد استغرق اتخاذ هذه الطريقة البدائية مدة ساعة أو أكثر حتى أمكن جر السفينة الى الأمام والوصول بها الى موقع المرساتين ثم فكهما من صخور قاع البحر ورفعها على ظهر السفينة وقبل أن نبدأ بهذه العملية انتظرنا بعض الوقت اذ كانت خلفنا مباشرة سفينة وكان انتظارنا حتى تغادر تلك السفينة فلا تسحبنا الريح بعد رفع المرساتين ونصطدم بها .

كان أقرب «بندر» والبندر هو ما تحتمي به السفن عند حاجتها للاحتباء من الريح . أقرب بندر جزيرة «شراعوه» وهي جزيرة جبلية صغيرة الحجم تبعد حوالى خمسة عشر ميلا عن هذا المغاص فالتجهد جميع السفن اليها وكان الخطر الذي يحرق بنا وسفينتنا تتمايل وتتمرجح مندفعة مع الريح الى هذه الجزيرة القارب الصغير «القلص» الذى تسحبه سفينتنا وراها فهو يندفع مع الأمواج العالية من خلفنا بسرعة هائلة مهددا خرق سفينتنا من الخلف ولكن الله سلم ووصلنا الى جزيرة شراعوه سالمين حيث بقينا فيها ثلاثة أيام في انتظار توقف الريح . هذه احدى أخطار ونوائب البحر .

وقصة أخرى:

كنا في يوم من الأيام في إحدى المغاصات القريبة من ساحل قطر فاقضى رأيي والسدي التوجه الى جزيرة «حالول» وهي جزيرة جبلية تقع في وسط الخليج وتبعد حوالى ٦٠ أو ٧٠ ميلاً عن ساحل شبه جزيرة قطر. كان الوقت مساءً وكان الهواء عليلاً.

بدأنا في السير بعد أن عين النوخذة بن حمادة الوجهة على البوصلة، وسلم ادارة الدفة الى سكوني (١) متمرس من البحارة، وحوالى منتصف الليل اعترى «السكوني» النعاس فخرجت السفينة عن مسارها وتوقفت مجابهة للريح.

كنا نياما إنما على اثر توقفها واعتدالها استيقظنا ونحن في حالة ذعر وفزع، فالسفينة كانت تسير وهي مائلة الى جانبها الأيمن بحكم نفخ الريح في شراعها ولكنها لما واجهت الريح بسبب غفلة السكوني اعتدلت واستقامت، فشعرنا ونحن نيام بهذه الانتكاسة. عندها صاح النوخذة بالبحارة قائلاً «يود بطنه» (٢) أي امسكوا ببطن الشراع من الأمام وجروه تجاه داخل السفينة لكي ينفخ الريح في مقدمته فتعود السفينة للسير مع الريح، قام البحارة بهذه العملية والعادة بعد أن تلتاح السفينة مع مسار الريح يأمر النوخذة البحارة بترك الشراع في سبيله، ولكن كانت الريح من القوة بحيث اضطرهم الشراع الى تركه في سبيله قبل أن يصدر النوخذة أمره بكلمة «ودع» أي اتركوا الشراع في سبيله. هنا حدث ما لم يكن متوقعا ولا موجب له، كان من جملة المسكين ببطن الشراع الطباخ، الذي كانت تنحصر مهمته في الطبخ وشؤونه، وليس له أي شأن بأمور السفينة الأخرى، والمذكور وهو حجازي الجنسية أراد تبرعا من تلقاء نفسه أن يساعد البحارة في جر الشراع الى جانب السفينة ولكنه بدل أن يمسك حافة الشراع ادخل يده في حلقة «الخماري»،

(١) السكوني: كلمة تطلق على الشخص الذي يمسك دفة السفينة.

(٢) يود بطنه: اصطلاح بحري.

وهي حلقة مصنوعة من الحبال معلقة في أسفل الشراع تستعمل لتعليق الجانب الأسفل من الشراع إذا لزم الأمر، ولما أجبرت الريح البحارة على ترك الشراع لم يستطع الطباخ المسكين ان يخلص يده من هذه الحلقة فسحب الشراع وألقاه في البحر. عند سقوطه في البحر صاح أحد البحارة، وكان صوماليا، «الطباخ فلان لا يعرف السباحة».

كنت في ذلك الوقت واقفا على «الفنه» (١) بقرب العمود المسمى «القايم» (٢) أتطلع الى ما يجري فشاهدت طاقية الطباخ التي كان يلبسها تمر طافية بقرب السفينة ولما التفت الى خلف السفينة رأيت على بعد ١٣ قدما تقريبا الطباخ المسكين وقد أخرج يديه يكافح بهما الماء لينقذ نفسه ولم يستمر ذلك أكثر من بضع ثوان حتى توقفت يدها وغطس الى القاع.

أصاب الجميع الذهول وشروذ الذهن لا بل أصبنا جميعا بنوع من الخيال الغريب فكلما تحركت موجة في نور القمر الضعيف في تلك الليلة ظننا ان هذه الحركة هي حركة الطباخ فيلقي البحارة بأنفسهم في البحر متجهين لهذه الحركة - ذهول وشروذ ذهن وتخيلات غريبة.

بقينا على هذا الحال مدة من الوقت، ويحدث في بعض الأحيان أن يصرخ أحد البحارة مناديا الطباخ باسمه ولكن دون جدوى.

في هذه الأثناء صادف ان مر بنا «سنبوك» (٣) غواص، ولما شاهد سفينتنا خفف من سيره وسألنا أصحابه فيما اذا حدث لنا حادث ما وهل نحتاج الى مساعدة؟. سارع والدي وقال للبحارة لا تخبروهم بما جرى، وتكفل النوخة بالإجابة بأن قال «لا حاجة لنا أبدا، كل ما في الأمر اننا نحاول تعديل الشراع».

بعد ابتعاد السنبوك ظللنا نبحث ونتحرى مدة طويلة دون جدوى. في هذه الأثناء اشتدت الريح فأصدر الوالد أمره الى النوخة بالرجوع الى ساحل

(١) الفنه: مؤخر السفينة المسطح والذي عادة يجلس وينام عليه اصحاب السفينة.

(٢) القايم: أحد العمودين الرئيسين على ظهر السفينة.

(٣) سنبوك: نوع معين من السفن.

قطر لنتحاشي شدة الريح ونكون في مياه ضحلة خفيفة الموج . غيرنا مسارنا الى ساحل قطر حيث وصلناه حوالى الفجر .
بعد الصلاة غططنا في نوم عميق من شدة التعب والكدر، ولم نستيقظ من النوم الا قرب الظهيرة .

لما أفقنا كان الوجوم والحزن يخيمان على كل فرد منا وبصورة خاصة البحار الصومالي الذي ظل يبكي ويتحب لفقده صديقه الطباخ المسكين ولما لاحظ والدي عليه ذلك استدعاه وسأله أمامنا بهذه الأسئلة «هل طلب أحد من الطباخ أن يشارك البحارة الآخرين في مهمتهم؟ هل رأيت أحدا دفعه الى البحر؟ هل بينه وبين أحد عداوة أو شقاق؟» فكان جواب البحار الصومالي بالنفي . كل هذه الأسئلة والإجابة عليها كتبها الوالد في ورقة ولما سمع جوابه طلب منه وضع إبهامه الأيسر عليها . ثم أمره أن يحضر أمتعة الفقيد وكانت مكونة من فراش وصندوق خشبي صغير . ربطت ربطا جيدا وختمت بالشمع الأحمر أمام الجميع .

بقينا في مكاننا حتى اليوم التالي ثم غادرناه الى احدى المغاصات القريبة ومنها الى جزيرة حالول مواصلين سفرتنا . ولم نرجع الى البحرين لأننا كنا قد تركناها من قريب وهي بعيدة عنا بالنسبة لسفينة شراعية اما مسألة الطبخ فكانت مناوبة بين البحارة والنوخة والمجدمي «امحق طبخ!» .

عند العودة الى البحرين ذهب الوالد الى بيت الدولة أو بيت الباليوز كما كان يدعى في ذلك الزمان (أي الاعتماد البريطاني) وأخبرهم بالحادث وقدم لهم توقيع الصومالي وبقية البحارة على ما جرى كما سلم لهم أمتعة الفقيد حيث أجروا تحقيقات واستفسارات تم على اثرها غلق محضر الحادث الأليم . اما لماذا قصد الوالد بيت الباليوز، فلأن القضاء في ذلك الزمان بالنسبة للأجانب من شؤون دار الباليوز (الاعتماد) حسب الاتفاق مع شيوخ البحرين .

وقصة أخرى:

كنا «نطوش» أي نسعى لشراء اللؤلؤ في الجهة الشمالية الشرقية من البحرين في سفينتنا «سمحا» وقد حمل الوالد فيها كمية كبيرة من الروبيات الهندية الفضية (١) يبلغ مجموعها مائة ألف روبية كانت معبأة في أكياس من الخيش كل كيس يحتوي على ألفي روبية.

بعد أن استنفدنا جميع هذا المبلغ بشراء اللؤلؤ من الغواصين قفلنا راجعين الى البحرين لبيع ما اشتريناه أو بعبارة أخرى اشتراه الوالد وفيما نحن في طريقنا الى البحرين وكان الوقت نهارا والهواء نسيما لاحظنا سفينة إيرانية معروفة من شكلها ونوع شراعها «تدعى بلم» تتبعنا من بعد وقد لاحظناها الوالد بواسطة منظار مكبر (دربيل) برفقته يستعمله عند الحاجة لتمييز الأشياء البعيدة.

وكانت هناك شائعات في ذلك الزمان بأن بعض الابلام الايرانية اتخذت من مواقع المغاصات مجالا للقرصنة البحرية فهي تهاجم السفن وتستولي على محتوياتها، في بادئ الأمر لم نهتم بأمر البلم ولكن لما قارب وقت العصر أمر الوالد النوخة بتغيير مسار سفينتنا للتأكد فيما اذا كان هذا البلم يتبعنا أم انه في طريقه الى البحرين. غيرنا المسار ففوجئنا بأن البلم غير مساره أيضا مواصلا متابعته لنا، هنا أمر الوالد التحضير للمواجهة معه فأمر بإخراج السلاح وهو مكون من بعض البنادق والمسدسات ثم أمر بتكويم بعض الأشرع على سطح السفينة للاحتماء بها عند المواجهة. مرت بنا فترة من التحفز والاستعداد وأظهر عدد من البحارة وأغلبهم كما قلت سابقا من بلاد المهرة ومن عمان استعدادهم للمواجهة كما تعودوا عليه في بلادهم من مثل هذه المواجهات، ثم امر الوالد اطلاق عدة طلقات في الهواء تجاه البلم الايراني من باب التحذير وما كاد يسمع الطلقات حتى «خاير» (٢) أي قلب شراعه واتجه

(١) العملة المتداولة في ذلك الزمان . . انظر فصل العملة صفحة (٤٥٩)

(٢) خاير: اصطلاح بحري في الخليج يقصد به غير اتجاهه.

الى جهة أخرى معاكسة، حمدنا الله على ذلك ولكن بقينا طول الليل وسفينتنا تتابع سيرها للبحرين ونحن في خوف وحذر خشية المباغطة خاصة وان تلك الليلة لم تكن مقمرة بل كان ظلامها دامس.

وحادثة أخرى:

كنا في سفيتنا «سمحا» مبندرين (راسين) مع عدد من سفن الغوص والطواشة أي مختبئين وراء شبه جزيرة رأس تنورة من أعمال السعودية لتفادي ريح عالية هبت في يوم من الأيام. بعد أن هدأت الريح شرعت السفن المبندرة بالخروج الى عرض البحر متجهة لمغاصات اللؤلؤ. كان الهواء عليلاً بحيث يتأتى للجميع استعمال أشرعتهم الكبيرة وعادة في مثل هذه الأحوال تجري منافسة ومسابقة بين أصحاب السفن الشراعية، خاصة الطواويز منهم، إذ يحاول كل منهم سبق الآخر لمجرد التفاخر والتحدث عن ذلك السباق العفوي فيما بعد في المجالس والمجتمعات. ولذلك يسعى كل صاحب سفينة بأن يعمل جهده ليجعلها سباقة تسبق غيرها، وهكذا كان الحال بالنسبة لسفيتنا.

سارت جميع السفن في اتجاه واحد قاصدة «هير» أي مغاص معين يقع في الشمال الشرقي من رأس تنورة وكان اتجاه الريح غربياً. كان الحماس للفوز يسيطر علينا جميعاً، ما عدا والذي إذ كان رحمه الله، لا يجذب المنافسة والتفاخر. سبقنا جميع سفن الطواويز المنافسين لنا، ولم يبق أمام سفيتنا الا سفينة طواش واحد يظهر انه غادر رأس تنورة مبكراً وكنا فرحين مبهجين بهذا السبق الساحق.

لما اقتربنا من سفينة الطواش الأخير تعرفنا عليها فإذا هي لطواش معروف من جماعة الجلاهمة مشهور عنه انه يصيب بالعين. عندما عرف الوالد اسم صاحب هذه السفينة نهض من مجلسه فزعاً وقال الأحسن لا تسبقوه ولا تسابقوه وخففوا من سير سفيتنا تحاشياً لسبقه. ولكن الحماس بين الجميع كان كبيراً فلم يستمع النوخة لنصيحة الوالد فسلم الوالد أمره

واستلقى على ظهر فراشه المطوي مبديا عدم ارتياحه لما يجري ، بعد قليل مرت سفيتتنا بمحاذاة سفينة الجلهمي سائرة في سبقتها لسفينته وإذا بالجلهمي ينهض واقفا وينادي بأعلى صوته قائلا «سلام عليك يا شيخ» فنهض الوالد واقفا ورد التحية بمثلها ولكن لم نكد نطوف سفينته حتى حدث ما توقعه الوالد انكسر «الفرمن» وهو العمود الذي ينشر الشراع ويمسكه حول «الدقل» الصارية ونزل الشراع متدليا في البحر، هنا صرخ الوالد بأعلى صوته وقال ألم أقل لكم «لا تطوفوه»! ألم أقل لكم «لا تطوفوه»! أصاب الجميع منا ذهول وكدر واضطربنا لأن نتوقف عن السير بأن ألقينا مرساة سفيتتنا وبدأنا العمل لإصلاح الفرمن المكسور.

في هذه الأثناء مرت بنا جميع السفن التي كنا قد سبقناها وبطبيعة الحال شمت فينا بعضهم بل وربما سروا لما حدث لنا .

كان لدينا كامل الاستعداد لإصلاح الفرمن الذي أخذ منا إصلاحه بقية النهار - فهل يا ترى ان العين تصيب؟ ان الله سبحانه وتعالى قد ذكرها في كتابه المبين .

حادثة أخرى:

أشرت في صفحة أخرى من هذه الذكريات اني مولع بالبحر منذ صغري واني استحلي المغامرة فيه ، كان والدي رحمه الله قد اشترى لي قارباً صغيراً مما يستورد من الهند ويسمى «هوري» وهو عبارة عن جذع شجرة طوله حوالى سبعة أقدام حفر بحيث تكون من حفره قارب صغير لا يسع أو يحتمل أن يركب فيه أكثر من شخص نحيف الجسم قليل الوزن مثلي وكنت أحتفظ بهذا القارب على ظهر سفيتتنا «سمحا» فإذا ما وصلنا الى مغاص أو بندر وكان الجو مناسباً أنزلته وامتطيته مستمتعا بالتجديف فيه ، ولكن حب المغامرة والتفنن في استعمال هذا القارب دفعاني لأن أجهزه بصارية وشراع وسكان «دفة» لتوجيهه ، وكانت عملية نشر الشراع وطيه والإمساك بالدفة وإلقاء المرساة أو رفعها كل ذلك يجري وأنا جالس في القارب ماداً ساقى للأمام

محافظا على التوازن فيه من ان ينقلب ، ولا يمكن الوقوف فيه لصغره إلا إذا التصق بالسفينة فأتكىء على حافتها لموازنة الوقوف فيه . كنت مولعا بهذا القارب الصغير وانتظر بفارغ الصبر الوقت الملائم لاستعماله ، مع هذا حدث لي أثناء استعماله هذه الحادثة الخطيرة :

في احدى عصريات يوم من الأيام التي كنا مبدرين (محتمين) وراء شبه جزيرة رأس تنورة من أعمال السعودية ننتظر هدوء الريح العالية ، أنزلت القارب الى البحر وامتطيته ثم نشرت شراعه متجها به الى ساحل البر كنت أتابع سيره وهو يشق البحر شقا وأنا في غاية الانسجام والسرور . أثناء ذلك التفت خلفي لأشاهد تيار الماء وهو يمر تحت القارب فاذا بي أشاهد عددا من «الدغوس» الدغس هو ما يسمى بالدولفين تتبع قاربي في سيره عن قرب بحيث اني لو مددت يدي للمست أقرب واحد منها ولا غرابة في ذلك فالدغوس من عاداتها مرافقة السفن أثناء سيرها . ظللت أراقبها مستمتعا بمشاهدة متابعتها لقاربي حتى وصلت الى البر ، توقفت في البر وتمشيت على الساحل ثم امتطيت القارب قاصدا العودة الى سفينتنا ولكن صادف ان اعترض قاربي تيار الماء القوي الخارج من رأس تنورة الى عرض البحر فلم أستطع الوصول الى السفينة لأن التيار القوي يجرف قاربي ويبعدني عنها ، أنزلت الشراع وبدأت أجدف بالمجداف ولكن سرعة التيار ورأس تنورة مشهورة بتياراتها القوية - كان أقوى من قوة تجديفي فرأيت انه من الأجدي بي أن ألقى المرساة وأنتظر حتى يأتي بحارة السفينة لإنقاذي ولكن حدث ان حبل المرساة قصير لا يمكنها من الوصول الى القاع .

ظل التيار يجرف قاربي بعيدا عن مراسي السفن وأصبحت والقارب خارج البندر وفي بحر عميق . شعرت في هذه اللحظة بمبلغ الخطر الذي يحرق بي خاصة وانه لم يبق على غروب الشمس إلا بضع دقائق وانه لا فائدة من صراخي فهو لن يكون مسموعا من أحد لأن الهواء الشديد ضدي . بدأت أحاول وأجدف بكل قوة وأنا في حالة فزع وخوف متصورا ومدركا ما وقعت فيه من خطر جسيم . مر بعض الوقت علي وأنا في هذه الحالة المفزعة دعوت الله خلاها أكثر من مرة أن ينجيني من هذا الهلاك المحقق بي وأن يهيم لي

سبيل النجاة وفيما أنا في هذه الحالة وإذا بي ألح عن بعد أحد الطواویش وكان عائدا من الساحل في قاربه (القلص) متجها الى سفينته. كان بعيدا عني لا يسمع صوتي فأخذت أؤشر مرة بيدي ومرة بالمجداف الى ان لمحني أحد البحارة الثمانية الذين كانوا يجدفون في هذا القلص فاتجهوا نحوي وأنقذوني من خطر محقق. حيث سحبوني مع قاربي الى سفينتنا فالحمد لله على ذلك . .

كل هذه الحوادث التي ذكرتها آنفا حدثت خلال النصف الثاني من العشرينات من هذا القرن قبل ابتعائي الى الجامعة الامريكية في بيروت .

ولكن حادثة أخرى سأسردها هنا حدثت في النصف الثاني من الثلاثينات: كنت وأخي أحمد انتدبنا من أحد التجار الهنود لشراء كمية من اللؤلؤ من الغواصين فاستأجرنا «لنجاً» سفينة ميكانيكية إذ حلت السفن الميكانيكية في ذلك التاريخ مكان أغلب السفن الشراعية وكان مالکها وفي نفس الوقت نوحذاها (ربانها) من أهالي نجد. كان يتبعها «قلص» قارب صغير يستعمل للاتصال بسفن الغواصين ويسير بالتجديف من قبل بحارة مستأجرين .

في إحدى العصوريات وكنا نسير متجهين الى بعض المغاصات الواقعة شرقي شبه جزيرة قطر، كنت قد اغتملت الفرصة لمواصلة القراءة في كتاب كان بحوزتي، وبعد ان ضجرت من القراءة نهضت متطلعا الى البحر، ولما نظرت الى خلف السفينة شاهدة شيئا غريبا شكله شكل آدمي وقد مسك الحبل الذي يجر القارب خلفنا ولا يمكن تمييز وجهه لأن الماء يكاد يغطي وجهه. أمرت الميكانيكي بإيقاف المحرك بل ومحاولة الرجوع الى الخلف لتخفيف قوة السير فإذا بذلك الأدمي ربان سفينتنا النجدي بشحمه ولحمه، حملناه الى السفينة وحمدنا الله ان وجدناه سليما لم يصب بسوء، ولكنه كان في حالة إعياء وقلق وخوف، ولما سألناه ما الذي أوقعه في البحر قال «كنت في مقدمة السفينة وحاولت التبول فإذا بموجة تلفحني وتلقيني تحت السفينة وأحمد الله اني لم أصب بأذى لا من «البروانة» (الرفاس) أو جسم السفينة ولما طفيت وجدت حبل القلص (١) أمامي فمسكته وجعلت السفينة تجرني وأنا

(١) القلص: القارب الملحق بالسفينة

أصرخ وأنادي ولكن بطبيعة الحال لم يسمعي أحد أولاً لسرعة السفينة
وصوت محركها وثانياً التيار الشديد الذي يحيط بي وأحياناً يغمرني ولكني
صممت على أن لا أترك الحبل فهو أمني الوحيد في النجاة حتى تنبهتم لي
وانقذوني فجزاكم الله خيراً.

(الفصل الثاني)

مفاهيم اللؤلؤ

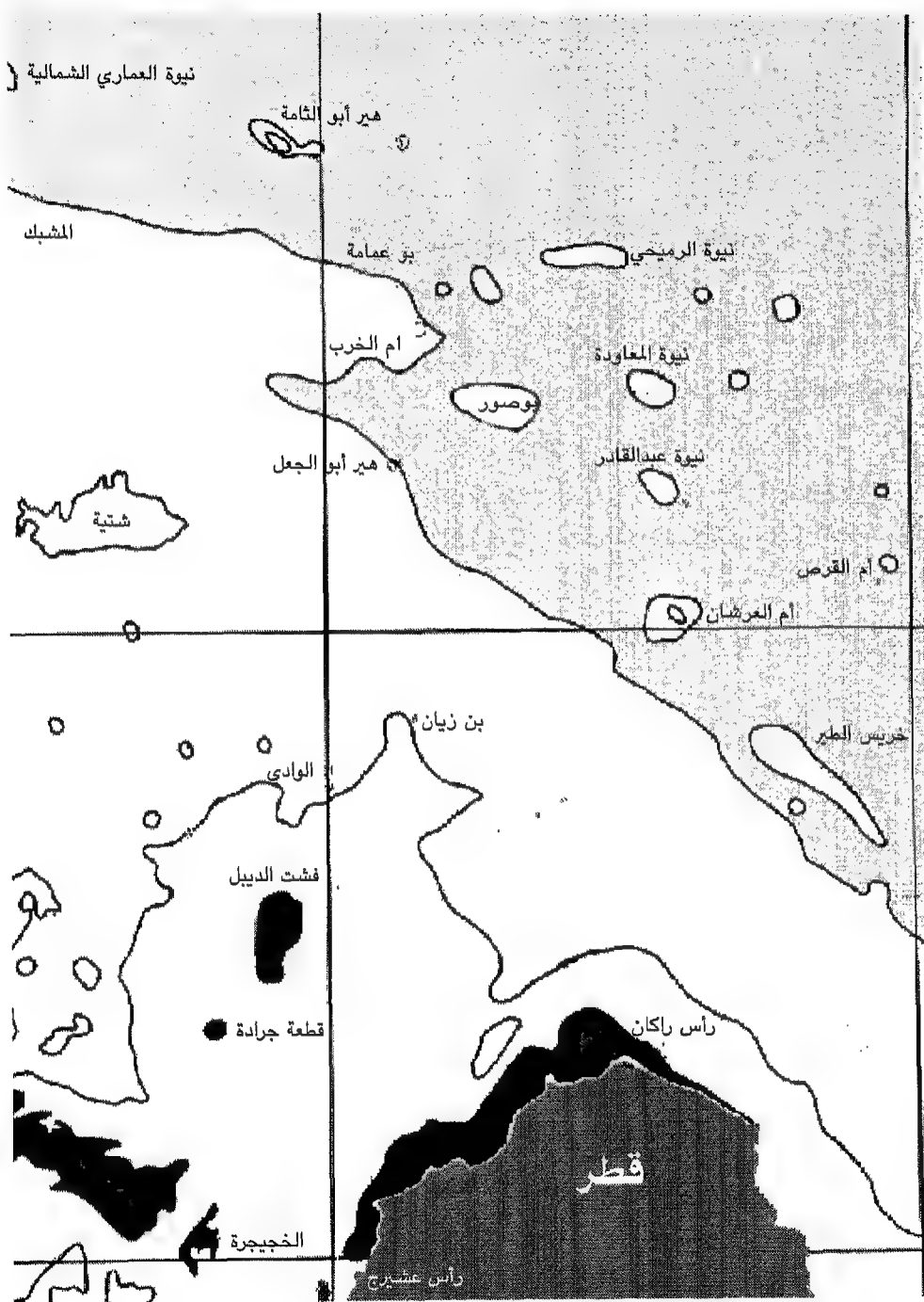
مغاصات اللؤلؤ

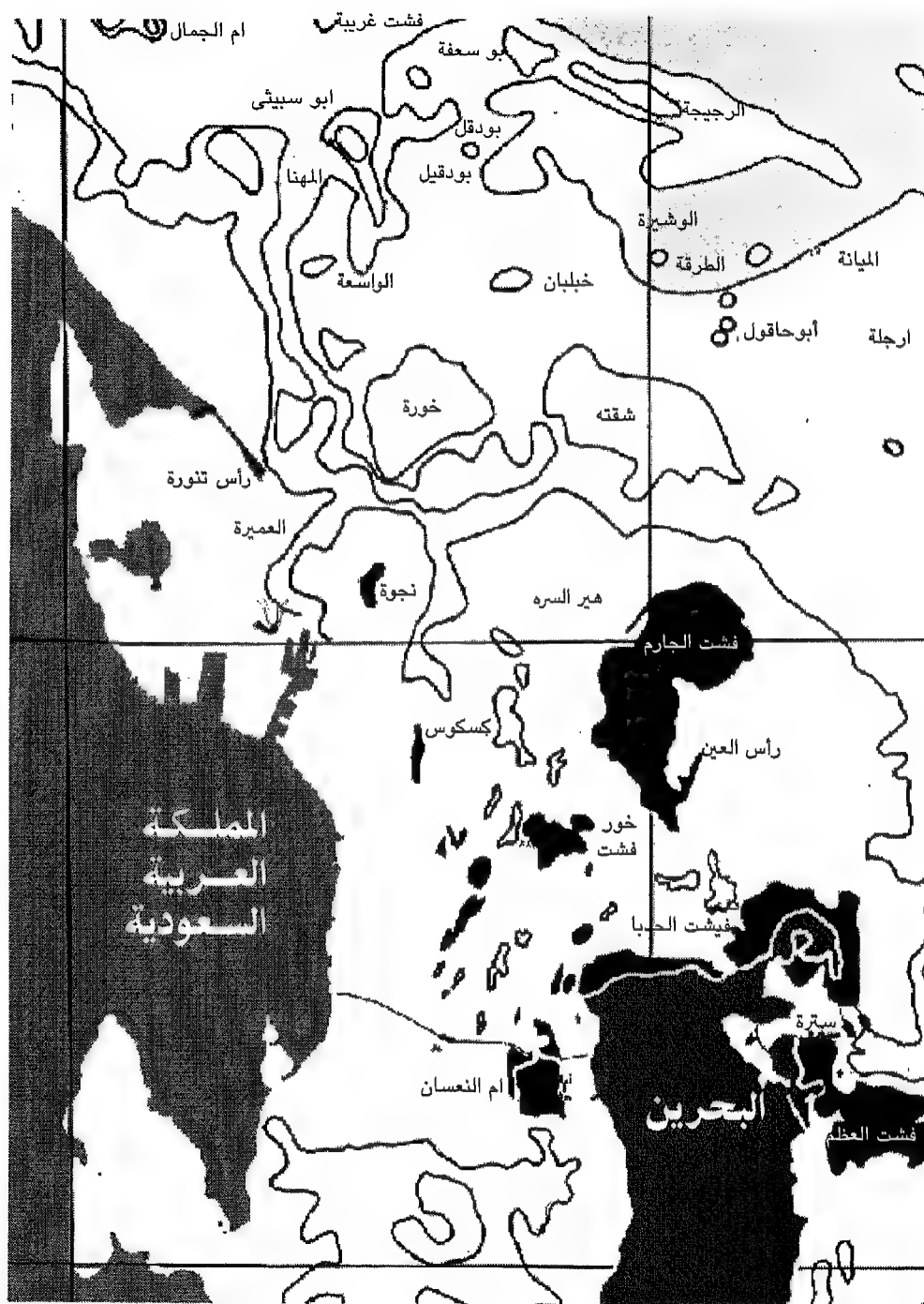
عبارة عن بقع وشعاب صخرية تقع في مواقع مختلفة من مياه الخليج العربي يحيط بها أو يجاورها في الغالب بقع غير صخرية ربما رملية أو ما شاكل ذلك. في هذه البقع والشعاب ينمو المحار (وهو الاسم الذي يطلق على الصدفتين المتقابلتين والمرتبطتين ببعضهما البعض والذي يتكون وينمو داخلهما الحيوان الرخوي الذي ينتج اللآلئ على اختلاف أشكالها وأحجامها). ينمو المحار في هذه الصخور ضاربا جذوره فيها، ومهمة الغيص (وهو الاسم المتعارف عليه في هذه المنطقة لمن يغوص) قطف هذه المحارات أو قطعها من قاع البحر وجمعها في وعاء شبكي ثم العوم بها الى سطح الماء وطرحها على ظهر السفينة. بعد ذلك يجري فتحها واحدة واحدة لجمع ما يمكن جمعه من لآلئ فيها.

تعرف مغاصات اللؤلؤ في الخليج التي يطلق عليها محليا اسم «هيرات» والمفرد «هير» تعرف بأسماء سميت بها أذكر منها:
هير «اشتيا» وهو يعد أكبر هير في المنطقة ويقع في الشمال الشرقي من جزر البحرين - وشقته - وخور بن نصار - والميانة - وبوعامة - وبلثامة - وبو اسعفة ونوة علي . . . الخ.

هذه الهيرات تحاذي جزر البحرين ولكن هناك هيرات تحاذي قطر مثل: لفان - أم الشيف - عشيرج - حالول وغيرها كما توجد هيرات تحاذي سواحل الامارات يطلق عليها أيضا أسماء للتعريف بها. والخريطة المرفقة توضح أسماء (الهيرات) أي المغاصات ومواقعها في الخليج.

ومادمت قد تطرقت في هذه الذكريات الى تجارة اللؤلؤ والى مواقع استخراجها وصناعته يجدر بي أيضا أن أتطرق الى كيف كانت تسير عليه حياة ذلك الجيل - جيل تجارة اللؤلؤ في عهدها الذهبي لإطلاع أجيالنا الحاضرة. خلال فصل الصيف - أي موسم هذه الصناعة العتيقة في ذلك الزمان - يرتاد البحرين عدد كبير من الأجانب من أطراف متعددة من العالم فمن





أوروبا وبالذات من باريس يفد إليها تاجران شهيران لا أعرف بالضبط كامل اسميهما ولكن الناس في هذه المنطقة اعتادوا تسمية أحدهما بمستر بيك والثاني بالفرنساوي (١) وكلاهما من الجالية اليهودية الفرنسية وذلك لشراء اللؤلؤ والمتاجرة فيه .

يتخذ كل من هذين التاجرين مقرا بسيطا في مدينة المنامة تنقصه الكثير من وسائل الرفاهية والراحة التي اعتاد عليها في باريس ، ناهيك عن عدم وجود المكيفات والثلاجات لعدم استحداث الكهرباء في البحرين آنذاك ، متحملين شدة الحر والرطوبة وقسوة المعيشة ومتخذين طريقة بدائية لتخفيف شدة الحرارة خاصة أثناء نومهما ، وذلك بتعليق لوح خشبي طوله حوالى ستة أقدام في سقف الغرفة تتدلى منه قطعة قماش كثيفة مرصوفة طولها بطول اللوح الخشبي وعرضها حوالى ثلاثة أقدام . يربط في وسط اللوح الخشبي حبل يمتد محاذيا لسقف الغرفة الى خارجها مارا ببكرة معلقة في سقف الليوان خارج الغرفة .

يجلس شخص استؤجر على مقعد في الليوان خارج الغرفة مهمته جر الحبل المتدلي من البكرة اليه ثم رخييه مما يجعل قطعة القماش المتدلية من اللوح الخشبي المعلق في سقف غرفة (الصاحب) تتحرك من جهة لأخرى ذهابا وإيابا ، الغاية من حركتها هذه تحريك الهواء في الغرفة . ويحدث أحيانا ان يغفو الأجير فيتوقف عن تحريك المروحة مما يزعج (الصاحب) خاصة إذا كان نائما ويكدر عليه صفو راحته أو نومه .

كذلك يفد الى البحرين عدد من تجار اللؤلؤ الهنود ومن التجار العرب . ومن الأشخاص المرموقين الذين يحضرون لشراء اللؤلؤ في ذلك الفصل التاجر الشهير والمحسن الكبير الشيخ محمد علي زينل رضا . المذكور من جماعة آل رضا بالحجاز اتخذ مدينة بومبي بالهند مقرا له مع ترده على فرنسا وبريطانيا ، وقد اشتهر المذكور ، رحمه الله ، بمكارم أخلاقه وكرمه وحبه لعمل الخير علاوة

(١) وهما كارتنييه وشوميه

على اهتمامه بنشر العلم ، فقد انشأ على نفقته الخاصة أول مدرسة نظامية في الحجاز ومثلها لتعليم أبناء الجالية العربية في بومبي بالهند .
كما يفد اليها أيضا عدد من تجار اللؤلؤ في الخليج و يقيمون فيها أياما عديدة بل وأشهرًا .

في هذا الفصل تنشط الحركة التجارية في البحرين بصورة عامة بمناسبة وجود ما أشرت اليه آنفا وأيضا وجود العمال الوافدين من بلاد مختلفة طلبا للرزق والعمل وأغلب هؤلاء العمال يأتون من السعودية وعمان واليمن والمهرة وعدن والصومال وإيران فتردحم الأسواق بهم وتمتلئ الحجر والغرف البسيطة الصغيرة المتناثرة في المحرق والمنامة وتصبح البحرين في هذا الفصل خلية نحل من البشر في بودقة حارة .

في المساء ينام الناس فوق أسطح المنازل أو في ساحات البيوت والغالبية منهم لا ينامون على سرر بل على فرش بسيطة تفرش على الأرض يطمرها ندى السماء المختلط بالعرق المتصبب من أجسامهم .

في هذا الجو المتعب يعيش الناس عيشة راضية تغمرهم السعادة والقناعة يتبادلون التعامل فيما بينهم بالصدق والأمانة والارتباط بالكلمة فلا عقود كتابية تحرر ولا سندات توقع في معاملتهم مع بعضهم البعض أو حتى بينهم وبين الوافدين .

(الفصل الثالث)

العملة

العملة

مادمت قد تطرقت الى حياة الناس وعيشتهم في ذلك الزمان - زمان الفصل الاخير من العهد الذهبي لتجارة اللؤلؤ، وتحدثت كذلك عن طرق تعاملهم مع بعضهم البعض. فيجدر بي ان اذكر ايضا وسيلة التعامل بينهم والعملة المتداولة في زمانهم.

لم تكن الانواط (١) المتداولة اليوم للتعامل معروفة لدى ذلك الجيل - جيل العقدين الاول والثاني من هذا القرن، قرن العشرين، بل كانت الروبية الهندية الفضية هي العملة الرسمية والرئيسية يشاركها احيانا الجنيه الانجليزي الذهبي او الليرة العثمانية الذهبية.

والروبية قطعة فضية مستديرة الشكل قطرها حوالي بوصة وربع، صكت في الهند يوم كانت مستعمرة بريطانية، ونقش على احد وجهيها صورة الملك جورج الخامس ملك بريطانيا ونقش على الوجه الآخر نقوش شجر وازهار. يطلق العامة على الوجه الاول «صنم» وعلى الوجه الثاني «شير» (٢) وانه اذا اختلف غريبان على اختيار شيء ما، ادخل احدهما يده في جيبه واخرج روبية وطلب من غريمه ان يختار احد الوجهين بقوله «قول صنم والا شير». ثم يطلق الروبية طائفة في الهواء وعند سقوطها واستقرارها على الارض او في راحة يد احدهما يكسب من اختار الوجه البارز على الروبية.

تحفظ الروبيات في اكياس من الخيش يحتوي كل كيس على الفين من الروبيات. بعد عدها يغلق الكيس وتخط مدخله ويختم بعضه بالشمع الاحمر. تنقل اكياس الروبيات من محل لآخر على ظهور الحمير او في عربات الكارو والكيس الواحد ثقيل لا يستطيع حمله الا من كان قويا.

في اواخر هذا العهد قلد المزيغون الروبية الهندية الفضية بحيث خلطوا مادتها الفضية بمعدن الرصاص للاستفادة من الفضة الموجودة فيها، وقد

(١) الانواط: جمع نوط اي Bank Note

(٢) شير: أي شجر كما ينطقها العامة



الروبية الهندية وهي العملة التي كانت تستعمل آنذاك
ويطلق على هذا الوجه منها (صنم)



وجه الروبية الآخر ويطلق عليه (شبر)

اتقنوا التزييف اتقاناً جيداً بحيث يصعب تمييز الفرق بين الروبوتية الفضية الأصلية والروبوتية المزيفة. خلق هذا التزييف بلبلة بين الناس أدى إلى التردد بالقبول أو الرفض، فابتدعوا وسيلة بدائية تنجيهم من قبول الروبوتية المزيفة. أما الوسيلة فهي مقارنة رنين الروبوتية الأصلية برنين الروبوتية المزيفة إذا ألقيت على حجر صلد فرنين الأصلية جميل ترتاح له أذن السامع أما المزيفة فرنينها باهت مكتوم.

ومن أجل ذلك استعد كل متجر «بصمية» (١) عهد بها إلى شخص ماهر خاص مهمته ضرب الروبوتات المستلمة واحدة واحدة على الصمية الموضوعة أمامه وعليه أن ينصت بانتباه وتيقظ إلى رنين الروبوتات، فإذا صادف أن صدر عن روبوت ما صوت مكتوم أوقفها، وركنها جانباً ليعيدها إلى صاحبها مقابل روبوت أصلي والمثل يقول الحاجة أم الاختراع. كانت الصمية في المتاجر أشبه بآلة كمبيوتر اليوم. وتصور مرورك بشارع التجار في المنامة أثناء أيام العمل، سيطرق مسامعك رنين الروبوتات وصدحها الجميل على الصمية الذي لا يعكر صفوه إلا روبوتية مزيفة تسلفت من بينها وأمكن القبض عليها.

بقي هذا الحال إلى أن شرع في استعمال الأوراق النقدية التي حلت محل الروبوتات الفضية، غير أن العديد من الناس خاصة العامة وكبار السن كانوا في البداية يرفضون استلام الروبوتات الورقية ويصرّون على استلامها فضية كسابق عهدهم بها.

(١) الصمية: حجارة صماء ملساء

(الفصل الرابع) حوادث بحرية متفرقة

حوادث بحرية متفرقة

ذكرت في مواضع متعددة من هذه الذكريات امورا تتعلق بالبحر وتعلقي به والاستمتاع به وبجوه غير ان ركوب البحر لا يخلو من مفاجآت ومغامرات تحدث لكل مغامر فيه وهنا اروي بعض الحوادث التي صادف حدوثها لي في السنوات الاخيرة او حدثت لغيري وكان بالصدفة لي دور فيها:

خرجت مرة الى البحر للنزهة وصيد السمك وفيما انا اسير في عرض البحر خارج البحرين لاحظت ان السكان (الدفة) فقدت السيطرة على توجيه اليخت وانها لا تديره لأي جهة مقصودة، اوقفت المحركات وامرت احد البحارة لينزل ويفحص تحت اليخت ليرى ماذا حدث للدفة فاكشفنا ان الدفة وهي مصنوعة من الحديد الصلب انفصلت عن السفينة اثناء سيرها بحيث اصبح اليخت بدون دفة.

كان الوقت صباحا واصلاح الدفة يضطرنا للرجوع الى البحرين وهذا يعني اني سأخسر يوم عطلة صادف ان كان الجو فيه معتدلا وجيلا يساعد لحد ما على ممارسة الصيد والاستمتاع بهوايتي المحببة.

بعد التفكير والتردد، اتكلت على الله، وصممت على البقاء في محلات الصيد حتى المساء، بعد ان وجدت انه بامكاني توجيه اليخت يمينا وشمالا بواسطة بروتيتيه (رفاستيه)، ولما حان ميعاد العودة عدت الى البحرين بنفس الطريقة ومن يومها اخذت الحيلة ووضعيت في اليخت «مجدافا كبيرا لاستعماله كدفة» مؤقتة عند الضرورة.

انقاذ:

لقد هداني المولى سبحانه وتعالى لانقاذ اشخاص او قوارب في اربعة حوادث بحرية متفرقة اسردها ادناه:

١ - في احدى امسيات احد الايام وكان الجو معتدلا كنت راسيا في عرض البحر اتمتع بالصيد وكان في نفس المكان عدد من القوارب والسفن

تصطاد ايضا ، في هذه الاثناء سمعت صوت مناد يناديني من بعيد باسمي من سفينة راسية في نفس الموقع ، تبعد حوالي نصف كيلو متر عن موقعي ، ولما تكرر نداء الاستغاثة علقت مرساة سفيتتي وتوجهت الى تلك السفينة فاذا بها وهي من نوع اللنجات (١) البحرينية الصنع قد فقدت سكانها (دفتها) واصبحت بدون سكان .

كان الوقت عصرا ومكاننا يبعد عن الساحل حوالي عشرة اميال بحرية ، ربطت سفيتته خلف سفيتتي وسحبتهما حتى اوصلتهما الى بر البحرين بالسلامة .

ومرة أخرى:

كنت مرة متوجهاً الى محل معين في عرض البحر اشتهر بوفرة السمك فيه . عندما وصلت الى المكان المقصود شاهدت قارباً شراعياً صغيراً به رجل هرم ومعه طفلان بنت وولد لا يتجاوز عمرهما عشر سنوات كانت الريح عادية تحتل ولكن بعد قليل اشتدت الريح وفي نفس الوقت قوي التيار المائي . تحركت من مكاني واقتربت من قاربه وقلت له الاول بك ان تبرح مكانك وتتوجه الى البر حفاظاً على سلامتك وسلامة اولادك . اجاب انه سينتظر لعل الريح تهدأ ولما رأيت اصراره على البقاء حيث كان ألقى مرساة يخني بقربه . مترقباً - غير ان الريح لم تهدأ بل زادت شدتها فاضطر للمغادرة والتوجه الى البر ومحافظة على سلامته وسلامة طفليه لازمت المسيرة بمحاذاته حتى وصل الى بحر ضحل لا يبعد كثيراً عن الساحل .

ومرة أخرى:

كان الوقت عصراً والجو معتدلاً ولكن تيار الماء في المنطقة التي كنت اصطاد فيها قوي جداً شاهدت عن بعد قارباً صغيراً من القوارب التي عادة يكون لها محرك ميكانيكي ولاحظت ان اصحابه او ركابه يحاولون شق طريق

(١) قوارب بحرية من الخشب

سيرهم ضد تيار الماء القوي باستعمال مجدافين صغيرين لا يكادان يساعدانه على التقدم للامام كما يقال خطوة واحدة، بعد قليل وبعد ان شارفت الشمس على الغروب لمحت أصحاب القارب قد اضاءوا سراجا ذا بطارية وبدأوا يضيئونه ويطفئونه بما يعني التنبيه بأنهم في خطر ويستغيثون بنا اذ لم يكن بذلك الموقع غيرنا.

حالا توجهت اليهم فاذا هم اربعة شبان من اهالي البحرين وقد جاءوا الى تلك المنطقة النائية التي تبعد عن البحرين حوالي ٢٠ ميلاً بحرياً في هذا القارب الصغير الذي لم يكن به غير محرك واحد توقف عن العمل ولم يستطيعوا اصلاحه.

ألقيت اليهم جبلا وسحبت قاربهم خلف يخطي الى ان اوصلتهم الى بر الامان. ولما سألتهم بعد ذلك قائلاً «كيف تذهبون الى محل بعيد كهذا بمحرك واحد أليس عندكم محرك احتياطي؟» اجابني احدهم «اجل عندنا ولكن تركناه وراءنا بالبيت»!

ومرة أخرى:

كنت في احدى العصريات في عرض البحر امارس هوايتي بصيد السمك في موقع يبعد حوالي ١٥ ميلاً بحرياً غربي البحرين. كان الهواء منعشاً معتدلاً الا اني لاحظت وانا انظر الى السماء ان الغيوم المتقطعة تسير ضد اتجاه الريح وفي عرف البحر اذا حدث مثل هذا التناقض يتوقع ان تحدث عاصفة، فقررت الابحار من موقعي والرسو قرب جزيرة قريبة من موقعنا ولما وصلت الى المكان المقصود لاحظت وجود قارب ميكانيكي صغير يصطاد بالقرب منها.

حوالي الساعة الحادية عشرة ليلاً حدث ما كنت متوقفاً اذ هبت العاصفة وكانت شديدة يصحبها مطر غزير جداً ورعد وبرق، كان بحارة سفيتي وعددهم ثلاثة اشخاص هنديان وبحريني نيام، اما أنا فلم أنم متوقفاً ما سيحدث، وعلى اثر هبوب العاصفة استيقظ البحارة فزعين والظاهر ان

البحارين الهنديين لم يشاهدا عاصفة مثل هذه من قبل فاعتراها الخوف وانزويا في زاوية من السفينة وأخذا يتطلعان بل ويبحلقان من النافذة الى هذه السماء المرعدة المبرقة يهز جسميهما النحيلن تقلب السفينة يمنا ويسرة ويصر آذانها هدير الريح الشديدة واصوات الرعد المفرع ويخطف ابصارهما بريق البرق المتتابع ، اما البحريني فلم يكن كذلك لأنه ربما اعتاد هبوب مثل هذه العواصف .

كان اتجاه الريح آتيا من الجهة الجنوبية الغربية مما يطلق عليه في عرف البحر باطرافنا «عقري» وبمناحرة اليخت لاتجاه الريح اصبحت الجزيرة خلفنا بمعنى انه اذا لم تستطع المرساة (الباور) الصمود امام شدة الريح فان يختنا سينجرف على البر وهذا خطر كبير .

اول اجراء اتخذته هو اني قمت بتشغيل محركات اليخت وابقيتها شغالة للاستفادة منها عند الضرورة اذا ما انجرفنا الى الجزيرة ، ثم امرت البحارة بعد تشجيعهم ان يحضروا مرساة اضافية ويلقوها في البحر لمساعدة المرساة الاولى في الصمود .

في هذه الاثناء ومن خلال البرق القوي المتقطع شاهدت في البر خيمة كبيرة رفعها الهواء الشديد وألقاها بعيدا ثم رأيت شخصا وقد حمل سراجا في يده يسير مسرعا على ساحل الجزيرة المحاذي لنا يناديني باسمي بأعلى صوته مستنجدا بي ، ولكنه ما كاد يسير قليلا حتى انطفأ السراج .

بطبيعة الحال لا يمكن لأحد في هذه الحالة ان يغادر السفينة والا تعرض لموت محقق كما انه لا يمكن تحريك اليخت من مكانه . استمرت العاصفة حوالي نصف ساعة وبقيت جالسا امام قيادة اليخت استعدادا لمساندة اليخت في صموده اذا ما صادف وان انجرف لساحل الجزيرة وذلك بدفعه للامام بواسطة محركاته الشغالة وفي نفس الوقت أراقب اتجاه الريح عن طريق النظر الى البوصلة البحرية .

بعد نصف ساعة تقريبا بدأت العاصفة ترتخي وتخف والتاحت السفينة بمقدمتها من الجنوب الغربي الى الشمال الغربي فاصبح ظهرها يواجه عرض البحر بدلا من ساحل الجزيرة ومع ان الريح ارتخت وتحولت الى شمالية غربية

الا ان المطر ظل يهطل بغزارة ولمدة طويلة، عندها حمدنا الله على انتهاء العاصفة وهدأنا للاستراحة والنوم كما توقف المنادي من الجزيرة عن الاستنجاد بنا.

في الصباح بعد أن أفقنا من نوم عميق على اثر جهد تلك الليلة المفزعة المتعبة وجدنا الرياح وقد تحولت الى شمالية انما معتدلة وبمعينة الجزيرة ومن عليها لاحظنا ان ساكنيها قد أعادوا بناء قسم من الخيمة على صورة ستار عن الهواء مما يدل على أن الخيمة أصبحت غير صالحة للاستعمال، ولم نشاهد قاربهم وخشية انهم فقدوا متاعهم أمرت أحد البحارة ليعدهم فطوراً ثم ركب القارب (القلص) الملحق باليخت متجهاً الى الجزيرة وعند وصولها أمرت أحد البحارة ليأخذ الفطور اليهم ويسألهم عن أحوالهم وعن قاربهم غير انه ما كدنا نتوغل في الجزيرة حتى خرج من وراء ستار الخيمة رجل يرافقه ولدان صغيران وعند الالتقاء بهم تبين انهم من معارفنا سألتهم عن قاربهم أجابوا انه غارق على الساحل الشمالي الشرقي من الجزيرة، فأمرت البحارة ان يتبعونا وتوجهنا الى مكان القارب حيث بادروا بمعالجته وتخليصه من الغرق ولحسن الحظ ان التلف لم يصب محركه البترولي مع انه فقد من القارب بعض الاشياء المتعلقة بالصيد.

في أثناء رجوعي من موقع القارب بعد تعويمه أسر البحار - الذي أخذ الفطور الى موضع الخيمة - في أذني قائلاً انه شاهد وراء ستار الخيمة امرأة وطفلاً صغيراً فالتفت الى صاحبي، صاحب القارب، الذي كان يسير بجانبني مستفسراً. قال نعم كنت في رحلة مع الأهل والأولاد.

لمته على هذه المجازفة وانه ما كان ينبغي منه ان يصطحب عائلته في قارب صغير. وقلت له بعد ان تعدوا قاربكم سنظل بقربكم نلاحظكم وسأصل بخفر السواحل ليساعدوكم على الرجوع والا سأصطحبكم الى البحرين.

بعد رجوعي الى اليخت كلمت هاتفياً خفر السواحل ولم يمض غير وقت قصير (بعرف البحر) حتى وصل زورق خفر السواحل وتوجهوا الى محلنا في عرض البحر، حيث كنا قد ابتعدنا بعض الشيء عن الجزيرة نسعى لمزاولة الصيد، ولما سألونا عن الحادث أخبرناهم ووجهناهم الى القارب المنكوب

والظاهر انهم رافقوه الى بر الامان . ولا يسعني هنا الا ان انوه بكل اعجاب وتقدير وشكر لادارة خفر السواحل البحرينية ورجالها مشيدا بنشاطهم وسرعة اهتمامهم حفظ الله البحرين واهلها وجعلهم دائما عوناً لبعضهم البعض .

وبمناسبة صيد السمك والصيادين يجدر بي ان اتحدث عن طباع الصيادين في بلادنا وطباعهم في الغرب ، حسب تجاربي عندما يذهب الصيادون الهواة في الغرب ، ويصادف اثناء تجوالهم في عرض البحر ان يعثروا على موقع تكاثر الصيد فيه او ان يلتقوا صدفه بسرب من السمك - يسارعوا لاجبار الصيادين الآخرين بما صادفوا ويعلموهم بموقعهم عن طريق الراديو او التلفون . اما باطرافنا فواقع الامر يختلف عن ذلك فالصيادون باطرافنا يتحاشون ان يخبروا اندادهم عما عثروا عليه من موقع تكاثر الصيد فيه لا بل يتظاهرون بعدم وجود شيء من الصيد ، بأن يركنوا للاسترخاء او التظاهر بالنوم اذا صادف ومر بهم صياد وذلك لكي يبعده عن ذلك الموقع . ومن عادة الصيادين المتعارف عليها فيما بينهم المبالغة في كمية الصيد الذي اصطادوه او وصف حجم أي سمكة اصطادوها .

واذكر بهذه المناسبة هذه القصة لطرافتها ومدى عدم تصديق الصياد لغريمه ولو كان من اعز اصدقائه . اعتدت والاستاذ احمد العمران قبل سنوات مضت ان نذهب سوياً في سفينة واحدة لصيد السمك في ايام العطل وكانت المنافسة بيننا شديدة ولكن صادف في احدى المرات ان تخلف الاستاذ عن مرافقتي في تلك الرحلة من الصيد . فذهبت وحدي بصحبة الريان والبحارة وأحد اولادي وفي منطقة تقع في الشرق من ساحل البحرين تسمى الجميلات توقفنا للصيد في بحر لا يزيد عمقه عن ١٠ اقدام وبدأنا بممارسة الصيد بطريقة ما يسمى «بالشوح» أي سنارة واحدة فقط في طرف الخيط ثم «بلد» ثقل صغير من الرصاص يعلق في الخيط على بعد متر من السنارة .

ترمى السنارة بعد وضع الطعم فيها مسافة ثلاثين او اربعين قدماً عن موقع الصياد امام صخور وجحور صخرية تحاذر السفينة ان تقترب منها لخطورتها ، فعلاً وفقنا بالصيد من موقعنا هذا فكان صيدنا من نوع ما يسمى

«بالبالول» وهو الاسم الذى يطلق على الهامور عندما يكون حجمه صغيرا .
 وفي احدى المرات عندما شحت بخيطي بالقرب من تلك الصخور
 وسحبته شاعرا بوجود سمكة قد علقت به لاحظت انه في هذه المرة اثقل من
 المعتاد وان المقاومة فيه اقوى واشد مما سبق ، ظننت ان الصيد هذه المرة ليس
 بالولاً بل سمكة اكبر ربما هاموراً ولكن عندما رفعته من البحر فاذا بالسنارة
 قد اصطادت بالولين (سمكتين) بدل سمكة واحدة ، طبعا هذا امر مستغرب ،
 فهي سنارة واحدة . كان الوضع عجيبا ومدهشا للجميع ، حتى اني صرخت
 دون وعي مني قائلاً «آه ياليت عندنا كاميرا (آلة تصوير) تصور هذا المنظر» .
 في المساء التقيت بالاستاذ العمران في حفل عشاء مع بعض الاخوة
 ورويت لهم ما حدث فما كان من الاستاذ العمران الا ان قاطعني امام الجميع
 بقوله «كذاب - كذاب لا تصدقوه» . اعتبرت المسألة مزاحاً بين الاصدقاء لم
 اهتم بها رغم اني حاولت انؤكد له صدق روايتي دون جدوى .
 في صباح اليوم التالي وكنت في مكنتي حوالي الساعة الحادية عشرة صباحا
 اخبرني الفراش ان احد بحارة سفيتتي وهو حارسها الليلي في الخارج يطلب
 مقابلي - سألته لماذا هل حدث حادث للسفينة؟ اجاب انه لا يعرف - امرته
 ان يدخله فلما دخل وهو عماني الجنسية سألته ماذا جرى؟ قال باستغراب
 وتعجب «لا اعرف ماذا جرى للاستاذ!» قلت : «أي استاذ؟» قال : «الاستاذ
 العمران» - زاد استغرابي - قلت «افصح ماذا جرى له؟» قال : في الصباح
 الباكر جاء الاستاذ الى الميناء وسأل عن موقع سفيتتنا وما كاد يعرف موقعها
 حتى بدأ يعبر من سفينة لاخرى حتى وصل الى ظهر سفيتتنا وهو ينادي
 باسمي ولما حضرت قال : «تعال - هل صليت اليوم الصبح؟» قلت : «طبعا»
 قال : «وهل قرأت شيئا من القرآن؟» قلت : «نعم وكل يوم افعل ذلك» -
 قال : «اذهب واتنني بالمصحف» - فلما مثلت بين يديه قال : «ضع يدك على
 المصحف واحلف ان راشد صاد بالولين بسنارة واحدة» - قلت : «نعم حدث
 ذلك» - قال : «احلف» ولما حلفت دفع يدي جانبا وصاح بحدة قائلاً :
 «انت كذاب ومعزبك كذاب ايضا» . . وبارح السفينة وهو يتمتم «كذابين -
 كذابين» .

الباب الرابع عشر

وقفه وفاء



المرحوم ماجد الزياتي

وقفه وفاء

لا يمكنني ان أجمع ذكرياتي دون التطرق لأصعب موقف واجهته في حياتي، ألا وهو مصيبة وفاة أحد أبنائي - فلذة كبدي. هذا المصاب الذي يقف الانسان حائراً أمامه، مكتوف اليدين. والذي لا يعينه على تخطيه واجتيازه الا ايمانه بالله سبحانه وتعالى ورضاء بقضائه وقدره خيره وشره.

ويعظم المصاب اذا كان الابن باراً بوالديه خلوقاً عطوفاً بهما وبإخوته وبالناس اجمعين صغيرهم وكبيرهم غنيهم وفقيرهم قرييهم وبعيدهم. هكذا كانت سجايا ولدي المرحوم ماجد الزيانى الذي تخطفه المنون وهو في ريعان شبابه إثر حادث أليم.

اضافة الى هذه السجايا الحميدة فقد قام فلذة كبدي المرحوم ماجد بدور اساسي في الكثير من مشاريعنا التجارية أهمها:

- تطوير مصانع بلاستيك الخليج بالبحرين وفتح اسواق لمنتجاتها في الخليج العربي والعديد من دول العالم وكان أول من ساهم في تقديم طريقة الري بالتنقيط في الخليج باستخدام الانابيب والمقطرات البلاستيكية.

- كما انه أدار بكفاءة وحكمة ما عهد اليه من اعمال تجارية في مؤسسة عبدالرحمن الزيانى وأولاده وعلى رأسها تجارة السيارات وملحقاتها.

في نفس الوقت شارك أخويه خالد وحامد حفظهما الله في تأسيس شركة استثمارات الزيانى. وكان من أهم انجازاته انشاء مصنع ميدال للكابلات الذى تفرغ له واعطاه الكثير من وقته واهتمامه فصار ولايزال من أنجح المشاريع التجارية لاستثمارات الزيانى والذي ساهم الى حد كبير في كسب العديد من الاسواق العالمية محققاً مردوداً مالياً محترماً للبحرين.

- كما كان من انجازاته تطوير فندق دلمون ورفع مستواه عندما عهد اليه تولى ذلك مما كان له مردود ايجابي كبير على دخله.

ولعل أهم انجاز حققه ولدي المرحوم ماجد هو حب الناس له ورضاهم عنه على اختلاف أعمارهم ومستوياتهم وجنسياتهم، فإلى يومنا هذا وبعد مضي



المؤلف راشد الزياني مع ولده المرحوم ماجد

خمس عشرة سنة على وفاته لازال الجميع يترحمون عليه وانه لا يكاد يمر يوم دون ان يتذكره احد ويشيد بأخلاقه وطباعه الحميدة. ورضا الناس من رضا الله سبحانه وتعالى.

كان ولدي المرحوم ماجد رحوماً ليس على الناس فحسب بل حتى على الحيوانات، فكان فارساً مولعاً بركوب الخيل ومهتماً بجمع ورعاية عدد منها علاوة على اهتمامه بتربية ورعاية كلاب الصيد خاصة نوع السلق منها، كما كان يحتفظ بعدد من الابل. كان رياضياً يجيد لعبة التنس الارضى والتزلج على الماء ورياضة الارباح بالقوارب الشراعية وغيرها، كما كان شغوفاً بلعبة الشطرنج وقد نظم أول بطولة شطرنج مفتوحة في البحرين وتبناها.

وتخليداً لذكراه عمدت لإقامة دورة سنوية للشطرنج أطلقت عليها «دورة المرحوم ماجد الزيانى للشطرنج». كما شيدت مدرسة ماجد الزيانى لتعليم ركوب الخيل شيدتها في مضمار سباق الخيل وسلمتها لإدارة سباق الخيل، كذلك بنيت مدرسة أطلقت عليها اسم روضة ماجد الزيانى وسلمتها لجمعية رعاية الطفل والأمومة لإدارتها ورصد ريعها للأعمال الخيرية.

رحم الله ولدي ماجد وأسكنه فسيح جناته وحسبى ان الله تعالى قد رزقني ولداً مثله ولو الى حين. وكرمني بجليل الثواب لهذا المصاب.

بسم الله الرحمن الرحيم
﴿الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون﴾
صدق الله العظيم

* * * * *

٣	- الإهداء
٤	- تقدير وامتنان
٥	- المقدمة
٧	الباب الأول : أيام الطفولة
٢٣	الباب الثاني : جدي الشيخ عبدالوهاب بن حجي الزباني
٦٣	الباب الثالث : والدي الشيخ عبدالرحمن بن الشيخ عبدالوهاب الزباني
٧٣	الباب الرابع : التعليم النظامي بالبحرين
٧٣	- الفصل الأول: بدايات التعليم النظامي بالبحرين
٧٧	- الفصل الثاني : تأسيس مدرسة الهداية الخليفية
	- الفصل الثالث : أول بعثة تعليمية تبتعث من
٨٧	البحرين الى الجامعة الامريكية في بيروت
١٠٣	الباب الخامس : ما بعد عودتي من الجامعة الامريكية في بيروت
١١٣	الباب السادس : ثمان سنوات في ديوان الحكومة
١٢٥	الباب السابع : ذكريات في عهد المغفور له الشيخ سلمان بن حمد آل خليفة
١٢٩	- الفصل الأول: الباسپورتات المزورة
١٣٥	- الفصل الثاني : قصة العزيمة
١٤١	- الفصل الثالث : الهيئة
١٤٧	- الفصل الرابع : بيوتنا بالرفاع
١٥٣	الباب الثامن: قصتي مع العمل التجاري
١٥٩	- الفصل الأول: الخطوة الاولى في مشوار العمل التجاري
١٧١	- الفصل الثاني : فتح محل تجاري في بغداد
	- الفصل الثالث : قصة الحصول على وكالات
١٩١	السيارات والوكالات التجارية الاخرى

٢٣٥	- الفصل الرابع : مشاريع واعمال تجارية اخرى
٢٤١	الباب التاسع : اسهامات في نهضة البحرين الحديثة
٢٤٥	- الفصل الأول : مجلس التجارة والغوص
٢٤٩	- الفصل الثاني : الغرفة التجارية بالبحرين
٢٥٥	- الفصل الثالث : مجلس المعارف (التربية والتعليم)
٢٦١	- الفصل الرابع : مجلس الهجرة والجوازات
٢٦٥	- الفصل الخامس : بلدية المنامة
٢٧٧	- الفصل السادس : مجلس أمناء مدرسة الحكمة النموذجية
٢٨١	- الفصل السابع : مجلس الشورى
٢٨٥	- الفصل الثامن : اسهامات اجتماعية خيرية
٢٨٧	أولاً : نادي البحرين وكيف انشئ
٢٩٥	ثانياً : نزح فتيل فتنة بين السنة والشيعة
٢٩٩	الباب العاشر : اسهامات في نهضة البحرين الاقتصادية
٣٠٣	- الفصل الأول : بنك البحرين والكويت
	- الفصل الثاني : بنك اليوباف العربي الدولي بنك
٣١٩	افشور بالبحرين
٣٢٥	- الفصل الثالث : شركة التسهيلات التجارية
٣٣١	- الفصل الرابع : بورصة البحرين
٣٣٧	- الفصل الخامس : استثمارات الزباني ذ. م. م
٣٤٣	- الفصل السادس : تأسيس مستشفى البحرين التخصصي
٣٤٩	الباب الحادي عشر : مقترح اقتصادي عربي للجامعة العربية
٣٦١	الباب الثاني عشر : السفر والسياحة

٣٦٥	- الفصل الأول: زيارتي الأولى لبرلين في عهد هتلر عام ١٩٣٦ ثم زيارتي الثانية لها عام ١٩٨٨
٣٧٧	- الفصل الثاني: السفر الى انجلترا
٣٧٩	١ - زيارتي الاولى إلى انجلترا
٣٨٥	٢ - أكل الانجليز
٣٩١	٣ - التمويل في بريطانيا خلال الحرب العالمية الثانية وبعدها
٣٩٥	٤ - سيارات الأجرة (التكسي) في بريطانيا
٣٩٩	٥ - البحر وصيد السمك في انجلترا
٤٠٩	- الفصل الثالث: رحلات الاصطياف والسياحة
٤٢٩	الباب الثالث عشر: البحر وعلاقتي به
٤٣٣	- الفصل الأول: معاصرة صيد اللؤلؤ والطواشة
٤٥١	- الفصل الثاني: مغاصات اللؤلؤ
٤٥٩	- الفصل الثالث: العملة
٤٦٥	- الفصل الرابع: حوادث بحرية متفرقة
٤٧٥	الباب الرابع عشر: وقفة وفاء

رقم الايداع في المكتبة العامة ١٥٩١ د.ع / ١٩٩٤
المنامة - دولة البحرين



جامع ومحرر هذه الذكريات

السيد راشد بن الشيخ عبدالرحمن
الزياتي أحد رجال الأعمال البارزين

بدأ دراسته الابتدائية في
مدرسة الهداية الخليفية
بالمحرق ثم ابتعث الى
الجامعة الأمريكية في بيروت
ضمن أول بعثة تبعثت من
البحرين، ولما عاد شغل
وظيفة مدرس رياضيات

بمدرسة الهداية الخليفية لمدة سنة نقل بعدها الى وظيفة في
ديوان الحكومة حيث أمضى ٨ سنوات، ثم استقال منها
وامتنه العمل التجاري مهنة آبائه وأجداده. اشترك في العديد
من المجالس الحكومية والأهلية ويشغل الآن عضوية مجلس
الشورى الحالي في دولة البحرين.

ساهم في تأسيس شركات تجارية وصناعية عديدة، كما
ساهم في تأسيس بنك البحرين والكويت وانتخب رئيساً له
منذ عام ١٩٧٢م ولازال كذلك، كما ساهم في تأسيس بنك
اليوباف العربي الدولي وانتخب رئيساً له منذ عام ١٩٨٥م
حتى تاريخه.